

سایہ استیقت





المؤلفة

obeykandi.com

الأهداء

إلى الذى علمنى أن أكتب بدم القلب ، وأقرأ بقلب دام ،
فأضحكنى رغم العذاب ، وأطربنى رغم السحاب .
إلى الذى زرع إيمانى بالحب ... وأنى فكرتى بالألم ..
وعلمنى الحياة بالتضحية ... وفلسفة الموت بمعنى الحياة !!
إلى الذى أحبّ فوقى ... وأخلص فضجى ...
إلى الذى قال : « اشربى ، وهل يكفى القدح ؟
إلى أنبل وأجل مخلوق عرفته وجربته . .
إلى الأستاذ .. يوسف صالح بقال . . (١)

ملهم

(١) أحد أقرباء المؤلفة وقد وافاه الأجل وهو فى ريعان شبابه .

مقدمة

من السهل أن تقرأ بالعيون . . .
ومن الأسهل أن تكتب بالخبر يا قارىء . ولكن من الصعب أن تكتب
بدم القلب أو تقرأ بقلب دام إلا إذا طهرت لك الحياة لفوز بما تكتب أو
تقرأ ، وإن كان من أصعب الصعوبات أن تشق طريقك مع الناس ليفهمك
الناس بالفارق بين تلك الصعوبة وتلك السهولة .

وليس من شك في أن يكون الفارق في نظرة تلقيها يا قارىء وأنت في
سهل منبسط قطعت مسافته دون عناء أو تكلف ، أو نظرة تلقيها من أعلى
جبل وصلت قمته مشياً على الأقدام فعانيت ما عانيت وأنت مع هذا لا تعلم
شكائك إلا في سطور تقرأها أو تكتبها بحسرة الفوز ودمعة النجاح .

والنظرة واحدة في كلتا الحالتين مع الفارق ، لا تختلف مع هذا إلا في
الفارق بين الجوهر الحقيقي والنحاس الجوهرى . . في تجربة يخلق من أجملها
جوهر النتائج .

وبعد . . . هذا كتاب يا قارىء أضعه بين يديك من كل قلبي بعد أن
كتبته من كل قلبي في خواطر أو شبه خواطر ليست بالهينة قد عنت لي في
مناسبات ، وظروف شامت أن أضمنها بعض مذكرات العقل في مذكرات
القلب . أو إن شئت فقل بعض مذكرات القلب في بعض مذكرات العقل .
وليس من السهل أن تمر بي تلك المذكرات أو أمر بها دون صعوبة . .

ولم يكن يخاطر ببسالى أفنى سادفع بتلك المذكرات على شكل كتياب أضفه بين
يدى القارىء . . . ولكن الظروف هي التي شامت أن تجمع تلك الخواطر في
كتيب يصرب للقارىء نشوء القلم في هفوات القلم . وهفوات القلم في فلتات
الفكر والخاطر . . . إن لم تكن تلك الهفوات من فلتات القلب .

من المحتمل أن ينال قلبى رضاك ، ومن المحتمل أن يحظى بسخطك
يا قارىء . . . ومن الجائز أن يثير رضاك ليعقبه سخطك وأنت ثائر أو هادىء
أو أن يثير سخطك ليعطى القلم برضاك وأنت ثائر أو هادىء علم الله . . . ومهما
كان من دوافع الرضا أو السخط في الثورة والهدوء فلا بد وأن يكون لكل
سبب دوافع . . . ولا بد وأن يكون لكل مسبب خاطر . . . ولا بد أن تكون
في السبب والخواطر مهاجماً أو مدافعاً . . . وهذا لا يعنينى . . . ولا يعنينى أبداً
أ كنت ناقداً مخلصاً وبطبيعتك الإخلاص والظهور بمظهر الإخلاص أم كنت
ناقداً ناقماً وفي طبيعتك النقمة والظهور بمظهر النقمة . . . ولا يهمنى بالمرّة أن
تقول عني أنها كاتبة بحق أو أنها أمية في الحقيقة . . . ولكن الذى يعنينى أكثر
مما يعينك هو أن أكتب وأقرأ وأستمر في القراءة والكتابة لألذ نفسى
وأشغلها عن عالم ضايقتى ، أو أفنى ضقت به فألهانى عن قلبى وأسرف فى لهُوه
بعالم وجدت فيه كل لذتى ، وكل سرورى ، وكل ابتهاجى ، لا بل كل سعادتى .

ومن المحتمل أن تجد فى خواطرى تقصيراً ، أو فى صراحتى بعض المؤاخذات
ولكننى واثقة أن النظرة لا تخلو . . . ولا أمكن خواوها . . . من أن بعض
الذين قرأوا لى راضين ومشجعين كل التشجيع . يرون فى قراءتهم لذة التميز .
وفى رضاهم عن كتيابى لذة الاعتراف بالحق . . . والذين سخطوا وأسرفوا فى
سخطهم عامدين أو غير متعمدين ، وبطبيعتهم يجدون فى إسرافهم أيضاً لذة

المسخط والنقمة وأنا بكتنا باقى أجد بذلك لذة وإن كانت تعرضنى — إن لم تكن قد عرضتني — إلى النقد اللاذع والكلام الجارح الذى لا يمكن أن تتقبله أى فتاة لها حرمة التفكير وحرية التعبير . وهذا ما يجعلنى أن أتقبل كل ما يعرضنى إلى نقدك يا قارىء بصدر رحب ما دام لكل من الناس وجهة نظر وتجربة اختبار تعرضه للنقد . وما دام الزلل من شأن البشر والكمال لله وحده .

وهنا أستميحك عذراً يا قارىء لإزاحة ربع الستار إن شئت أجعله ربع المقدمة ، أما ثلاثة أرباعه الباقية أو ثلاثة أرباع الستار غير المزارح فدعها لفرصة ثانية من الجائز أن تسمح لى بها الظروف فأكتبها لأفيك الحق . ومن الجائز أن تبخل الظروف ، كما هى معى الآن ، فألوذ بنفسى لأنطوى على أفكارى وتنطوى أفكارى على ، وكلانا واجد لذة الإعجاب . . ولذة الإكبار فى الانطواء على النفس وإن دفعتنى النفس إلى إزاحة ربع الستار فى كتابة ربع المقدمة التى اشتبك فيها أمام نظرى أمران :

أولهما — ما تعانيه الكاتبة النسائية فى وسط يحيط بها من جوانب تأثير الضحك . ومع هذا تألف الكاتبة تلك الجوانب صاغية لها .
مثمرة علمها .

سائرة خطوة خطوة دون التفتات أو تأن . . وقد يكون من حسن الحظ أن تساعد الكاتبة عوامل . . ومن سوء الحظ أن تحبط من عزمها عوامل لا تلتفت إليها إلا بدافع النهضة واليقظة لتصور للقارىء صراع الفكر فى صراع النهوض . . وصراع النهوض فى مقاومة الأهوال . وهذا ليس بالامر السهل كما أعتقد .

وثانيهما — العوارض التى تقف حىال المرأة عامدة أو غير متعددة . .

فبدلاً من أن تناصرهما تزعزع كيانهما . . وعوضاً من أن تمد إليهما يد المساعدة
تتكسر كلا من ساعديهما لتعرض إلى اتهامات ألقها طعن السكرامة ومس
الشخصية . . وهنا الصراع . . وهنا المقاومة . . وهنا المرأة التي تكبر بهذا
الخطأ وتأخذه على محمل حسن وعلى أساس الصواب إن لم يكن على أساس
نهضة . والكريم من يجازف بنفسه على حساب النهضة وإن كان لا يحاسب الناس
إلا على قدر عقولهم وتباين تلك العقول في التفكير الصالح والتهذيب الأصالح .

ولهذا لا أريد أن أجادل القادى، فيما عانيته أو قاومته ، ولا أريد أن
أناقشه أو أزاله فيما لمسته أو شعرت به من ضيق التنفس ووسع القفص
الصدرى في هذه النهضة ، ولا أريد أن أقدم له أمثلة أضربها له عن ضحايا
المجتمع وإن كانت تلك الضحايا أوسع من أن يتناولها قلم أو يستوعبها بحر .
ولكننى أريد أن أتحداه وأبرهن له أن شعور المرأة تجسأ الرجل ، وبذلك
النهضة تتوقف على مدى فهم المرأة للرجل ، وتجارب المرأة في الرجل ، لا علم
المرأة في الرجل ، أو علم الرجل في المرأة .

وهنا لابد من أن أوجز شيئاً عن نهضة المرأة العراقية وما لها من نصيب
وافر يكفل لها النجاح والفوز . فلو رجعنا إلى مهبها قبل عشرين عاماً رغم
تلك العوامل التي كانت تعيقها لرأينا أن نصيب المرأة العراقية من النهضة أمر
يلفت النظر ويبدّر الإشفاق . . فمن تأخر إلى تقديم رغم افتقارها إلى من
يقودها إلى ذلك التقدم . ومن حجاب إلى سفور . . في التفكير على الرغم
من مضايقتها ، ومن إطاعة عمياء إلى تمرد على التقاليد العمياء .

ومع كل هذا زالت المرأة العراقية — بنظري — في حاجة إلى الصقل

والتهذيب . وفي أمس الحاجة إلى أياد بيضاء تفرس في قلبها بذور الإيمان
لتأخذ بيد الرجل على أساس التضحية الكبرى والإيمان العميق . شيء واحد
أحذر الجنس اللطيف منه ليس في العراق فحسب ولكن حتى في الغرب وهو
أن يكون المرأة — وخاصة العراقية — قلب من فولاذ يلين تجاه الصعوبات
ولا ينسكسر لتصل إلى مرحلة تقراً في عينيها أمانة الرجل ، وحماية الرجل ،
وموازرة الرجل . والأيام أكبر نصر لمن أراد الوقوف في وجه الشمس
وعالم المرأة .

فيا أيها المرأة الناهضة . . كوني المطارقة آنياً . . وآنياً كوني السندان ،
وبين مطارقة الأيام وسندان الظروف ضعي نفسك تارة وضعي الرجل تارة
أخرى لتاسي نهضة المرأة من نهضة الرجل ، ونهضة الرجل من نهضة المرأة .
وقولي معي : إن الرجل الذي لا يعترف بحق المرأة ، والمرأة التي تجهل حق
الرجل ، وما لهذا الحق من هزة أرضية لا يمكن أن ينعم بالحياة ، ولا يمكن
أن تنعم المرأة بحق الرجل ، أو ينعم الرجل بحق المرأة .

وهكذا (أنا) وأنا واحدة منهن . . تمردت يا قاريء على مجتمعي وعلى
تقاليدى . ولمست في تمردي صراع النفس فتمردت على هذه النفس حتى لقيت
من نفسي المرء . . ومن مجتمعي الأمر مما أُلجأت إلى الوقوف في وجه المجتمع
وجهاً لوجه . . وتعرضي لاتهامات المجتمع بوابل من الشتم والسب . . ومع هذا
قاومت المجتمع وصارعت نفسي على مقاومة المجتمع إلى أن زلّ قدم كبير ،
وتحسّم قدم يسير . . وما بين قدم كبير وقدم يسير نشأت كما نشأ القلم بين
أنامل طفل يحاول النهوض ويلتمس النهوض . . وبدلاً من أن يسند هذا

الطفل أم هذا القلم ليستقيم في سيره دون عثرات . . تمشر فاستقام ، وعوضاً
من أن يسمع كلمة (الله معك) إذا عثر . . عثر فطرق سمعه (وعنى) .

ومع هذا لا زال القلم يسير ولا زال الطفل يحبو فهناءه بسلامته الكثيرون
وصفق له الكثيرون ، ولكنه مع هذا لم يستفد إلا من النادر الصالح من
أوائك الكثيرين . فما رأيك إذا قلت لك : إن الطفل — الذى هو القلم —
لا يتجاوز العقد السادس من العمر لحسد الآن .

وبعد . . ألسنت ترى أن المرأة الناهضة في أمس الحاجة للموازنة ؟
ألسنت ترى أن الكاتبة الناشئة في ضرورة إلى التشجيع على الأقل ؟
ألسنت ترى أن الجوهر الفريد يظهر حتما مهما اعتلته من أطيان وحالات
دون بريقه أتربة ؟

ما رأيك إذا قلت لك :
إننى لم ألمس النهضة إلا في نفسى .
ولم أجد التشجيع إلا في أعماقى .
ولم أحظ بالنتيجة الخالصة إلا بعد أن جعلتنى الحياة حاصل ضرب الأيام
والظروف . فلم أفكر إلا في أن أكتب وأقرأ وأقاوم . . وهكذا أغرقت
في الكتابة والمطالعة ، وأسرفت في المصارعة . . ولكن بعنوبة هذه النفس
التي هوت السكال في الجمال ، واستعذبت الجمال في السكال ، جمال الأدب في كمال
الأدب .

وعليه :

أنا أكتب لنفسي .

أكتب لأهني نفسي .

ولذ نفسي .

وأشغل نفسي عن عالم يفتقر إلى الحرية .

حرية الفكر .

وحرية النشر على الأقل

وأخيراً . . . أمر الأدب وأمرى إلى الحق في حياة هي المقدمة . .

والأيام للجميع أكبر مقدمة ، وإن كانت الظروف هي التي أقدم وتؤخر على

أسس متينة وإيمان أقوى . . والإخلاص للجميع أكبر نهر على الجميع ،

وعلى الجميع سلام الحق .



obeykandi.com



آه يا جبرائيل

ما أعمق شهيقك يا جبرائيل وما أهدأ
ما أخص زفيرك يا جبرائيل وما أصعبه

يا قطعة من كبد الشقاء . . . وبسمة في فم البقاء ..

يا نغمسة الرجاء . . . ونعمة السماء . . .

يا مسكرة العشاق . . . وأمل اليائسين . . .

يا سرحة العيون السكرى . . . ومنجى القلوب الخيري . . .

يا للسكر في نار لاهبة . . . وأنوار ساطعة . . .

سحر نار عانقته صمتاً . . . ولا أروع من الصمت ، وحيدته عمقاً ،
ولا أفنى من العمق . . . !!

على قبرك أشدو أسمى آياتي ..

على قبرك أرتل أروع نغماتي ..

على قبرك صلاتي ..

على قبرك تسابيحى ..

ولإليك الشدو منى في دمة . . . واللحن في ابتسامة. وإليك . . .

إليك صومي وصلاتي . . . وفي القلب حسرة ، وفي الجوانح جمره . . .

أججها الحق من قلبك في قلبي ، فكانت كما كنت وكنت . . . قطرة . . .

فسكر فيها الملايين . . . !!

ناجيتُ قبرك يا جُبران ، هاربةً من بشرية عمياء ، فإذا الهروبُ
حارق أعماقي وأعماقك ... مشيرٌ لواجبي ولواعجك ... صايرٌ قلبي
وقلبك ... !! وإذا بي أجد خيالاتك وصورك وسطورك تلحق بي
كلما تهربُت . . وإذا قلبي يقول :

« قفى . . لا تهربي . . فالهروبُ ذرة تنفجر منك لتستعري بي سرّاً . . .
وتهتز جهرًا لترى ما وراء الكون . . ما وراء الأفق . . ما الأرض ؟!
ما السماء ؟!

— يا أستاذي . . إنها اصطلاحات تمشت عليها الحقيقة الرعناء بفعل
المستحيل ، ولا زالت تتمشى . . حائرة . . دائرة . . علىّ وعليك ، وعلى
بشر اتفقت وإياك على أنهم « عميان » .

تُرى هل وعيت هذا النفر من البشر ؟! وهل جرّبتهم أيتها
الفيلسوفة ؟! كما جرّبتهم ووعيتهم « بدمعة وابتسامة » ، « بالأجنحة
المتكسرة » ، « بابن الإنسان » و « بسرّ الخطيئة ؟! » .

— آه يا أستاذي المتمرد . . عرفتهم كما عرفتهم الأيام . . وجرّبتهم
كما جرّبتهم الليل والنهار ، فكانوا كما هم . . . وكنت كما أنا . . بهذا المنجل .
— أي منجل ؟

— منجل الحصاد !!

- من سلمه إليك ؟
- الأيام . . . والأيام منجلُ الحصاد !!
- رائعٌ قولك يا صغيرتى .
- ولكنّه ليس أروعَ من قولك يا جبران !!
- هل عرفتَ من أنا .
- عرفنى بك هذا المنجل . . . وأن له الفضلَ فى ذلك .
- أرىنى منجلك . . . (بمعناً فيه) :
- من وقع لك . . . هذا المنجل ؟
- وقعته الأيام ، ولكن بسهم القدر .
- طيب . . . سليه من أكون ؟
- دعنى أسأل نفسى ، وأكثر الظن أنها ستقول لك أنت نبع
تلمس الحياة بك نقاءها . . . فهل أنت عبير تستنشقه النفس المعذبة
فتغيب فى عالم اللاوعى ؟
- آه لو تدرى من أنت !!
- أنتَ فناء يلمس فيك الفناء حياته . . . فهل أنت زفير خرج تيهماً
ليستعيد وعياً ؟ !

ما أعمق شهيقك يا جبران وما أسهله
ما أعمى زفيرك يا جبران وما أصعبه
يناله القريب فيتمارض دلالة . . ويتمارض البعيد شوقاً لينال قرباً ،
والدليل واحد . . والبعد واحد . . والشوق واحد .

إذا جَمَّالٌ تجلَّى . . من فنِّ تمَلَّى ، بجمال الروعة . . وفنِّ التمرد .
وفيك أنت !!

لا تسألني بعد هذا من أنت ؟ فقد لمسك منجلي . . لمس الجمال
الصارم بكل ما فيه من تمرّد ، وبكل ما في الفن من روعة ، وأحسّ منجلي
أن شعوري من شعورك . . جبرانيّ الفعل . . لاتعدله إلا روعة
دمعتك وابتسامتك .

ألا ما أبدع الانسجام بين هذا الجمال . . جمال حضارة عقلك ،
وحضارة جسمك في دمعتك وابتسامتك .

أسكرتني دمعتك فصحت !!

وأصحتني ابتسامتك فسكرت .

سكرت لأعزف دمعتي جواباً لا ابتسامتك ، وصحت لألمس ابتسامتي
سؤالاً لدمعتك ، وسكرت وصحت لأحس تمردك روعة ، وألمس
حقيقتك جرعة . . في كأس القدر !
أنت أنا . . وأنا أنت .

سكرى .. صـحـوك .

وصحوى .. سـكـرك .

وعصارة قلبي من قلبك لهذه البشرية التي أرجو كما رجوت
لها الهداية .

((في آهي من آهك .. وآه .. من آهتي وآهتك !! ومن
لمسك وحسك .. ومن سرك ووعيك .. إذا أسكرتني الحياة
لتصحيني ، وإذا أصحتني لتسكرك كما سكرت من صحوى ، وكما صحوت
من سكرى ، في صلة لا تنفصل بين صحو المعذبين وسكرهم .. وإنها لصا
لا يمكن أن تنفصل ، ولعلها كافية في هذا التمرد .. تمرد الجمال
المتفلات من الحدود .. تمرد هذا الفن المنبعث في قلب تتضارب فيه
العواطف السامية إلى أبعد حدود التصور والانبعاث !

يا جبران ..

يا منجى الملاح .. لك ولحبيك تحية .. تحية سحر الأخاذ
وجمالك الساحر .

أسألُ ياهذا السحر .. أسألُ .. تحرك بين أناملی ، وأثر فتنتك في
صدری .. وابق كما أنت ، وكما ستظل الأفق المتراعى الذي تسبح فيه
مناجاتي وليالي الملاح .. خلّ ياهذا السحر عناصرك الحية متناقضا
بكل ما فيها من روعة التناقض ، وبكل ما فيها من عنف ورقة
وثورة وهدوء ، وظلمة وإشراق .

خلّ يا هذا السحر عناصرك الحية تكلمنى بشرود وانطواء ..
وتناغىنى بألم وعزلة !! وتفنىنى بعذاب وتعذيب !! خلّها .. تكلمنى
كما كلّيت الملايين من القلوب المتمردة قبلى ، وكما ستكلم الملايين منها
بعدى .. خلّها تكلمنى لنشير فى نفسى ألواناً من المعانى وضروباً من
الخواطر .. فى هذا القلب أشكال من العواطف ، وفنون من الغرائب !
خلّها تكلمنى بلفتها الصامتة ، وهل هناك أروع من الصمت ؟!

خلّها تناجىنى برهبة تطوف بعينى أشباحها ، وتموج على وجهى
رَغَبَاتُهَا !!

حباً .. لك يا هذا السحر الجبرانى فى دم القلوب ، وتهذيب
الأفكار ، ونضوج الوعي .
يا جمال السحر !! يا جمال الليل الصامت الغاضب .. الوادع فيك
يا جبران .

يا جمال النجم الشارد فى بيدائه .. العازف لحن الشروق والغروب
فيك يا جبران .

فيك يا جبران جمال القمر الشاحب الذى يحاول جاهداً مرتبكاً
أن يبدل من وحشة هذا العالم المأسور بصمت الليل .. وفلسفته فيك
يا جبران !!

فِيكَ يَا جَبْرَانَ تَفَانٍ فِي سَبِيلِ السَّحَرِ وَالرُّوعَةِ ، وَإِخْلَاصَ لَـ
العناصر الحية المتمردة ، فِي كُلِّ أَسْرَارِهَا الْمُتَنَاقِضَةِ الرَّائِعَةِ فِي تَنَاقُضِ
حُبِّكَ لَكَ يَا جَبْرَانَ .

وإنه لَحُبُّ مُتَمَرِّدٍ كَتَمُرُّدِكَ . . . صَارِخٌ كَرُوعَتِكَ . . . عَظَمِ
كَنَقَاءِ جَوْهَرِكَ . . . عَاصِفٍ كَرُوحِكَ . . . بَاقٍ كَخُلُودِكَ .





المرأة فنية،

المرأة مخلوقة ضعيفة .. قوية ، ولكنها
قبل كل شيء . خالقة عبقرية الرجل
العظيم . . رغم ضعفها وقوتها .

● كانت المرأة – ولما تزل –
وحياً مشعاً ساحراً ، يجمع سر الجمال
والكمال . . في الفنانين بأثارهم . . .
وفي الشعراء بإلهامهم ... وفي العشاق
بتدليلهم .

● كانت ولما تزل ، سرّاً من
أسرار الطبيعة ، ولغزاً من ألغاز
العجب . . ضمّ في برديهِ جمال الموت
في الحياة ، وجمال الحياة في الموت .

وهل الجمال سوى الحب والشعر . . . والفن ؟ ! . وإلا ماذا جبران
ليقول :

« قد تمسكت بأذيالك وسرت وراءك كطفل يلاحق أمه ، متناسياً
مأى من أحلام ، محمداً بما فيك من الجمال ، متعامياً عن مواكب الأشباح
المتطائرة حول رأسى بالقوة الخفية الكامنة في جسديك .

« هل تسكتفين بحب رجل يتخذ الحب نديماً ويأباه سيدياً ؟ هل
تقنعين بشغف قلب يهيم ولا يستسلم . . . ويشغل ولكنه يذوب ؟
« إذا هذه يدى فهزىها بيدك الجميلة ، وهذا جسدى فضميه بذراعيك
الناعمتين ، وهذا فى فقبليه قبلة طويلة عميقة خرساء » .

لهذا بقى الجمال متعة الشاعر ، ووحى العبقرى ، ونبوغ الفنان .
وقد روى لنا (هوميروس) شاعر اليونان الأكبر فى ملحمتيه
الخالدين « الإلياذة » و « وقائع القتال المشيرة » ومخاطر البحار المفزعة
التي لعب فيها الجمال الدور الهجيب الغريب . . . فالنساء كما أدرى ، هن
بطليعتن حرب ، وهن فى قرارتهن سلم ، ولا عجب أن يثير حرب حرباً
أو يثير سلم حرباً ، أو تكون حرب سبب حرب وسلم . . . ومنهن وفى
ضمنهن حتى الآلهة ، تسير الحروب وفق ميولهن ، وحسب أهوائهن ، ولا
غربة إذا ما أفاضت حروبهن الجمالية قريحة شاعر ، يروى لنا عظمة
الجمال الإغريقى الفتان ، وتأثيره فى الإنسانية مادة ومعنى ، واصفاً الآلهة
(أثينا) مثال الأنوثة الصارخة فى اليونان قائلاً :

« إنها تجمع بين الحكمة والذكاء والجد ، جديرة بأن تشترك في أخطر مناقشات الآلهة . . حتى في مناقشتهم الخيرية . . ذات عينيّن رماديتين ، تفيض نظراتهما بالهدوء ، عنقها صلب العود ، جميل ، أملس ، إنها كالتمثال في قوامها . . تفيض طهارة وعطراً أزلياً أينما حلت . »

هكذا الجمال المثالي وفتونه ، قد استقلت به المرأة اليونانية وأبرزته بواقعه دون سواه ، ولولا ذلك لما كان الجمال بأنواعه : الشكلي والروحي والعقلي . . شرطاً أساسياً لمتهى كمال الآلهة ! حتى شيخنا المعري كان شاعراً به رغم فقدان البصر ، وقد قال :

أقول والوحش ترميني بأعينها

والطير تعجب مني كيف لم أطر

يا ساهر البرق أيقظ رافد السم

لعل بالجزع أعواناً على السم

ويا أسيرة حبلها أرى سفها

لبس الخلى لمن أعيى عن النظر

إنه . . . قد أحس بالجمال . . . في قلبه .

لولا الجمال وما فيه من روعة وخوف . . . لما اكتمل نبوغ هو ميروس الشاعر الذي استوحاه وسار في طريق الخلود .

ولولا الجمال لما افتن اليونانيون بتقديس الحسن ومفاته ، ولما افتن المصريون به وسخروا كل ما يملكون من عبقریات لإبرازه رمزاً

لمدينتهم العريقة ، ونحراً جليلاً آثارهم الناطقة ، وتمثالهم الصادقة ،
تصور كلهما روعة الجمال في حياتهم الخاصة ، والسامة . . . وقد رثى أحد
ماوكمهم ابنة له فقال هذه الجبارات المحزنة :

« لقد كان شعرهما أكثر سواداً من منتصف الليل ، ومن ثمار العليق
النامى على العوسج ، وكانت أسنانها أصلب من المنجل الصوانى ، وأنفها
صغيراً أنيقاً ، وفمها واسعاً مخضب الشفتين ، وظافرها كالأرجوان
احمراراً . . . والآن . . . اختطفتها يد المنون » .

ويكفيننا ما قاله شعراء قدماء العرب منذ امرئ القيس دلالة
على منزلة الجمال في نفوسهم ، وأثر سحره في تاريخهم ، فقد لعب . . . جمال
المرأة — الدور الأكبر في تخليد امرئ القيس والناطقة وعنزة وغيرهم
من الشعراء الخالدين . . . تاركاً آثاراً هامة في سجل التاريخ ، تشهد على
الجمال وما تلم من عروش ، وما أطاح من قصور ، وما أوردى إليه من
مذلة وبؤس .

فلولا كيو باترة ، لما ذهب حياة أنطونيو ، ولولا تلك المرأة
الجميلة التي وقع النبي داود في حبها فقتل زوجها ليصل إليها ، لما اجترم في
صباه ، وكتب متألماً يقول : « تعببت من تنهدى ، أعوم في كل ليلة سريري ،
بدموعي أذوب فراشي ، أخطأت والشر أمام عيني . . يارب . . صنعت ،
طهرني بالزوفاء فاطهر . . . إغسلني فأبيض أكثر من الثلج » .

ولولا دليلة شمشون الجبار التي جزت شعر رأسه وهو جاث على

ركبتها لما ماتت تحت الانقاض وهو يقول « على وعلى أعدائي يارب » .
ولولا (آن بولين) لما ثار هنري الثامن ملك إنجلترا على التقاليد
في وجه البابا والكنيسة والدولة وقلب للشعب ظهر المجن وفصل الدين
عن الدولة .

ولولا (موناليزا) لما بقي المثال (ليوناردو دافينس) مسمراً
واجتماً ثلاث سنوات يرسم صورتها الخالدة ، التي يفخر بها متحف
اللوفر اليوم .

ولولا (ماري) ملكة الاسكتلنديين التي قتلت بفأس الجلاد لما
دب الانقسام بين قوادها ، وعظماء بلادها ، ورجال حاشيتها ، حتى
سجل التاريخ لأسرتها وصمة عار لم يعرف لها مثيل منذ عهد كايوباتره .
ولولا (جوزفين) لما بلغ نابليون ذروة المجد بنموه وانتصاراته
وموته في أسره .

ولولا (مدام ركاميه) لما شهدت باريس مقتل أكثر من خمسة من
عظمائها وشجعانها .

ولولا (هنري سمبسون) لما غادر (إدوارد الثامن) بلاده ،
متنازلاً عن عرشه . . . كما غادر من قبل الملك (جيمس) .

ولولا . . . ولولا ؟ ! !

المرأة مخلوقة ضعيفة . . . قوية . . . ولكنها قبل كل شيء خالقة
عبقريّة الرجل العظيم . . . رغم ضعفها وقوتها .
ولولا الضعف لما كانت القوة . ! !

ولولا الموت لما كانت الحياة . . .

ولولا جمال المرأة لما ترك التاريخ لنا أثراً ناطقاً ينبوع خلد دهر آ
فأرانا عروشاً دكت . . . ودماء أريقت . . . وعقوداً فرطت . . . وشملاً
شئت . . . ولما أصبحنا نقر ونعترف أن جمال المرأة عماد للإنسانية
العصماء . . . ودليل للسعادة المثلى .

ويقول في ذلك برناردشو :

« أروني امرأة فشلت في قيادة رجل ؟ » .

« أروني رجلاً لم يفشل في قيادة امرأة ؟ ! » .

« كل رجل تستطيع امرأة أن تقوده ، ولو قدّرت أن أدخل مجلساً
للنساء لم يدخله رجل من سبعائة سنة لأغنى علىّ قبل أن أقفح
عتبة الباب » .

« حتى السياسي الذي لا يعترف بقوة المرأة لا يمكن أن يكون
سياسياً » .

وبعد . . . فهل أغالى إذا قلت : أن المرأة التي لاتعبد الرجل على
غرار هذه المقدمة لا يمكن أن تكون امرأة داهية في نظري ؟ !
فيا أيها المرأة الحاكمة والمحكومة بسر الوجود . . . افهمي
جمالك الخلقى والروحي والشكلي في كل العناصر الحية .

هذبي تأثيرك الخالد . . . وسيري بحضارة العقل والجسم معاً . . .
لتكوني بنظر الكل امرأة داهية . . . في كل زمان ومكان .
وفي كل زمان ومكان يهتز لك عالم ، يحيي ويميت .



أَيْتَهَا الظُّرُوفُ

أَيْتَهَا الظُّرُوفُ !! يَوْمَ الْبُشْرِ . بِاضْحَكِ النَّهَارِ
يَابِكَا اللَّيْلِ . . يَا كَوْنِ الْكَوْنِ وَاضْطَرِّ ابْنَهُ

يا جمال الوهم الكامل . .
يا دلال الخيال الانهائي . .
يا كال الحقيقة الرعناء . .
يا خلود الفناء الطاغى . .

اجمعينى وفرّقينى ، وهات راحكٍ ونخذى منى راحى . .
أيتها الظروف . .

يا رعدة العبرات . .

يا غرور المنى . .

يا ضربة تحي . . ويا ضربة تميت . .

تنمرى علىّ كما تنمرت الحقيقة ، وانشبي مخالبك فى هذا الصدر
الذى هدّه الزيف . .

أيتها الظروف . .

يا شرود المعذبين . .

يا نشوة المساكين . .

يا يقظة الموت . .

يا سكرة الحياة . .

اضطربني في دخيلتي ، وانصرفني إلى شعلة أديتك ، ودعيني
أستسلم إلى جبروتك ، ثم تأملي في هؤلاء العباقرة الذين خلقتهم صدفة ..
واهتدينا إليهم صدفة .

إنهم جاءوا صدفة .. وأنت أيتها الظروف مثلهم .. جئت صدفة ..
صدفة أسكرتني من حيث لا أدري ..

أسكرتني غصة ... وأسكرتها هناء ..

أسكرتني عذاباً ... وأبدعتها رجاء ..

أسكرتني دمة ... ولحنتها نداء ..

أسكرتني راحاً ... وجرعتها دماء ..

أيتها الظروف ..

يا وهم البشر .. يا ضحك النهار .. يا بكاء الليل .. يا سكون
السكون واضطرابه ..

سنوات نحياها حباً بك أيتها المبدعة .. سنوات معدودات ،
مهما طالتي أو قصرت فأنا لا أتذكر منها إلا نكاء الجروح في غمضة
الحيرة ، تلك الغمضة التي نودّعك فيها أيتها الظروف والتي نودع فيها
أمانينا .. فاذكرني .. وبكل ما فيك من عصيان وطاعة .. اذكرني
كيف عشت على فنون آهاتي .. مغرّدة ..

وأكلتُ من سرائر لوعى .. منشدة ..

ورويت من عيون عبراتى .. شادية ..

أيتها الظروف ..

يا مخلوقة وخالقة .. يا طمأنينة الاستقرار .. يا طلاقة الأفق ..

يا طلسم اللانهاية .. يا جهر الحياة .. يا سر الصوت ..

كلانا تحت رحمة الأخرى .. وكلانا تتجاهل الرحمة بنفسها ..

ولكن لماذا ؟ ! !

أيتها الظروف ..

أسكرينى بلا هوادة .. فروعتك أن أسكر فى صحوى ..

وسرك أن أطيع بخمري .. ولا بد من صحوى يعقبه سكر .. وسكر يليه

صحوى ..

ضاعفى آهتى سقياً من دمي .. ضاعفى طربي دمعاً من دمي ،

ولكن ..

بدموعى انتشى ... وبأناتى غرّدى ! !

اطربي .. فحياتى آهة لا تشعرين بظعمها إن خلت من قسوتك ،

وظلمك ، وعنفك ، وجبروتك ..

اطربيني بقسوة .. وآلميني بعذاب .. وشقّ في هذا القلب الذى

خالق عنوةً جروحاً إن أدملها الماضي ، فقد نكأها الحاضر ، وإن
المستقبل لغامض مجهول ..

آيتها الظروف ..

إن الظلم عنصر جميل من عناصر الحياة الحية .. وشبيهه عنصر
الضعف ، في الحياة .. والقسوة .. ولكن لن يكون هذا وذاك ..
لن يكون الظلم والعنف إلا طبيعياً أبداً .. فأياك والتصنع ..
وأياك والالتزام .. كوني كما أنت .. مخلوقة ضعيفة .. ولكنها
خالقة .. !!

آيتها الظروف ..

أسكريني حيرى .. أسكريني كما يحلو لك .. فقد أوشك حبل وعي
أن ينقطع من سياطك ..

أسكريني ذكرى .. ذكرى تعصرني وتعصرك .. وأمان تدنيني
منك .. وتدنيك منى متقاربين .. متباعدين متساوين .. متباينين ..
أتقرب منك لأهرب منك .. وتتقربين إليّ لتهربى .. وهيات أن
نجتمع .. وهيات أن نتصافح ..

هكذا أحسك آيتها الظروف .. وهكذا تحسبنى .. فعلام يتجاهل
كلانا أمر الحق .. وفي كل حركة من حركاتنا سر وغموض .. وفي كل
لفتة من لفتاتنا علامة استفهام ؟ !

وآه .. أيتها الظروف ..

ابتسمت بعينين تفيضان دمعاً .. ففسدوني وقالوا « مطربة » ..
وشبعت من ألم الجوع .. فقالوا إنها « متخومة » .. ورويت من ظمأ
الحياة فقالوا .. « إنها غرقى » !! ..

وأنا .. أيتها الظروف ..

أنا نسمة ثائرة .. ودمعة حائرة .. وشعاع شاعرة .. أنا فلتة
مقيمة .. ولكننى ، ولست أدري لماذا أنا على الأرض طارئة
عابرة !!

وآه أيتها الظروف ..

آه ما أشد وهم الناس .. وما أقسى وهمك أنت بي ..
ومع كل ذلك فلا زلت فى نظرى وهماً لا وجودى ، حتى فى هذا
الحيوان الناطق الذى تعثرت به الحياة ، فكان من « الصدفة » .. صيته
الظروف ، وصقلته الحوادث ، فجاء بطريق الصدف ، كما جئت أنت ،
وكما جاء معك القدر .. جاء صدفة يبتهل إلى جاذبية العذاب ويصرخ
باسم المساكين .

آه .. أيتها الظروف ..

بلا رحمة أسكرينى .. وبلا رحمة اضحكى منى .. قهقهى .. فإننى
مثلك سكرى .. ومثلك حيرى !! ..

أسكريني .. فقد جعت حتى شعبت .. من جوعى .

وظمئت حتى رويت .. من ظمئى .

وتعريت حتى كسيت .. من عرى .

أنا قطعة من جوع .. ومن ظمأ .. ومن عرى ؟ !! قهقهى ..

مثلما تريدن .. فأنا بنت الصدف .. وأنت بنتها .. وهذا الجوع الذى

تحسينه هو جوعى .. والظمأ الذى تقاومينه هو ظمئى .. والعرى الذى

ابتليت به هو عرى ..

أنا .. أنت .. وأنت .. أنا .. !!

كلانا لا يهمه الجوع .. ولا يقلق باله الظمأ .. ولا ينجله العرى ..

أنت .. أنا .. وأنا أنت .. !! ؟ وكلانا مغرور بجهله وعلمه ..

وكلانا جاهل مهما بلغ من العلم والعرفان ..

أيتها الظروف ..

بلا رحمة أسكريني .. أنت ياعصيان الطاعة .. يادليلة السكارى ..

يا حليفة الخيارى .. يا وهماً كله وجود .. ووجوداً كله وهم ..

إياك والرحمة .. وإياك والعطف ..

أنا المتألمة ..

أنا الجائعة ..

أنا العارية . .

أنا التائهة . . فى ظلمات البحار ، أبحث عن قارب مجهول . . وفى
لجج الحياة أفتش عن لحن ضائع . .

أنا فكرة عاصية الحل . .

أنا أغنية الزمان أطرب واسكن بدموع . .

أنا قصيدة الزمن لا أنتهى إلا بمعبد وضلوع . .

أنا دفقة كلها شكوى . . وبلى . .

أنا بسمه كلها رجاء . . ودمعة كلها هناء . .

أنا سكرة عريده تائه . . وغريد شرود . .

أنا التمتع . . والحرمان . .

أنا الإنسانية . . والإنسانية قول يعنيه الإنسان . . وفعل يجيده
الحيوان . .

أنا الحرية . . أنا الاستقرار . . أنا أمنية قد تستحيل إلى خوف
وقلق . . وقد تكون استقراراً وطمأنينة . .

أنا التى لم أنل منك ومن زمنى إلا هذا الطغيان الذى تضاعف فيه فى .
الاستقرار . . ويحك . . !!

لا استقرار فى الألم ، ولا فى التيه . . ولا فى الجوع والعري . .
بلا رحمة سيرى بى . . إلى حيث لا مجال للتروى والتفكير . .

ولا وقت للأخذ والرد . . إلى ما تريد منه منى وتتحكّمين به على .

وإياك أن تلتفتى إلى الوراء أيتها الظروف ، ودعى ما مررت بهم
على قارعة الطريق . . إنهم ظالمون . . وإنهم مسؤولون . . إنهم مثلى
ومثلك . . معذبون . . اتركهم على قارعة الطريق ، بين سماء غانية ،
وأرض فانية .

وإذا شئت فسيرى بى إلى الأمام ، واسقى هذه الأجيال ، فإما إلى
حيث المزيد من الألم ، وإما إلى حيث مصرعى وخلاصك . . كما أمرتنى
أن أسير . . إلى الأمام أيتها الظروف . . وبلا التفات . . فهناك سواعد
تهدم من غير رحمة ، وتخرب بلا تفكير . . وبغير إنذار . . سواعد
جبات على سفك دماء البشر . . وعاشت تستمد من روحها العون على
التدمير والهدم .

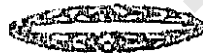
أَوْ مَا تَكْفِي سِوَاكَ أَيْتِهَا الظُّرُوفُ ؟ !

ضاعفى غربتى فى كل شىء . . فهناك عيون أغمض جفونها التاريخ
وهى تبحث عن أهداب ضائعات . . تبحث عما تسطره الأجيال ،
وتجهله ، ويقره التاريخ ، ويجهله التاريخ لتذكرى كما أذكر .

أذكرى هذه المخلوقة بسِوَاكَ ولا تنسى . . إنه لا يرعى

اليقيم إلا من يتمته الظروف ، ولا يرحم الناس إلا من ظلمه كل
الناس . . . !

فاظلمينا لترحم . . ويتمينا لنعى الحق . . والتجربة أن نفعل
ولا نقول . . ووداعاً أيتها الظروف . .





فهي

الى الشاعر :
الأستاذ محمود غنيم

تمنّعي وأقدمي

ثوري واهدئي

و
منى ومرى

تمنّعي بقلب ولدٍ والحياة ضعف . . وتناهي الموت عنف . .

تمنّعي بوعي أيقظه وعي . . وميل بصدر هو صدر الزمن . . .

اشترى الحياة بالموت . . والموت بالحياة . . وادفعني الثمن . .

وأنت الثمن . .

تدلي . . حتى على نفسك وبكل شيء !! ودعي التمتع ، فالرغبة قاتلة

والحياة في سبيلها أقتل .

افهمي الرمز الذري للقبض على قطعة ، انسلخ جزء منها . . وقولي

(نعم) بعين ، و(لا) بعين ، وأن (لا) شهادة فيها كل أسرارك ومواهبك .

قولي . . نعم . . أنا ضالة لأنني انسلخت منك وإليك أعود . . .

وقولي . . لا . . لا أطلب إلا المزيد منك . . فاهديني كما أهديك

وهي الحياة لمن أردت حياته . . . وامنّعي الموت لمن قدّر له جهلك . .

أنت . . مطرقة وسندان . . معاً . . وفي آن أنت القدر ، ولك أن

تضجعي (آدم) بين مطرقتك وسندانك ليفهم ما يريد منك ، وما تريد منه .

أى . . حواء .

اجمعي وبعثري . . .

مُرِّى وانهى ...

احكمى واخضعى ...

سلطانك كسيف الأيام .. وحكمك كحكمها ، وقدرتك كقدرتها ،
بجذك أن تسيرى على هديها راشدة ، وعلى نهجها قاصدة .

وأنت الأيام ، وأنت كما يطلب آدم ، وفيك ما يخاف عابد آسر
خوفه منك . . شاعر آكله ضلعه فيك ، متفقداً حتى ويله على يدك ..
اعبديه كما يعبدك ، وانظري إليه كما ينظر إليك . . وسليه :

لماذا يحبك لاعناً الزمن ؟

ولماذا يعبدك كافر أبك ؟

حواء . . .

هل الحب واللحمة يتفقان ؟ ! !

هل الكفر والعبادة صنوان ؟ ! !

فلقد بت أخشى أن يلتقيا رحمة وغفراناً ، كما يقول الشاعر :

رب عفواً إذا التفت إليهما

وتلهيت عن صلاتي إليكما

لم تكن تلك زلتى ، فشفيعى

أن هذا الجمال صنع يديكما

أى حواء ...

لاتخافى (آدم) بقدر ماتخافين نفسك .. إذا أحبك .. فهو لا يتعدى

أكثر من كونه (خروفاً) بين يديك ، في كرهه ، وفي إخلاصه ، وفي
ثورته ، وفي هداوته ، صوفه مفيد ، ولحمه أفيد . . ولا يتعدى أكثر من
كونه (عترباً) إذا أحببته بقدر كرهه إياك . . دواؤها . معلوم .

مهما تعددت صورك ، وتسترت وراء ألقاب الشعر والفن . .
ومهما التزمت التقيد واضطرت إلى مجاراة المجتمع ، فلا يمكن أن تكوني
إلا حواء . . تلك الضعيفة أمام آدم . .

فافهمي الضعف وسلطانه . . ومصدر قوته وسره . . فيك من
آدم ، وفي آدم منك . .
أى حواء . . .

أنت حين تكملين وحين تنقصين ، حين تشورين وحين تهدئين . .
حين تمتتين وحين تحيين . . في كل زمان ومكان . . فأنت للرجل نافعة .
أدهشت هذا السكون وستبقين بلا شك تدهشين العالم بغرائب وعجائب
تقول كل منها :

قش عن حواء . .

عن ضعفها القوي . . .

وقسوتها اللينة . . .

ومنعها الذي هو رغبة . . .

وميلها الذي هو نفرة . . .

وأنت . . مهما وجهت جهدي لدراسة فيك من الحياة ، فلن أستطيع

الخروج من هذه الدراسة إلا بالنتيجة واحدة تلك هي أن حواء الأمس
غير حواء اليوم .

إن حواء اليوم تغريها الاندفاعات وتشوقها المظاهر ، فهي عالمة
بجوانب من الحياة ، جاهلة بجوانب أخرى على الرغم من اتساع الثقافة
في هذا العصر . . فهي تحتضن ما يلقي به إليها الخيال إلى جانب ما تتلقاه
من الواقع ، ومن هذه العواطف والانفعالات المنشأبة . . . وهي
لا تدري في هذه الحياة المضطربة ما تأخذ وما تدع . . تسير بعلم كله جهل
وتقدم كله تأخر . . ذلك لأنها أخذت من العلم الحديث هوامشه ، ومن
التقدم دعاواه . . فإلى أين هي تسير ؟ ومن أين ابتداء مسيرها ؟ ولم هذا
المسير . . وما هي الغاية منه ؟

إنني متأكدة من أنك لن تلقى من وراء هذه الاستفسارات والأسئلة
إلا جلبة التافلة وهي تسير في هذا الخضم من الحياة على غير هدى . .
قد تبحث عن حبيب . . أو عن زوج . . أو عن شريك لها في الحياة
يضمج جهده إلى جهدها خدمة للمجتمع .

ولكم أن تسألوها عن سبب نكمتها ولما يعض على زواجها غير أيام
قلائل أو شهور أو سنوات . . وتستجيبكم ولها العذر . . ولكم أن تعذروها
إذا أجابت إن كنتم من يرحمون الضعيف ، ويرفقون بالتواير . وقولوا
لبنى جنسكم من الرجال . . أن يأخذوا بيدها إلى حيث لا تنقم ، وأن
يحافظوا عليها بحيث تطمئن . . وأن لا يندفعوا في طريقها إلى حيث
الطمع أو الرغبة ، بل أن ينظروا إليها نظرة فن وإحباء ومنتعة روحية ،

حيث تبدو نفوسهم من وراء النظرة البريئة تلك . . قبل كل شيء .

لقد خلقت المرأة شريكة للرجل ، ولكن ليس بما تقتضيه الحياة من ميكانيكيات وروتينيات تجودنا أن نقيس المرأة بفعاليتها في هذا المجال وأن على الرجل أن يفهم فن هذه المشاركة على حقيقتها (الفنية) لأعلى أساس ما اعتاد أن يفهمه من أنها مخلوقة لإشباع الرغبات الطينية فقط .
أى حواء . . .

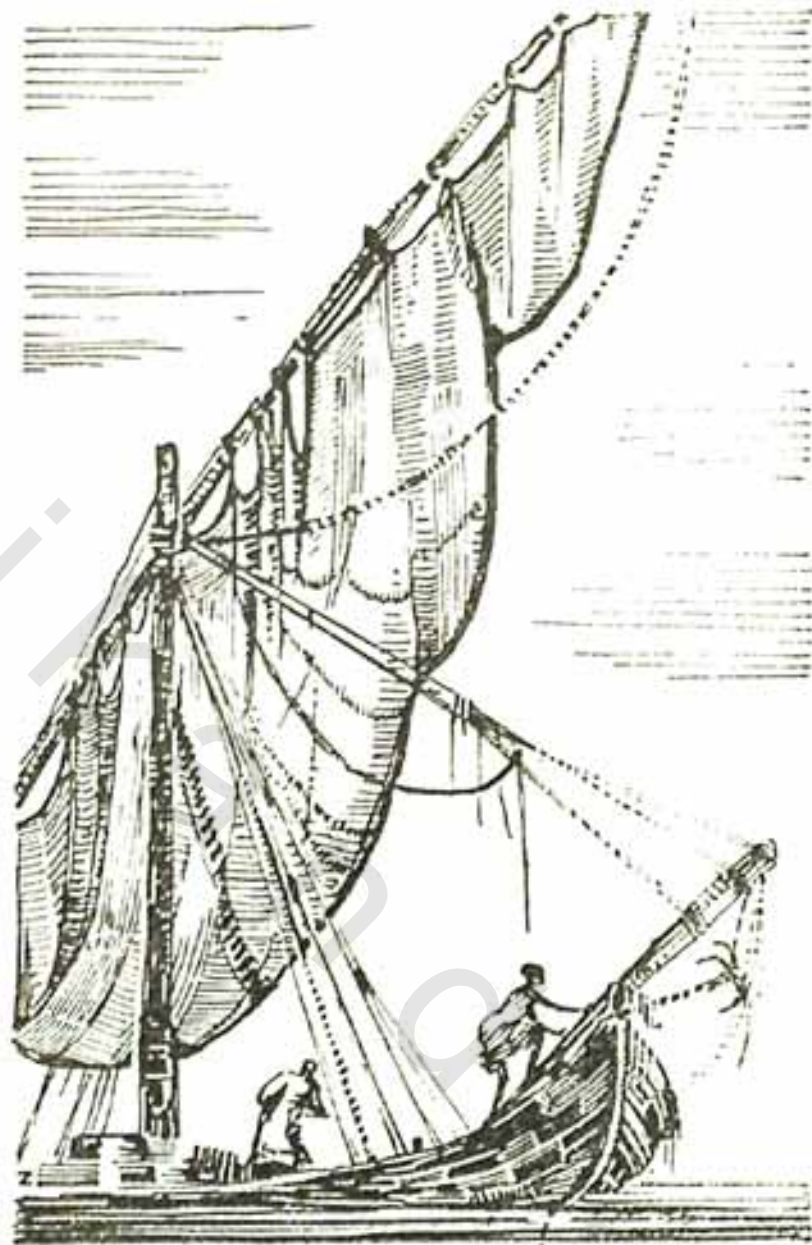
إن علاقة الرجل بالمرأة يجب أن تكون فناً في سبيل سير هذه الحياة ، وسمو الحب والشعر والأدب . . والحياة . . وإن من المفروض حقاً على حواء أن تجعل للقيم الفنية وزناً في حياتها الخاصة والعامة . . وبطبيعتها أصلاً ، وأن على الرجل أن يزيل غشاوة الرغبات عن عيذه ، فيدرك بوضوح ، هذا اللون الجميل في المرأة .

أجل . . . لن تصلح المرأة للرجل على أساس ميكانيكية الحياة ، بل لن تستقيم الحياة إذا خلت من فن المرأة ، والزمن كفيل بتصحيح النظرة الخاطئة مهما كلف الأمر . . والأمر أمر حواء في آدم ، وأمر آدم في حواء . . وأمر حضارة الجسم والعقل فيهما ، ومنهما ، وإليهما .

فهل اكتفيت يا قارئ بما قلت ؟

أم تراك تطلب المزيد ؟

ولعلني أكتفى منك بأقل من هذا البيان .



عَمْرُو وَرُوحَهُ

أُوحَتْ لِي هَذِهِ الْكَلِمَةُ رِسَالَةً الْأَدِيبِ الْكَبِيرِ
الْأَسْتَاذِ مِيخَائِيلَ نَعِيمَةَ. فَلْتَكُنْ هَذِهِ مِنْهُ
وَالْيَهُ.

خلقت وأمواج الحياة تتلاطم على جوانبي ... وأنا سابعة في
غضنها الساخط ، وثورتها الجامحة .

خلقت في زحمة تيارات صاخبة بعناصر الوجود والعدم ... متسائلة
عن عنصرين براقين لآمالى في دفقة عناصر هذه الحياة .

يا أستاذى الأديب . كل ما فى الحياة عنصران .. عنصران امتزجا
بكل ذرة من ذرات السؤال والجواب جزءاً لا يتجزأ ... عنصران
كانا من الحياة روحاً فى جسد ، وأصبحا لها سماء فى أرض ... ولتعجب
من روح جسم جسد ، وسماء جسمت أرضاً .. عنصران ليس غير .
هما تمرّد وروعة فيك أيها الأديب .

كل ما فيك لا يتعدى أكثر من بداهة فى عجب ... حتى رقتك ،
وحنوك .. حتى خضوعك ورضوخك .. كل شيء فيك بداهة وعجب ...
بداهة السماء فى الأرض ... وعجب الأرض فى السماء ... فهل لك
يا أستاذى الكبير أن تناجى الليل بأهتى .. وآهتك .. !!

وهل لى أن أقرأ على سطور جبينك أخوتك لجران ؟
وهل لنا أن نقول لمن يدرى ولا يدرى .. أن الوفاء قليل بين
الأحباء ... فكيف بالذين يوفون حتى بعد الممات .. !!
أذكر « جبرانا » بقلبك ... أذكره كما أذكرك لألمس روحك كما

لمست روح زميلك جبران .. واعبد حقيقتك كما عبدت حقيقة جبران ..
وآه يا ليل ...

يا سمير المعذنين ، وملجأ أسرار المخلصين ... ونجوى
صلاة المبتلهين ...
وآه يا ليل ...

ما الذى امتلكنى حتى جعلت أرى فى سكونك المطبق مناجاة
حقيقة تدنيا الحياة من الموت ، ويقرّبها الموت من الحياة ...
فى السكون المطبق سرٌّ وتمرد ...
فى حيرة الضعف منتهى القسوة ...
فى الفجر المطبق تيه الأفق ...
فى تمرّد السكون ضجيج النهار وضوضائه ...
فى تمرّد العدم روعة الوجود ...
فى نهر يتغنى بخريه المنساب كالأمل إلى
حيث تلاشيه ...

على الرغم منك يا ليل ...
أرى وداعة السير روعة ...
أرى فى انسياقك عيوناً ألهبها نداء مجهول إلى حيث فنائك ... إلى

حيث تشبع بهم البحيرات والبحار الفاغرة أشداقها لهذا النهر . . .
أرى في هذا الانسياق الأعمى تمرّداً . . . تمرّد العبودية على التحكم،
تمرّد الخوف والاطمئنان . . . أرى . . . أيها الأديب حكيماً ساهماً في
صومعة لا تدبر دنياك التفاتة . . .

وأنت . . . أيها العبقرى . . . الذى لا تنفك واضعاً سبّابتك تحت
ذقنك الطويل . . . مطرّقا برأسك الشاوخ إلى الأرض . . . كأَنَّك
— سامحك الله — تبحث عن كنه صيرورة هذه الأرض ، شاردأ
بعينيك الساهمتين إلى السماء تتلمس ما وراء الأفق . . . وتقف على ما عجز
عن إدراكه سواك من الناس .
إيه . . . أيها العبقرى .

لولا ما أحاطتك به عقد الحياة المتشابكة من متناقضات الطبيعة
وتضارب أهوائها .

ولولا الغيب وما وراءه . . وحواليه .

ولو لا الحكمة التى فرضت على هذه البشرية التفكير الفارغ . . .
وغير الفارغ . . . فى حل ما يعقّد من رموز ذلك التفكير ، وأسلوبه ،
وخلقه ، وساوكه .

ولولا هذه الاستفهامات لما كنت أيها الأديب العبقرى ولما
كانت روعتك .

ولولا هذا الأخذ والرد في أسرار الفكر وأحاجيه لما كان
فكرك المبسط .

وأنت ، أيها المسكين ذو الثياب الرثة ، والوجه الشاحب ، والعينين
الشاردين ، المغمور بالخنوع والاستسلام ، يا من تكاد التماسه تقطر
من أطرافك وحواشيك ، لا أدري ما الذي دفعني إلى رؤية ما فيك
من روعة : روعة التصور ، وروعة الحرمان . . قارئة على قسبات
وجهك الخانع القمرد . . بكل ما فيه من عناصر الحياة . . في تمرد
الإحتجاج . . في الذل ! ! في العذاب والتعذيب . . قرأت أحاجيك أيها
الأستاذ في كتبك المكشوفة أمام عيني ، وتمليت من ألغازك في أسفارك
المنشورة ، قرأت . . وتمليت . . ولا زلت أقرأ ، وأتملى ، منك ومن
روعتك وتمردك ، وكلما أقرأ وأتملى ، أحاول التخلص من أحاسيسك ،
والتخلص من تفاعلك ، ولكنني - يا لضعفي - وجدتني يا أستاذي ،
منجذبة إلى صميمك ، إلى كنه قلبك ، وجدتني وكلّ روعة وتمرد . . .
أضحك لأبكي . . وأبكي لأضحك . . فلا ضحكي ضحك الناس ، ولا بكائي ،
بكاء الناس ، وعلى الرغم من ضحكي وبكائي ، فقد كانت الابتسامة وكأنها
دمعة ، والدمعة وكأنها ابتسامة . وكأنهما - الابتسامة والدمعة - جزءاً
من شك رائع ، وشعور متمرّد .

ابشمت . . . ولكن بشك وخوف ، شك من تردى . . . وخوف
من روعتى .

واستفقت من غيبوبتى ، وكأنى استفقت من عالم جديد كل ما فيه
يسأل ويلح :

أينك أيها الأستاذ !!!

وأينك أيتها التلميذة !!؟



فجر

على فحيح الأفعى البشرية انشقت السماء
وبزغ ضوء جديد على دلياً جديدة .

على حشرة الزمن المسجى بأكفان الماضى .

وعلى أنين الماضى المتماوج على أجنحة الذكرى .

وفى سفير جمرة الذكرى المتأرجحة بلهيب الألم . . . كانت كما شاء

الزمن . . . إكسبر قاض . . . وذكرى ألم . . . ووجدت كما توجد

الريح . . . وعاشت كما تعيش عاصفة فى نسمة . . . لفحها ريح صرصر ،

وهبوبها زهير عاصف .

ولدت عجيبة من عجائب الدهر ، وغريبة من غرائب العصف ،

وقد أرادتها الطبيعة مزيجاً من المتناقضات ، ولا أزل لها ولا أبد . . .

فكانت كالطبيعة قوة وضعفاً ، وقساوة وليناً . . . وخشونة وسحراً . .

فى ثورة اندلع لها من براكين شعور عيماء ، فعاشت مع بشرية صماء ،

وتناهت إلى إنسانية عصماء . . . من تفاعل قاس مرير . . . تفاعل الماضى

الآليم . . . بالحاضر السقيم . . . والمستقبل المجهول .

عاشت عصفورة مدللة فى قفص ذهبى وهاج . . . تخاف النور

إذا لاح ، تحسب وشجه بريق سكين ذابحة .

تخاف المساء إذا دنا سواده . . تحسب ظلمته النهاية .

تخاف كل شىء يكتنفها . . . حتى نفسها . . ومع هذا فقد ملكت

ناصرية الطبيعة . . . وماسكتها الطبيعة ، فصاحت . . . وكان صحوها ذهول

حكمة ، وذهلت وكان ذهولها فتنة حلم . . وكانت كما هى :

اخضرابها نبراس لمعرفة . . .
ومعرفة نبراس الحقيقة . . .
وشكها صراط لاطمئنان . . .
واطمئنانها دليل لوجود . . .
ويقينها قيس من حياة . . .
وحياتها درع من إنسانية . . .

سارت في طريق لا بداية لها ولا نهاية . . . طريق وعرت
مسالكها . . . وشاكت منهرجاتها . . . وصلت صخورها .
سارت كمن أنهكتها خمرة صبها ماضيها في كؤوس حاضرها . . .
واستخلصها مستقبلها من ماضيها ، فانتشت بألم الماضي ، وعربدت بكؤوس
الحاضر من خوف المستقبل ١١

وعلى هدى من بصيرة نشوتها وعربدتها ، سارت ، ولم تزل
سائرة ، حائرة ، لا تدري أين الطريق ؟ ١٢
ومع كل ما اعتراها من خوف أو ألم أو تضحية ، فقد سارت
على عصا اقتطعت من ثلاثة مقاطع ركز بعضها ببعض ، بأسرار وأحاج
لا تُزيد المتأمل إلا عجزاً ، والمفكر إلا استسلاماً .

وامتشقت سيف المخامرة والمخاطرة ، وبذلك السيف سارت
تستند نفسها بنفسها ، قاطعة أشواطاً وأشواطاً ، تستمد دليلها من ظلمة
هالكة . . تستمد نورها من رعب وخوف ، في أناس ، تحجرت قلوبهم

وقست شعورهم ، فما زادها الوعي إلا حكمة ، ضحك منها أولئك البشر ،
وتمادوا في الضحك والسخرية ، وانقضوا بجنونهم على هذه الضحية
يشرونها بسياطهم ، ويلفحونها بلهيبهم ، ولكنهم يا لغياوتهم ، لم يجدوا
بين أيديهم سوى ظل لإنسانية . . على شفيتها دفقة نغم . . وفي عينيها
دمعة ألم .

انسلت من بين السياط واللاهب كانسلال النجم الثاقب ، وسارت
على غير هدى وبصيرة .
إنها هاربة . . .

هاربة من ظلم وعسف . . . وجور وعنى . . . هاربة من هؤلاء
البشر ، في غمرة إحساس ملائكي ، وفي نشوة لحن عميق ، نادى أملا
هاجها ، ودمعاً أبكاها ، وسراً أطر بها . . من أودية الحكمة والجمال
والحب . . انطلقت أصدااء العبقريّة ، وعلى فحيح الأفاعى البشرية
انشقت السماء ، وبرز ضوء جديد على دنيا جديدة ، ولكنّها من مغرب
الشمس تطلّعت إلى المستقبل المجهول يناديها . . .

« إلى الوهم يفنيه اليقين » .

« إلى الشك تبعثره الحقيقة » .

« إلى صوت بَحَّة النداء » .

إليه . . . وإليها . . . دنيا جديدة .

فلا تموت



● هَاجَنِي الشَّوْقُ فَنَادَيْتُ اسْمَهُ
عَنْدَلَيْبُ ضَاحِكٌ يَبْكِي : دَعُوهُ
وَفُؤَادُ يَتَلَهَّى فِسَالُوهُ . . .
ما الذي تَبْعِيهِ يَا نَارِي وَصَائِي ؟

● أَهْوَا مَا تَلْقَاهُ مِنْ دُنْيَا النِّعَمِ !!
أَهْوَا مَا أَجْبَحُ فِيهِ مِنْ جَحِيمِ !!
أَهْوَا سِرَّ الْحُبِّ وَالْوَجْدِ الْمُقِيمِ !!
فِي الْخُنَايَا ؟ قَالَ : بَلْ سِرُّ عَذَابِي

عَرَبَدَ الْفَجْرُ عَلَى حَنِّ الرِّبَابِ
يَا خَلِيلِي : مَنْ لِيَالِيهِ الْعَذَابِ
أَغْنِيَاتٍ مِنْ شِعَاعِ وَضْبَابِ
فَأَمْلَأُ الْكَاسَ مِنَ الْخَمْرِ الْمُنْذَابِ

وَصَوَابِ يَتَمَلَّى مِنْ عَذَابِ
هُوَ نُورُ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ سَرَابِ
فَانَسَ يَا حَبِيبِي أَنَا مِنْ تَرَابِ
وَاسْقِنِي ، وَاطْفِئْ ظَمًا جَمْرَ شَبَابِ

يَا لِعَقْدٍ مِنْ تَجَارِيبِ الزَّمَانِ
صَغِيغَتِهِ مِنْ نُورِ مَحْرَى وَلِسَانِ
هُوَ عَقْلِي وَخَمِيرِي وَجَنَانِي
وَهُوَ حَبِيبِي ... وَوَفَائِي ... وَخَنَانِي
الْحَبِيبِي ... يَا حَبِيبِي ... ذَا جَوَابِي



ز لصول واستفراق

أصبح أن الحياة نعب كلها؟
وأن الحياة طرب كلها؟

مهداة إلى الشاعر العراقي الأستاذ
أحمد الصافي النجفي رداً على قصيدة خاصه

للعجب أن يستفرك بقدر ما استغفرنى .

وللبداهة أن تشرك بقدر ما أثارتنى .

ولها تين النغمتين أن تنزلا على أوتار قلبك الحساس بكل
ما فيهما من لحن وعدوبة ، كما تنزلان على قلبي المفعم بالعواطف
السامية .

كلنا - من أمر هذا الوجود - ذاهلون ، وفي سرّهِ مستغرقون
فهل زهو لنا هو ؟! وهل سلوا أنا لعيب ؟!

أيها الشاعر : أترى أذهلتك الحياة لترينى زهواك !! وأتعبتنى
الحياة لتريك آثار التعب ناطقة بعدوبة قلبي ؟!

لست أدرى .. ولكننى أدرى بأننى لست أدرى .

استغرقتُ فى تفكيرى لأتملّى من زهواك ، ومن حياتك ..
فاذا بى ، أنا وإياك غريبان لفهما التيه ومناهما سراب الحياة .. فهل كان
المعرّى محققاً فى قوله : « تعبٌ كلها الحياة » .

خاطرة خطرت لى الآن .. تلك هى أن هذا الشاعر لو استبدل
كلمة (تعب) بكلمة (طرب) .. أكنّا نرى الحياة طرباً كلها ؟ كما نراها
الآن على ضوء كلمة (تعب) ؟! ربما !! ربما !! ربما .. نجلو التعب

والطرب في هذه الحياة إيجاء وإلهاماً؟ أكثر مما نجلوهما نفساً واقعاً
وأسرأ راهناً ، وخاطرة كهذه الخاطرة أو إذا شئت فمنها .

أصبح أن الحياة تعب كلها؟ وأن الحياة طرب كلها؟
أصبح أنها مزيج من هذا وذاك !!

وإذا كان كذلك فما لون ذلك المزيج؟ وما طعمه ، وما مذاقه؟
اعرف أيها الشاعر .

اعرف لحن ذهولك .. فالملائكة تسمعك .
غرّد فيكنا من تغريدك في نشوة المصطفى أمام نار الحياة ، ونورها .
غرّد فأجواء الطبيعة عطشى إلى زمرة الملائكة وجمع الجمائم .
غرّد باكياً أو ضاحكاً .

غرد بدموع هاملات ، وقهقهات عابثات ، فليست الغربة هذه بلدآ
تقيم فيه ، ويحنو عليك بوارف ظله ، ولكنها الدنيا بكاملها ! .

ذهول واستغراق . . أسلماني إلى أحلام تقاذفتني من كل جانب
وصوب ، ورمتني في آفاق شاسعة خلعت أني أستوعب فيها كل أسرار
الحياة ، ولمست خلالها كل ما غمض على من أمرها . . ثم أفقت؟
فإذا بصوت عميق مبجوح يناديني من قرارة نفسي . . . إننا جاهلون ،
تائهون ، جاهلون لغزاً عميقاً لن تصل البشرية إلى كنهه ونهايته ، ولن
تدري بدايته . وتائهون في مفاوز جرداء إلا من سراب يتبعه سراب .

صوت عميق مبحوح يناديني من دخيلة نفسي ، وأعماق سريرتي ،
بأننا نعيش ، وسنظل نعيش غرباء في دار نزلها الملايين إثر الملايين ،
ورحلوا عنها ، كلا حسب (نوله) وكل منهم يقول : أنا غريب عنها .
على هذا الصوت العميق المبحوح ، أفقت من ذهولي
واستغراقى .



زبدوني ألماً.. لأطرب

من دحي أحد الشعراء
مهداة

الى الشاعر محمود الخولى

● زبدوني ألماً... دثروني بالحزن... أسعدوني بالعذاب.

زبدوني ألماً... فالحياة سرٌّ لا تُحل طلاسمة إلا بالبحر.

والحياة أحجية لا أفهمها إلا بالتمرد.

وخيال لا أحسه إلا بالظلم...

وبريق لا ألمسه إلا بالوهم.

وأغنية أشدوها آهة لتردد بعدى لوعة..!!

جوروا... فبوسعى أن أحتمل جوركم، وأقاوم جهلكم.

● اقذفوا بى فى ظلمات البحار، فسأسبح فى قوارب ألمى، ودعائى

سيكون لحنى ونغمى.

دعوا روحى تبجر فى محيطها ، ذى الحدود اللانهاية .
 دعوها تبحث عن النجاة فى الأغوار ، والأعماق .
 دعوها تستمد من ضعفها قوة ، ومن قوتها خلوداً .
 دعوها توقع على قيثارها المقدسة أعذب ألحان الروعة والألم .
 دعوها . . . إنها غريبة عنكم .
 دعوها . . . حيث تهيم بها فى مفاوز جرداء خَلَّتْ إلا من رحمة الله .
 أنا إن طربت . . . فقد أطرقتى غربتى
 أنا إن سكرت . . . فقد أضحانى سكرى
 أنا إن صحت . . . فقد أسكرنى صحوى
 زيدونى ألماً لأطرب ، وصحواً لأسكر ، وسكراً لأصحو .
 عذّبونى — يا أهل الأرض — وقولوا إنكم سرّ سعادتى .
 عرونى ، ولقّبوا أنفسكم بحُماة الأعراض .
 انهشونى ، بأنيابكم ، وارفلوا بثياب الزهد والتقى ، وإياكم أن تنسوا ،
 فتسحقوا عظامى .
 اسحقوها إذا شئتم . . . فإسكل نفس يوم يرضيها ، وسماء تحميها . . .
 وأرض تفنيها .
 لكم أرضكم . . .
 ولى سمساتى !! ؟



ابن العذاب للعذاب

الى أستاذي ومرشدي
الأديب الكبير «مارون عبود»

هل التشاؤم هبة ؟ !

وهل اصطلاح الناس على نعمة حورتها الظروف فالتبست بما دانت ولانت ، ودارت وجارت ، فأضحت نقمة . ؟ ! هي التشاؤم ؟ !

لا أدري ، لا أدري ، ولكنني أدري ما يقال من إنني أجنح إلى التشاؤم ، وأمعن فيه ، فأسرف حتى لسكأن التشاؤم صفة في ... وجدت مع وجودي ، وعاشت وحياتي ، وقد يهون الأمر لو وقف عند هذا الحد ، ولكن هناك من يمعن في المآخذ على ويحكم فيقول في إنني أنا التشاؤم ، وهذا ما سمعته حقاً ، وما قرأته على صفحات الصحف في وصفي حقاً ، ولست أريد يا أستاذي أن أبرر سياحتي من هذا الوصف فأنا والسكون وما فيه من عيون ، ولطف وجبروت ، نخضع للدورة البشرية التي يبني عليها اللف والدوران في كل زمان ومكان ، وربما كان صحيحاً كل ما قيل . وربما كان خطأ كل ذلك . وسواء أكان صحيحاً أم غير صحيح ، فإن في الحالمين المتناقضين خضوعاً أراه رهين العقد النفسية أكثر منه رهين التجارب .

ولا تهمني يا سيدي تلك العقد النفسية الخاضعة للقليل والقال ، ولا يمكن أن تهمني يوماً أو تعينني بقدر ما تهمني وتعينني تجارب النفس للنفس .

وهكذا أراني خاشعة لكل نفس ، صابرة على لغزها ، مشابرة

على حلها ، واجدة فيها شيئاً من تهدئة الأعصاب . . . وليت ما أفادنى
منها يرجع على أصحابها بنفس الفائدة . وهيئات أن يصبح الداء دواء .
وهيئات . . . !! لا تظهر هذه العقدة على أربابها . . . تعباً
ونصباً لتكون وحيّاً من وحي للذى جاء من حيث يدرى ولا يدرى
لماذا جاء ، وعلام هو راحل ، وكله لطفة للعذاب .

يا أيها المتعذبون بقالكم وقيلكم على الحساب الفارخ ، صفّوا
أرواحكم ، وافهموا الحياة كما يفهمها أستاذنا الكبير مارون عبود ، وكما
يفهمها كل مفكر ، أنها لذيذة شافية ، إذا قرّبت من ائتلف ، وسافرة
إذا أبعدت من اختلف . إنها كما يظهرها ميكروسكوب الحقائق ، نار لاهية
في المستحيل الواقع فى شيء غير منتظر ، وغير متوقع ، وغير محتمل ،
ومع هذا نحن غارقون فى تفاهة الحياة حتى لسكأن التفاهة نعمة خالدة .
سلوا العباقرة : كم من عالم أحيته ذرة ؟

وكم من فيلسوف أفنته عبرة ؟

وكم من مفكر قتلتها نظرة . . . ؟

سلوا العباقرة : أى شيء فى الحياة يستحق أنة . . . وآهة ؟
وسألونى : إذا طاب لىكم السؤال ، وراق لىكم منى جوابه ، فستجدوا
نفسى تأمرنى قائلة : عاركى الظروف إذا بخلت وعفّت . . . عاركها كما
أوجدتك فى طريق العراك صدفة . وإننى لوائقة من أنك إذا عاركت
من تخافين . . يخافك من تخافين . . ولا عجب إذا انتقل الخوف منك

وإليك . . . وحذار أن تفلت منك لحظة ، من هذا الحد المفرط في
النعيم ، المسرف في الحقائق . . . في النهار الواهب عشق الليل . . . أرجعي
إلى الوراء ، وفكري ولو إلى لحظة في خيالات الماضي ، وصور الآتى .
فستجدين يا من أعياك الطيب ، وأغراك النعيم ، وسخر منك السرور ،
أن النتيجة تحت ميكروسكوب الأستاذ مارون تقول : إن ما استطبتته من
التفاهة ليس إلا صباية وهم الوجود ، صباية أثملتك لتسخر منك ،
وأغرَّتكَ قليلا لتضحك منك . ولذَّكَ لتستخف بك . . . فتد خلقت
والعذاب ، وما أسنى الفخر لآهة أطربتك فأحيتك ، وأحيتك فأماتتك .
وأخشى أن أعانذك يا نفسى فيكون منك لوم ، وأخشى أن أرجع
إليك فالوم ، للومك ، وأخشى أن يستيقظ ما غفا من عذابك فينتقل
تفكيرك من جو إلى جو ، كما انتقل من حرف إلى حرف عند الكتابة .
فما انتهى وما تنتهين ، إلا إلى الجمال فى العذاب ، فى عرش انتقالك ،
وانتقالك ليس بالأمر الهين ، ولكنه مدعاة إلى التأمل والاستغراق .
يا نفس أنت أولى بصبر أيوب . . . وأنت أنتِ أولى بمن يحافظ
على قلادة الله ، المعذبة . . . من عهد « يوسف » .

شاءها الله لك

واصطفاها لك

وأبدعها لك . . . ولك وحدك يا نفس .



للدائم نخل الحصاد

كلمة مهداة الى الأديب الشاعر خليل الخشالي
مع خالص الاعجاب بهزائمه .

● مواقف العظمة غريبة جداً ، تفسرها التجارب على كل حال ...
ونماذج الصداقة وخيمة جداً ، قلها تصدر من شخص لا يعرفك ...
وهبات الحياة لا تستحق الغلب وإن كانت شهية لذيدة ... لا تزدهر إلا
بين ميت وحي .. ميت هو حي .. وحي هو ميت ... وحقيقة الأيام
حلوّة ومرة ... حلاوتها شافية ، ومرارتها قاسية ... ولكن تجاربها
أفضل من العلم بها كما قيل :

« Experiences without learning is better than learning without experiences »

● ومع هذا وغير هذا ، فهي ماضية بنا وعلينا ، لا تمس ببداهتها
وعجبها إلا كل طيب ، ولا تقهر بشذوذها إلا كل حساس ... ولأجل
هذا وغير هذا لا تحي إلا كل عظيم .

وهذا ما يعجبني من الأيام وامتحانها . . . وأن إجتياي لبيتضاعف
حقيقة ، في أمرها الساحر الناهر . . وفي أسلوبها الزاهر الشاهر . . وفي
وعدها السائر الدائر . . الذي يكون كالهدف مع المرء أحياناً ، وعليه
أحياناً . . . وقد يكون في بعض الأحيان كالفرص تغلت من بين يديه .

أيها الأديب الناقد . . . كثيراً ما تتعاون الأيام والصدف ،
فتحسن الأيام لتسيء الصدف ، أو عند إساءتها . . . وتسيء الأيام عندما
تحسن الصدف . . . وقد تكون حياة لموت ، وموت لحياة ، وابتعاد
لمن اختلف . . . واقتراب لمن اختلف . . . في تعارف الأرواح ، وميزة
الأرواح عن الأرواح . . . بين غامط مخلص عرفته كما عرفته ، وحاسد
لثيم نبذته كما نبذته . . . وبين غبطة وحسد تسمو عبقرية التجارب من
التجارب في شيء ولا شيء . . . وتتجلى نزاهة الروح للروح في بعد النظر
وما لهذا البعد من تفكير ناضج على الوعي الناهض . . . وما لهذا النهوض
من أثر بالغ في تقدم الأمم ، والحضارات . والحياة ، كل الحياة لمن
يجب أن يحيا . . . والموت كل الموت لمن يجب أن يموت وهو حي .

وهكذا سيرة الأيام يا زميلي .

وهكذا نحن البشر لا نجني مع كل الأسف إلا على مواهبنا في
مقبرة الأحياء . . . ولا يقع في شباكنا إلا ضعفنا في وادي الضحايا . . .
والنظرة كما هي نظرة في كل زمان ومكان . . . وفي كل زمان ومكان
لا تختلف إلا في امتحان الأعماق . . . وما لهذا الامتحان في رد فعل

على الأعماق .. وما في هذه الأعماق من جذور ثابتة نابتة في الحياة أصلاً
تنمو ، ولا عجب إذا أوردت وأثمرت أصلاً .

ولكن المنجل في المرصاد ...

والحصاد في المراد ...

والأيام في التعداد ...

أظننا نتفقد كل الاتفاق على أن من ينظر إلى الناس من أعلى
جبال هيمالايا أن لا يستصغر من في السفح ... وأن من يقدم للناس
ورداً يحتمل أن يضربه الناس بألف حجر ، وأن من نراه وليد الحق ،
هو الحق بعينه ... وأن من نلصق هذوه ربما كان لا يعرف الراحة (كما
تطرقت جريدتا الراية والمنال الموصليتان في أكثر المقالات عنى وعنك)
وأن من كان شريفاً فن المؤكد أن حقيقته لا تخلو من النزاهة الحرة
والدفاع الخالص .

كل هذا يجوز ... ويجوز كذلك أن يكون لا بس جلد الحمل
ألين من ذئب (كما تفضلت فقلت في إحدى مقالاتك) .. وأن من تغرّه
الأيام ربما كانت تخدعه عن طريق التجربة ... وأن من تعذبه الأمانى
قد يجد في عذابها إياه أكبر نفع .

وقد يجد المتسرع في شيء .. ندماً في كل شيء .

وهكذا هي العظمة يا أستاذ ، كما قال فيها المنفلوطي : « لا يخدمها
إلا أعداؤها وأصدقائها » .

وهكذا أعدائي كلهم أصدقاء .. وهكذا أصدقائي كلهم أعداء ..
لو غربتهم (لما بقي سوى الغربال) كما قال أستاذي الصافي النجفي .
وهكذا بدأت أشك بالبعض . . . والشك يساورني حتى بنفسى
أحياناً ، وأصبحت كما قال النجفي :

خاب ظني في كل شيء وحدي

واعترتني الشكوك حتى بنفسى

كيف أرجو في الكون فهماً لغيري

وأنا قد عجزت عن فهم حسي

وهكذا تتزعزع الحياة مع مبدعها هبة فتبعثر جاحة .. !! وتنمو
لما لكها سلطة فتغني واهبة .

وهكذا تسير بنا سفينة العظمة ، وكما يحلو لها هذا السير ، ويشاء
رغماً عنا . . . ومنا . . . وإلينا . . . وعلينا .

وهكذا أنت وكما عرفتكَ ، لن تغيرك الأيام . . . ولن تندسك
الأوهام . . . ولن يعبت بك الغرور .

وهكذا لمست البعض كما لمستهم . . . وكلانا غريب عنهم . . . شرود
منهم . . . ساهر عليهم . . . راع لهم بالخير . . . راج لهم كل نجاح . . . أمل منهم
كل مؤمل .

وهكذا لازلت أقول : اكفروا بي لأعبدكم . ومنزقوني
لأجمعكم . . . واسخروا مني لأثق بكم . فأنتم كما أنتم . . . وأنا كما أنا . . .
والأيام بيننا على كل حال . . . وعلى كل حال فالأيام منجل الحصاد .

منك وإليك ..



قبلة

أنا لا أشرب .. نسي ! ولكنني أشرب
لا تذكر !! فاسقي ماء وديني .

ألا تعجبك القيلة !!

قبلة الأم في طهارتها .. والأب في حنانها ، والطفل في براءتها ،
والصديق في وداعتها ، والحبيب في هيولتها .. !!

ألا تلذ لك هذه القيلة !!

قبلة اللقاء ، لقاء من باعدته الظروف عنك ، وأدته على حين غرة ،
لقاء من تأكدت أن لا لقاء بينك وبينه ، فكان لقاء .

ألا تذهلك هذه القيلة !!

قبلة الوداع .. قبلة كل ما فيها يصور لك أن الحياة والموت أضعف
وأقوى من الشعور .. قبلة تريك يأماً ورجاء ، وضعفاً واعتماداً ،
سافراً كالنهار ، مانحاً كل شيء في شيء هو المجهول .. ولكنه .. أنت !!

ألا تقتلك هذه القيلة !!

قبلة السفر ، سفر من سكن أعماقك ، وسكنت أعماقه في ميول تسمرت ،
وصدفت أمرت بالفراق .. !! إلا فراق الروح في قبلة أسكرتك .. .
ما رأيك في قبلة صديق فاق أخاك ، وعشير كتم أسرارك ،
ومخلص كان البرهان في تجربة برهنت لك كل ما فيه ، فامست كل
ما فيك في قبلة ، كانت من أجلها التضحية والموت .. وكان ما كان .

ألا ترورك هذه القيلة ؟ !

قبلة النهاية ، نهاية غال عليك ، ودَّ أن يراك لو أن الموت يمهله ،

ويناديك لو أن الحياة تستقبله ، ويصافئك لو أن التني يرجي فيدنو منك
رغم الناس ، والقدر .. قائلا : قرب شفيتك .

ألا تلهيك هذه القيلة . !! ؟

قبلة البداية ، بداية حب ، بداية أمل ، بداية خاطرة ، وللنفس خواطر
تألفها النفس وتجهلها في آن واحد ، وفي آن واحد تعبدها رغم الكفر !!
ما معنى هذه القيلة ؟

قبلة شخص تتهناه في كل شيء ، وبينك وبينه عالم . . عالم دعوه
بالخرمان ، حرمان لحظة خلت إليها النفس واستبدت بها الجوانح . !!
ما غاية هذه القيلة ؟

قبلة العقل في الشعور ، والقلب في السرور ، والرجاء في الخبور ،
حيث الطرب ، والعذاب ، ورعشة الوجدان في المخلوق ، وحقيقة بحرها
نار ، ووجودها شرر .. فهل لك أن تخاطر بكل شيء ، وبهذا الكأس
الذي هو مني إليك ، من الأيام والأيام أنا وأنت ، كلانا مع الأيام . !!!
فاهمس لأسمك ، واقراء عيني لأفهمك ، وغن معي . . .
روحي معك .

ما معنى هذه القيلة !! ؟

قبلة تلمس روحاً بروح في الأمر الواقع لا محالة . . في طلاس نفس
لنفس ، وألغاز سر من سر .. تحي فيك حياة غيرك ، وتحني في غيرك حياتك .
ما سر هذه القيلة . !!

قبلة لا تريد إلا إقلاقك . . ولا تأمل إلا شجوك . . في أمل يزدهر
فيك . . وتزدهر فيه . . غالباً مغلوباً ، فتزهو بكل شيء ، كالخادع
المخدوع ، في قبلة هي كل ما تملك !!
ما كنه هذه القبلة ؟ !

قبلة تنقلك من حال إلى حال ، وتحيلك من سلطان إلى سلطان ،
فيهلك المجهول إلى مجاعة الحس والشعور ، ولك أن تحذر نفسك قبل
أن تحذر ربات الجمال والكمال .
ألا تشيرك هذه القبلة . !

قبلة ترددها الشفاء ، ولكن لا تعترف بها الحياة ، ويذوقها اللسان
وهيات أن تهممها الروح ، وتؤكد لها الظروف ، ويستخر منها القلب
بلا رحمة معترفاً لك بفارق سماوى يميلك إلى نفس تبحث عنها في مجاهل
نفسك لترى نفساً تفتش عن الحب ، والتضحية ، والإخلاص .
وهذه القبلة ؟ !

قبلة الجمال في الألوهية ، والكمال في الأبدية ، والسحر في خالق
ومخلوق يتجلى في دمة وابتسامة كانتا للوعي يقظة ، وللعشق نهضة ،
وما بين يقظة ، ونهضة ، تضع في قبلة صقلتها القدرة ، وهذبها الحقيقة ،
فجاءت في قبلة طفل كل ما يملكه منك براءة الحياة ، ونخشوع الحقيقة ،
وقد قال (طاغور) بهذا الصدد :

« في الحق أننى لم أسعد ، ولم يتصل ضميرى العاجز بضمير الله

إلا يوم أدركت أن الطفل في هذه الأرض رسول السماء .
ألا تخرسك هذه القيلة ؟ !

قبلة المساكين . . فيما عزّ عليك ما عز عليهم . . وهان لك ما لم ين
لهم ، مهما كنت ، ومهما بالغت فيك إصطلاحات البشر .
تصوّر محتاجاً يقبّل يديك ، فيفهمك أن سلطانك واقع على من
هم أضعف منك . . تصوّر من يراك ببصيرة قلبه أو يسمعك بأهة عماه .
تصور قبلة اغتصبت منك بالقوة ، فجالت لها دمة في تيه الظلام ، وفي
شر انفعالات الوجود ، في قبضة الخوف . !
ما سر هذه القيلة . !

قبلة تصرخ أن التوسلات الحارة من قلب طاهر تبلغ أسرار السماء
في حق لا يضيع ، وفي طبيعة لا تتساهل بهذا الحق ، وإن تساهلت
حتى بالخطيئة . !

وهذه القيلة . . ألا تعجبك ؟ !

إذا صوّرت كمالك ، وأبدعت جمالك ، وزادت بهامك ، ولكن
مع فضيلتك . !

فكّر في قبلة تقول لك : لا تشتر الحياة بالأعراض ، ولا تصل
المجد بالأعراض ، ولا تحمل الأوسمة بالفسق . . ولا تعتل المنبر بالظلم ،
ولا تصنّ الفضيلة بالذيلة ؟ ! .

قبلة تشهد بأن البرهان ضائع ، والجرم ذائع ، والمسؤولين
يرومون دائماً قتل الحقيقة ودفنها في خبايا الصدور ، من سلطان
الخوف والهلوع ، ولكن قصاص الطبيعة أفضع ، وانتظاره أروع .
فكّر يا من أسكرك خمر منصب ، وخدعك ليل سار . . فكّر
في أمور الحياة كما تفكر هي فيك صائداً أو مصاداً ، وضاعف
تفكير في .

قبلة الزاهد في صومعته ، والعابد في دير ، والساجد في جامع ،
فكّر في قبلة زهدك طالباً الغفران ، وطهرتك راجياً الأمان .
فكّر في شفاه صامته ، وعيون لن تكف عن الكلام ، وفكّر
في صورة هذبتك يوماً ، وصقلتك يوماً ، وأبدعتك يوماً .
ولهذا . . نعتوتك زاهداً .

وسموك كافراً .
ودعوك راهباً .
لتشرب كما أشرب .
أنا لا أشرب لأنسى ، ولكنني أشرب لأتذكر .
فما رأيك ؟ .



حافظنا بحسن ولائنا

أقدم هذه الكلمة هدية الى الكاتب الكبير
محمد سعيد العريان

أحب المرأة المؤمنة بالرجل ، المنمردة عليه ، الصاغية له ، العالمة به ،
الخالقة فيه كل شيء .

أحب المرأة الصاحبة من سكر الأيام والسكرى من صحو الصدف .
أحب المرأة الصريحة فى كل شيء . . الغامضة رغم كل شيء . .
أحب المرأة التى تعلمها الأيام ، وتمهذها الحوادث . وتصلها الأقدار .
أحب المرأة التى تقابل النار بالنار . . فتتوحش ألفة . . وتتعاون
متوحشة . . وتتئم أمينة . . ولكنها رائعة .

أحب المرأة الطموح . . يطهرها الألم ، ويفيقها النغم . . .
ويحييها العدم .

أحب المرأة الضاحكة ، وإن أرقتها الأيام ، وهتكها الحياة . . .
وعذبتهم الأمانى .

أحب المرأة العبقرية العميقة إلى أقصى جذور الحياة .

أحب المرأة التى يبدان لها مجد عظيم . . وخلق فتان .

أحب المرأة الصارخة فى كل شيء . . الصاغية لكل شيء . . المتمردة
على كل شيء .

أحب المرأة التى تخاف وتخيف .

أحب المرأة الخطرة المغامرة التى تتحدى حتى نفسها .

أحب المرأة التى تعبد الرجل .

أحب التي قال فيها القائد اليوناني المشهور « تمستوكليس » :
« أيتها المرأة ، إن الاثنين يحكمون اليونان ، وأنا أحكم الاثنين ،
ولكنك أنت تحكميني ، وهذا ابنك . . يحكمك أنت . . فأوصيه خيراً
بهذا النفوذ » .

هذه المرأة التي أفضّلها من بنى جنسى ، ولكن لا تخاف الله بقدر
ما تخاف المرأة إذا تنمّرت . . ولا تعترف بملاك غير المرأة إذا
أخلصت وإن كانت المرأة شيطانياً ، أو شيطان هي المرأة . . إذ أنها
بحكم سلاحها ، وما لهذا السلاح من قوة أضعف استطاعت ولا زالت
تبرهن أن لعالمها أثراً ، ولقدرتها سلطاناً . . هذا كل ما عرفته عن المرأة
وأنا امرأة . . لى ما لها ، وعلى ما عليها ، وفى ما فيها من ضعف أو قوة ،
جعلنى أصفها كما عرفتُها وكما شاءت الظروف أن تعرفنى عليها ، فكان منها
ما كان ، وكان منها ما لا يستحق هذا المكان ، وكان منها المثيرة بطبيعتها
المتعمدة بإثارتها ، وكان منها الشاذة العبقريّة ، المتمردة بشذوذها ، حتى
على حقيقتها ، وكان منها الاجتماعية طيبة أو ممرضة أو كاتبة أو شاعرة
أوفنانة ، وكان منها عظيمة استسلامها للقضاء والقدر ، وما فى هذا
الاستسلام من بداهة وعجب سواء تجلّى ذلك فى لوحة فنان ، أو نبوغ
عبرى ، أو قصة كاتب كالرافعى فى كتبه ، والعماد فى « سادته » ، وحافظ
جميل فى رائعته .

والأستاذ حافظ شاعر من شعراء العراق المجدودين ، على كل حال ،

ومعدور مع ذلك على كل حال فيما تطرق إليه من لمس أو حس أو تجربة ..
تجربة امرأة عابرة في حياته أم ثابتة ولسكنها امرأة ، ومن يدري فلعل
صورة تلك المرأة جعلت حافظاً شاعراً رقيقاً دان بشعره لعالم واحد ،
عالم المرأة ، وإننى لأذكر قول الدكتور طه حسين بهذا الصدد :

« ليس خلود الإلياذة يأتيها من أنها تقرأ فتحدث الذاكرة ، وتثير
الإعجاب في كل وقت وفي كل قطر .. بل هو يأتيها من هذا ، ومن أنها قد
ألهمت ومازالت تلهم الكتاب والشعراء ، وتوحى إليهم بأروع ما أنشأ
الناس من آيات البيان ، ولقد كان إيساولوس أبو التراجم جيداً اليونانية يقول :
إنه إنما كان يلتقط ما يسقط من مائدة هوميروس ، ويقول أيضاً :

« وإننى لأذكر أنى قرأت قصة تمثيلية هي الثامنة والثلاثون من نوعها
وقد سماها صاحبها « جيرو دو » بهذا الرقم لأنها كانت أسطورة صورها
سوفوكل قبل المسيح ، ومازال الشعراء والكتاب من اليونان والرومان
والأوربيين يتأثرون من تصوير موضوعها حتى انتهت القصص التي
كتبت عنها إلى هذا العدد الضخم ، وعليه فأنا لا أريد أن أتحدى حافظاً
عن طريق العناد ، فالتحدى بالعناد شيء ، والنقد النزيه شيء آخر ، وإننى
أدري تماماً أن التصرف الشعري وغير الشعري يكون أساسه الفكرة ،
ولون الأسلوب والقالب .. ومهما كان نوع الفكرة ، ولون الأسلوب ،
وحجم القالب ، فالهم أن تكون فكرة الشاعر واردة بمنظاره
الخاص ، وأن الخاص يمكن سماعه أو معرفته أو درسه أو التقيب عنه

بالنسبة للتاريخ ، ولكن من النادر التدخل فيه أو الإفراط في التدخل عن سبيل السخط أو الرضى - إن أمكن ذلك - بغية الوصول إلى ما يسمونه نقداً ، وأعنيه تحدياً وعناداً ؛ مع العلم أن التحدى والعناد ، يفقدان كثيراً من مزايا النقد ، إن لم يفسدها حتماً ، وإن فوز الناقد سخطاً كان أم رضى ، لا يؤول إلى نتيجة حقة مادام الأمر أمر تصنع والتزام ، ويستطيع الناقد لو تعمق ودرس وفكر . . أن يلمس النتائج مهما كانت بأسهل الأسباب وأبسطها ، كما يلمسها الطبيب النفسى ، وأغلب الظن أن النقد - ليس في العراق فقط - يفتقر إلى كثير من الأصول والتجارب والأدلة ليتبوأ الناقد عندنا مكانة لا ثقة تقوم على أساس من النزاهة .

أنا لا أنكر أن حافظاً من شعراء العراقي النابغين ، يمتاز بأفكار فنية قلّ أن تجود بها قريحة شاعر عراقي ، في يومنا هذا ، فقد عرفته كثيراً ودرست أفكاره أكثر ، فوجدته بعد أن تعمقت بدراسته وبما شاهدت ولمست أنه في الطليعة من الشعراء الناضجين ، وأنه للمرأة نصير مخلص ، يأخذ بيدها إلى أسمى الدرجات . وليس من العجيب أن نرى حافظاً أمامنا بما عهدناه فيه من الحشمة والاتزان والتصرف الأخلاقى الحميد قولاً وفعلاً ، عريق الأصل ، راقى البيئة ، كريم المحتد . نعم أنا لا أنكر أن حافظاً الشاعر المَهْدَب نابغ ، وأن له رأياً ، ولا أنكر أن قصيدة^(١) حافظ مثيرة إلى أبعد الحدود ، في الكشف عن عمورة من صور حواء .

قصيدته « بله الفاء وذكره » وسرد في المقال منتهية.

ولا أنكر أن لاستفزازها وقعاً عميقاً ، ولفسكرتها وبراعتها دويّاً أعمق ،
ولا أنكر أنها قبلت في زمن وفي تاريخ ، ولسكن القصيدة هذه لاتعنى أنها
تمثل فسكرة الشاعر في النساء كافة ، ولاتعنى أنها تمثل النساء كافة كما تفضل
حافظ فيها . . فإن المرأ يعجن مع الأيام ، ويختمر بفعل التجارب والعبر
ليكون خميرة جاهزة للتفاسل السكياوى تأخذ لتعطى ، وتعطى لتأخذ ،
وقد تغير الأيام حافظاً إن لم تسكن غيرته . . وتغير رأيه حتى في هذه
الصورة ، أو لعل الصورة تتغير مع الزمن فتغير رأى الشاعر وتبرهن
على خطئه في فكرته ، فيفشل من نفسه ، ويندم ، وتلك هى العظمة ،
عظمة التجارب للتجارب ، وعظمة الحقائق أمام الحقائق .

ماذا ترى سيكون رأى حافظ لو سأله رأيه في حواء عامة بعد كل
التجارب والحقائق ؟ فقد يكون متحولاً عن رأيه وقد يكون لما يزل
باقياً عليه ، وقد تكون حواء في نظره هى ، هى ، وهو لما يزل في امتحان
صعب مع وجدانه وروحه ومشاعره ، وقد يكون لذلك له العذر لأن
يقول كشاعر مرفف الحس وجد حواء بهذا الشكل ، فعبّر عن آلامه
وخواطره بقصيدته التى منها :

بله النساء وذكرهنه شر الحديث حديثهنه
مافتنة إلا ونا (م) فسخ نارها شيطانهنه
احذق بهن إذا اعتر من خيانة احذق بهن
ولربما كذبت عينك وهى نصب أثامهنه

ولربما كبرت سمعك وهو من شفاهه
ولربما كنت الرسو ل إلى حبيب قلوبه
فخذا من كيد النسا ء ومن جائل مكرهه
ويصدن عطفك والشر لك نحوهن وشوقهه
لا سلط الله النسا ء عليك في جبروتهه
في كل يوم وقفه لك في رهيب قضائه
فإذا صفحن نفسه غمرتك من إحسانه
وإذا عتبن فأى سم ما يج عتابه
الكل خود كاع لم أدر أين عجوزهه
قل للذى خص الذكور بنصف ما قد خصهه
لم نحظ حتى بالسوا ء فكيف نطلب ضعفهه

فلماذا يشور الرجال على الرجال قبل أن تشور النساء عليهم ؟ ولماذا
تشور النساء على الشاعر وفيهن ، أو على الأصح ومنهن ، المرأة التي
أوحت إليه بهذه القصيدة ، وإن الأمر لغريب جداً . . . وإننى لأضحك
من أمر النساء والرجال كلما أتذكر قصيدة حافظ هذه . . . وأعتقد أن
الرجل الذى أثارته قصيدة الشاعر لابد أن يكون فيه أكثر من عامل
من عوامل الغيرة والحسد ، والمرأة التى هاجتها القصيدة لابد أن تكون
غير فاهمة قصد الشاعر ، وما لهذا القصد من انفعال نفسى
مرجعه سوء التفاهم بين الشاعر والمرأة . . . المرأة التى يعنيتها الشاعر فى

قصيدته ، وليس كل النساء ، والتجارب في هذا السوء كفيلة جداً لتبرهن الحقيقة وإن كانت مرة للطرفين . . من الطرفين . والنتيجة الواضحة بيد الأيام وبمنجل الحصاد ، إذا كان حكم هو الحق وحكم يفتقر إلى حق ضائع ، ومادمتنا في طريق الحق واللاحق فلنستمع معاً على هذا الطريق إلى قصيدة (١) أخرى للأستاذ الشاعر كما ترفه عن النفس بعض الغناء قبل أن نأتي إلى النهاية :

رب رومية وما عرف الحسن
لآرام (رومية) أشباها
برزت من كناسها تنهادي
في عزيز من دلهما وصباها
عصبت رأسها بمنديل ورد
شغلتننا عن حسنه وجنتاهما
وأزاحت عن هالة الصدر شفا
طالما ذر خلفه قمرها
لوترانا وقد أطافت علينا
كيف يلوى بعطينا عطفها
نذريها باللحظ نقتنص البسمة
منها ما أفلتت شفتها

(١) هذه أبيات من قصيدة بعنوان (ليلة في الشوير)

كم نصبتنا لها حبائل أسر
فرجعنا وكُنّا أسراها
يا لها من غريرة ذات عجب
ليس للنفس حيلة في رضاها
إن تمشّت تكاد لاتطأ الار

ض اختيالاً ولا تمس ثراها

وبعد : هل لك أيها الشاعر أن تقول ممي :

يا للصدف !! كم تتعمد ساهرة قادرة ، فيما تريده منك ، وماتتحكم
به عليك ، وإذا بكما كز ميلين تحالفا على السراء والضراء ، وصديقين
اجتمعنا على الإخلاص والتفاني ، وإذا كان الأمر كذلك . فأنا مثلك
أيها الشاعر أعانى أكثر مما تعانيه ، وأقاوم ضعف ما تقاومه في أمر الناس
من أمرى ، وأمرى من أمر الناس ، وحيرتى فيهم ، حيرة هي الصدف
ذاتها . . فقد شاعت أن تعاكسنى فى كل شيء ، حتى فى مهنتى . . وإذا
شئت المزيد قصصت عليك أننى دعيت ذات يوم مع أحد الأطباء
الاخصائيين لفحص قلب أحد الأشخاص المرموقين من المعروفين
بالصلابة والإخلاص ، فلم يكذب الطبيب يرفع سماعته عن القلب حتى
التفت إلى يقول « همتك يا أختاه . . هيئى الإبرة اللازمة . . فريض مثل
هذا مصاب بمرض القلب يجب أن يكون المرء المداوى تجاهه طبيباً
نفسياً ، وأملى فيك كأملى من السماء » ، فشكرته على لطفه ، وبادرت

ياسعاف المريض ، وبدأت بتوجيه كلامي إلى الطبيب قائلة : « يقولون إن جميع الأمراض سهلة العلاج . . إلا مرض القلب — سألحه الله . فضحك الطبيب ضحكة عالية ، ولم تسكد تنتهي قهقهته حتى بدأ من المذيع ينساب صوت الشاعر حافظ في قصيدته في النساء ، فاتبه المريض ، وقد تضاعفت انفعالاته النفسية معنأ النظر من وراء المنظار المذهب ، ووجه السؤال إلى قائلا : « أهذا شاعر يا أستاذة !! اسمي . أهذا هو المعهود في شعرائنا . . القذف والسب بحق النساء كلهن ؟ ، وأدركني الهدوء التام مع قليل من التمسكير ، ذلك أن إثارة مريض كهذا تسكني لأن تلقى به في أخطر النتائج ، فأجبته وأنا حريصة على صحته بأنه محق ، وأن حافظاً معذور ويجب أن نصاتبه بالتى هى أحسن ، وأرى من الأفضل ألا يسمع المرء ما يشيره ، إذا كان المقصود من هذه الإثارة تخديش خاطره . . وتلافياً لموقف المريض أومأت للطبيب أن يقفل المذيع ، فاتقلنا بفعل السكوت من عالم الشعر والفن إلى عالم الطب والأطباء ، فاستطعت في تلك اللحظة أن أهدىء من ثورته وأزبل شيئاً من حملته على الشاعر ، فلم يكده يهدأ حتى بادر سائلا : « مارأيك يا أستاذة في طبيب لا يفهم إلا ابتزاز المال بشتى الصور ؟ » فابتسمت وضحك الطبيب الخاص وكنا نعرف أى طبيب يعنيه . !! فقلت : « إن الجواب يطول أكثر مما تتصور ، ولكن قد سبقني في الجواب الدكتور سعيد عبده يوم كان في سويسرة ناشرأ مقالة في صحيفة « أنخبار اليوم » تحت عنوان بارز :

« أطباء عباقرة »

« وأطباء حمير »

وفي نظري أحياناً أطباء أحمر من الحمير . . مع الاعتذار من
أطباء عباقرة .

فأعجب المريض الكبير بأرائى وتضاعف هذوؤه التام ، وأثنى على
كثيراً ، طالباً رأى فى قصيدة حافظ ، والفرق بين شعره وشعر الجواهري
وكان الأجدر به أن يحدد الفارق بين شعريهما لئلا تطول الإجابة وتشعب .
ولا أريد الإطالة ، أيها القارئ الكريم ، إلا أن أبين لك رأى فى
قصيدة حافظ ، رضى أو مسخط ، فالأمر عندى سيات . . فله رأيه ، ولى
رأى ، وله أن يحتفظ به ، ولى أن يحتفظ به وأسجله . . فالآبيات
الجميلة . . كانت خاصة لاعامة كما أدرى ، ومن يصرخ فى بيته يسمعه جيرانه ،
وأن من يطرق الباب الخاص دون إذن قد يكون نصيبه الجلوس
على عتبة الباب . . فأنا واثقة أن ثورة الجمهور على حافظ جميل هى أم
الإعجاب بقصيدته ، والآيام كفيلة بإصلاح نظرته إلى المرأة وفى المرأة . .
أو إصلاح نظرة المرأة فيه .

إن معرفتى لحافظ جميل كانت لا تقل عن معرفتى لطه حسين ، والزيات ،
وتيمور ، وميخائيل نعيمة ، والجواهري ، والأخطل الصغير ، والمرحوم
على محمود طه ، والمرحوم زكى مبارك صديق المرأة من طريق خفى .
وفى الحديث عن المقارنة بين شعر حافظ وشعر الجواهري أقول

إن الشاعرية بصورة عامة تعتمد على ظروف الشاعر النفسية . والجواهري
في رأي شاعر شاذ نصف عبقرى ونصف مجنون ، ولكنه بنصفه من
أشعر الشعراء في الوقت الحاضر ، وعلى الأخص في النواحي السياسية
التي يحاول فيها الضرب على وتر حساس يستدوقه البعض بالنسبة إلى
ميوههم واتجاهاتهم !! أما شعره الغزلي فقد صرحت برأي فيه للجواهري
نفسه فقالت : إنه شاعر جاف بالمرة ، وأن الجواهري لا يجيد إلا في الأدب
المكشوف كما هو الشأن في قصيدته (جرييني) وفي قوله في (خواطر) :

لو قرأت الخط الذي واسط النهدين يستهدف الطريق السويا
لتمشيت فوقه بالتمنى ووصلت الكنز الثين الحفيا
وفي هذا الباب يحاول الجواهري أن يطبق على نفسه قاعدة بودليرية
وبذلك أضاف التقليد إلى الشعر الفني ، فركت فيه تلك القوة وظهر على
شعره الغزلي الجفاف .

أما قريحته في الباب المكشوف ، وإذا أردت أن تضاعف شيئاً
من هذا الباب فعليك أن تقرأ قصيدته (جرييني) ففيها الكفاية على
صدق ما يقوله ، وإذا شئت أن تستزيد من كفايته فلك أن تقرأ من
قصيدة أخرى في هذا الباب قوله :

ولرغبة في النفس حائرة
مكبوتة يتطاير الشرر

وبنا سوانا - لأحياء بنا -

الجنوة الخرساء تستعر

فعلام تجتهدين مرغمة

أن تسترى ما ليس ينستر

وسويعة لا أستطيع لها

وصفاً . فلا أمن ولا حذر

أما شعر حافظ في هذا الباب (فعذرى) ما سمعت مثله حتى الساعة
هذه ولا قرأت . . إنه كالحسناء تزينها الحشمة وقاراً ، والحجاب روعة
وبهاء ، وعلى الرغم من أن الشعراء كلهم مجانين إلا أن حافظاً يختلف عن
الجواهري في معرفة دخوله إلى الجنون وخروجه منه بحذاء اسفنجي
فلا يحس المرء به إلا مفاجأة ، وأن مجونه من نوع سام ، روحى رفيع .
ومهما يكن فالشعور الفياض المتميز بضربة الإيقاع ، والإيداع
الفنى ، فى شعر حافظ أقرب إلى الهضم . . فهل آن لأستاذى الجواهري
أن يرعى قوة الشعر على الأقل ؟! وهل آن لحافظ جميل أن يرثى الجواهري
الحى الميت ؟ ويهتف باسمه كشاعر سياسى !

والخيرة هى حيرتى . . والإعجاب هو إعجابى . . لا يتضاعف خالصاً
إلا إذا وضعت سلاسل من الذهب على معصمى هذين الشعارين
الكبيرين . . وألقيت بهما فى صومعة المعرى قائلة :

« اذهبا فى حراسة المرأة . »

وأقول لحافظ ، وأنا واثقة بما أقول .. لا يجوز الإطلاق حكماً ، ولا

العموم بديهة . . ففساء كثيرات هن الشرف مجسما . . والفضيلة ظاهرة ،
والطهارة بيّنة . وفيهن البغي وفيهن المستهتر . . كما في الرجال فيهم الفاضل
والمصلح والأديب والأريب ، وفيهم المنحط والسافل والحقير .

هل لك يا أستاذي أن تحدثني بعد هذا عن آفة تحسبها الضلوع فتترجمها
الدموع بابتسامة تكفر عن الخطيئة !!

حدثني عن الفن الخالص إذا كان جذوراً في جذور !!
حدثني عن نظرة تركت سرّها وإرهاها لك في أخرج موقف !
حدثني عن لذة الخوف اطمئناناً ، ولذة الاطمئنان خوفاً !
حدثني عن شحوب القمر في سماء الراقع !
حدثني عن سعادة تطل ، ولكن . . بحديقة الألم .
حدثني عن دمة طرب وآفة غضب ونغمة استفسار !!
حدثني برعشة العبرات عن جسم تحكمت فيه روح ، وروح عبثت
بها الظروف والأقدار .

حدثني عن جسم ارتعد من فرط ما وهب .
حدثني عن صورة . . ولكن بألف صورة !
حدثني عن أيام سلفت . . وقل :
لقد كفرت بالمرأة . . وأنا أستغفر !!



أنا كُما أنا

مهداة الى الأديب الزميل خليل الخشالي
مع التقدير والاعجاب .

قولوا عني ما تقولون ، وما يحلو لكم أن تقولوا . . تحدثوا عني
ما شئتم جادين ساخرين ، ما دام الظلام لا يخيم إلا على بعض النفوس
الضالة فيكم ، في ضريبة ، شهادتها الحق والتجربة والإيمان .

اقذفوا بي إلى تجربة ، تبحث عن نفس هذَّبا الوعى الصارخ . .
اسجنوني في مغارة عميقة المدى ، حالكة الظلمة . . تعشعش فيها
الآفاعي فهناك أفضل مما لمست من بعضكم . . وقاومته لبعضكم . .
وشعرته من بعضكم .

أنا كما أنا . . أنا روح هاربة من ظلمكم وجوركم . .

أحترم ما تحسنونه جاهلين . .

وأقدر ما تقاومونه مساكين . .

وأشعر بما يحيطكم وتحيطونه . . حتى لو رجتموني بالحجار . .
وحرقتوني بالنار . .

لا أطلب إلا سعادتكم . . ولا أبغى سوى خيركم . . أنا كما أنا . .

دنيا وجدت على سطح الفناء ، ذاهلة من صغوى . . فهل وجدتم ما وجدت ؟

وسرت بسفينة الحياة طروباً . . فهل طرستم كطربي . .

ونشأت في أحضان العبرات بقلب من هبات الله . . فهل لكم

مثل قلبي ! ؟

أنا كما أنا . .

حياتي مثل حياتكم .. سنوات معدودات ، ووجودي كوجودكم ..
وجود عابر .. قاهر .. فهل ما أجله فيكم تجلونه في ؟ !!
أنا كما أنا ..

أنا شيء ولا شيء .. ! ! فلماذا تحاسبوني وأنتم مثلي أحرار
لا تحاسبكم إلا ضمائركم ؟ !
ولماذا تحرقوني ونفوسكم لما تتطهر بعد ؟ !
أنا كما أنا ..

أنا سرّ انبعث من مجهول يتفقد مسالك النجوم في طاسم مستغلق
تتنازع فيه الطمأنينة والقلق ويتقاتل فيه الموت والحياة .. ويختلط فيه
النعيم بالجحيم .. وتشترك فيه الرهبة بالإيناس ..
فهل وعيتم من أنا ؟ ! !
قولوا عني ما تقولون ..

قولوا إذا كنتم تمثلون حكمة السماء على الأرض .. ! !
وأفصحوا إذا كنتم قد حملتم عصا نبي ..
هاتوا معجزاتكم لترشدني إليها ضمائركم ..
هاتوا دلائل زهدكم لأعبد رسالتكم ..
هاتوا ما يقربكم إلى الله لأقف أمامكم عارية ..
يا زميلي .. قل لهم بلساني :
أنا كما أنا ..

أعبد ما تعبدون ، وأكفر بما تكفرون . . فهناك نفس تضحك
لأبكي . . وتبكي لأضحك .

أبكي . . لا كما تبكون .

وأضحك . . لا كما تضحكون .

أبكي لحالك . . وإن ضحكتم من حالي .

واضحك منكم . . فلا تبكوا لي .

قل لهم بلسان حالي وحالك :

كل امرئ وضريبة حياته . . وكل إنسان وقلبه . . وكل شاعر
وسمائه . . وكل وما تزرعه اليدان ، لتسقيه الدماء .

فلا تعتدوا بعمر مصيره الفناء .

ولا تكبروا بعقل هو سرطان الداء .

ولا تشمخوا تحت السماء ، وأنتم أهل الأرض بقدره لا زالت
مجهولة مثلكم .

ولا زالت الحياة معي ومعكم هبة وفلته . . أيقظها مركز دائري
يدور حول نطاق مألوف لا يخرج منه إلا والدولاب يدور بنا وعلينا
سامعين . . خاشعين .

فاعلموا أنه دائر . . وافهموا أنه سائر . . وثقوا أنه أنتم . .
وأنه أنا . . يلف ما بيني وبينكم . . وما بيننا نقطة يسمونها مركز المستحيل

الواقع .. وكل ما أخشاه أن يذهب المسكين منكم إذا اختلت
الموازنة .. واستفحل القدر .

لا زلت أضحك لأبكي .. وأبكي لأضحك ، وأخشى لأطمئن .

أخشى منكم على نفوسكم ، ولا أخشى منكم على نفسي .

أنا كما أنا .. يا بشر .

أعرفكم كما تعرفكم الأيام .. فلا أخاف منكم . ولكن خافوا من
أيامكم ، فهي مدرسة نتيجتها امتحان خطر تجتازه النفوس ، والويل
لمن يضحك في واقع حزين .

أنا كما أنا .

فكرة تمردت على مجتمع في ليالي تكاثف في حجبها الماضي فنكأ
بالحاضر .. والمستقبل أشباح غامضة تائهة تنو مثل إلى وجه طلق بسام
يسمونه الحرية .

أنا كما أنا .. وأتم كما أتم .

أنتم والأيام والصدف .. وأنا معكم على نفسي فكفوا عني يا بشر
ما دمتم قبوراً أخطأ مكانها الجهل فاستقرت قرب دار يتخبط فيها
الحى في ملتطم عبا بكم .. ويطمر الشاعر بين أمواتكم .. وتقصون أجنة
الطائر ساخرين لاهين .. ضالين متطفلين .

فعلام تبكون كما أبكى ؟

وحتاماً تضحكون كما أضحك؟ . وتؤكدون أنني أجهل الخديعة وإن
راقت لكم .. وأكره الظلم وإن طاب لكم .. وأحارب الخضوع
وإن لذ لكم ..

كل مالى قلب ..
فخطمه به ليعمركم ..
ومزقه ليجمعكم ..
وادفنه ليهيىكم ..
كل ذلك .. باسم الحق ..
والحق بيننا على كل حال ..





في مهبِّ الريح

أوحى لي بهذا المقال ، مقالة خصني بها
الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات .
فليكن هذا المقال منى هدية الى الأستاذ محمود
تيمور ، ومنه الى الزيات ، والمعنى في قلب
الشاعر ، كما يقولون .

قال الزيات في رسالة له بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٢ :
« يحلو لي أن أهرب أحياناً من زمني الحاضر . لأثقاله أو إملاله
فأرجع إلى ذكرياتي ، أجتر منها ما ألد ، أو إلى مذكراتي ، أقرأ منها
ما أحب » .

وفي هذه الساعة التي أكتب فيها للرسالة شعرت بضيق في الصدر
والفكر ، فألقيت بالقلم وقلت لنفسي : « لأفرج الهم بالرجوع إلى دنيا
الماضي ، فلعل في أصدائها الباقية مايؤنس هذه الوحشة » ، فتذكرت أن
شهر يناير قد عودني الجميل فيما مضى من عمري ، فقد سجلت فيه أكثر
ضحكات القلب . وحسبي منها ميلاد ولدي : رجاء ، والرسالة ...!! وفتحت
مذكراتي عن صفحات هذا الشهر فوجدتني قد كتبت في يومه العاشر من
عام ١٩٥٠ هذه السطور :

« ألقى البريد الجوي إليّ في صباح هذا اليوم غلافاً من العراق على
ورقه طابع الذوق ، وعلى خطه سمة الظرف ، فلها فضضته وجدت فيه
رسالة وصورة . قرأت الرسالة والإمضاء ثم تأملت الصورة والإهداء
فإذا هما لآنسة من أوانس بغداد المثقفات ، قد أولعت بالأدب ،
وأغرمت بأهله ، ثم عدتُ أقرأ ، وعدتُ أتأمل ، وطال تردد البصر
والفؤاد ، بين الصورة وهي رسالة الجسم الجميل ، وبين الرسالة وهي
صورة الروح النبيل . حتى غاب حسي في سكرة من سكرات الأحلام ،

ترأت لي في خلالها أطياف من تعاجيب الهوى والشباب . . . تتراقص
نشوى في أزقة « الوزيرية » و « رأس القرية » من مغاني بغداد العزيزة ،
وكلما عاد الحس أو كاد . . نظرت إلى الفم الحلو الذي يريد أن يتسم ،
وإلى الطرف الأسور الذي يهم بأن يقول . . . وإلى الشعر المغدودن
الفاحم الذي يسيل على الأذنين وأطراف الخدين فيجعل الوجه كله صورة
من الفتنة ، فتعود إلى الغفوة ، وأعود أنا إلى الحلم . . وأخيراً تخلصت
من سحر الصورة لأرى صاحبها الأدبية تقول أول ما تقول :

« أعتذر إليك في الكتابة والإهداء على غير تعارف » ، ولم يخل
اعتذارها الصريح من احتجاج ضمني على العرف الذي يفرق في مثل هذا
الصنيع بين الرجل والمرأة .

ثم تحدثت طويلاً عن صلتها بالرسالة . . . وحرصها على أن تقرأ
كل ما أكتب ، وخصت بالذكر رثائي للرحوم « على محمود طه » . . .
وخرجت من ذلك إلى الكلام عن شاعريته وعبقريته . . ثم طلبت إلى
آخر الأمر أن أخصص لتأيينه عدداً من (الرسالة) أكتب أكثره . .
كل ذلك في أسلوب رقيق دقيق يوحى . . . ولم أكد أستوعب الرسالة
بفكري ، وأناقش موضوعها في سري . . . حتى تناولت القلم وفتحت
الألبوم وأجبت على الرسالة برسالة ، ورددت على الصورة بصورة . .
ولكن هيات . . ووا أسفاه ! ! لن تجيب رسالة عقل على رسالة قلب ،
ولن ترد صورة قبيحة على صورة « مليحة » . . ما أيسر السعادة على
ابن آدم لو يدري أو لو يريد ! ؟

إن كلمة من قلب مفتوح .. أو بسملة من شفقة بريئة .. أو نظر
من عين مليحة .. أو فقرة من رسالة شاعرة .. أو قسمة من صور
فاتنة ، لتستطيع أن تنير ما أظلم من قلبه ، وأن تفرج ما اشتد من كربه
إن السعادة يا مليحة فتات وفترات ، فلا تكون في واحد حشيش ، و
تدوم في زمن متصل .

المخلص

أحمد مصوع الزيات

بعض من طبق الأصل !

بغداد ١٠ / ٤ / ١٩٥٢

أستاذى الزيات :

ألف تحية على قلبك الطاهر ، وأسلوبك الباهر ، وبعد ، فقد قرأت
رسالتك في أحضان الدسم ، وقرأتك في مهب الريح .
فهل تسمح أن أخط ما قرأت ؟

وهل إذا اجتمع الجمال والمال والكمال كان في ذلك ما يكفى مؤونة
قلب ، وذخيرة عاطفة ؟ !

لا أدري ... ولكننى أدري أننى فى مهب الريح ... فى مهب
الريح .. والأمانى هول هائل .. وشر قاتل ، وبلاء نازل .

فى مهب الريح ... وقد يقف الحائر من أصدق الناس .
مواقف غريبة عجبية لا يفسرها حتى الزمن . ! فى المهب العنيف ..

أيقظتني الريح حتى أثقلتني ، وألحت عليّ كثيراً في صريها حتى أسأمتني !
وكثيراً ما سألتك أيتها الريح :

أأنت روح في سرّ ألم . ؟

أأنت رعشة خالق .. أم خطيئة مخلوق ؟ !

أأنت تمتع وحرمان ... أم عدل وبهتان ؟

أأنت ماضٍ كاسف .. وحاضر خاسف .. ومستقبل كاشف !

أأنت أنا .. أم أنا أنت ؟ !

لا تظني أني أسخر منك ومن عالمك .. فأنا أسخر حتى من نفسي ،
ومن عالمي .

على مهلك ... يا هبة ربانية ، ومنة سماوية ! يا أسراراً لا زال
غموضها بعثرة الوجود ، ووجودها حرقّة الواقع . !

يا آهة ساحرة ، وأنشودة عابرة ، وأسطورة ساحرة .

ما هذا الحبوب ... !! وعلام هذا الطغيان والتمرد .. أما آن لك
أن تخلدي إلى الهدوء والسكينة ولو إلى لحظة !

حدثيني بلغتك الصامتة !

وأجيبني بدمعك العاصي ، فهناك وعي يسأل ويلح .

ما هذا التصرف ؟ وما سبب هذه البعثرة ؟ !

أتحاولين السخرية في عالمك وأنت عالم ؟

أُتبتغين الجحود في نعمتك وكالك نعمة !

ثورى بوجهي . . فقد سئمت وجوه الناس . . وتيهي في عالمي . .
فقد كرهت عالم الحقيقة . وتيقظي بدخيلاتي . . فقد عبت أعماقي . .

ثورى أنت وصريرك !

وتيهي أنت وعنفوانك !

وتيقظي أنت وطغيانك !

بلا خمر أسكريني .

بلا أمر أصحيني .

بكل سر أيقظيني .

اجمعيني كالموت .

ومزقيني كالقناء .

وعذيني كالوجود .

أيتها الريح :

فقتشي عن شاد بحر الألم .

وابحثي عن طروب قبل الغروب !

وافهمي . . أنا أنة الحرمان . . أشكو مبدعي . . في دمة عبر . . .

ونعمة دهر .

أنا سر من سر إلى سر .

أنا المستحيل في الواقع . . والعجيب أن يكون المستحيل واقعاً !

أنا مثلك .. نسمة تلو عاصفة .. وعاصفة إثر نسمة .. نخذي
منى أضعاف ما تريدن ، وتحكّمي حتى بنفسى .. وإياك .. إياك والخيلاء
في القوة !

وإياك .. والتعنُّد في الضعف !
وإياك .. والاعتداء على الآمنين .

أيتها الريح : قولي للزيات .. لا يستقيم الحق إلا على ضحاياها !
ولا ترتوى الإنسانية إلا من مبدعيها ، وأنت الحق ، وأنا الضحية ،
وأنت الأيام ، وأنا التجربة ، وأنت أنت .. وأنا أنا !

قولي للزيات : « لف جناحك بجناحي ، وسر معي كالريح من غير
وعى ، إلى الشرود يوقظه الشرود ، والانطواء يثيره انطواء .. والحياة
يبعثها الموت ، والموت تهدده الحياة ، إلى عيون أحيائها العدم ، وأيقظها
النغم ، وخلقها الإظلام فارتعشت مثلي ومثلك في مهب الريح .

بوحى أيتها الريح للزيات بأنى جزء منك ، خلقت كما خلقت ،
ووجدت كما وجدت ، دمعة من ابتسامة ، تسأل من أين ، وإلى أين ،
ولماذا نحن سنخفاء في كل شيء ، رغم كل شيء ؟ !

أواه .. إن اللين لا يتفق وملسك ، فهاتى أمانة الأيام بكفى
وكفك ، هاتى يدك ، وكفى لعلمة واضطراباً ، تعالى أيتها الريح وغيرى

يجرى التاريخ ، حيث لا تاريخ ، وإنما : الخير والأمر ، والسر والجهر
والعبادة والكفر .

قولي للزيات :

أرى وهماً فيّ وفيك ، وهماً في الدنيا والوجود ، وهماً في كل
ما أحاطنا من : لا . . . ونعم .

سلي الزيات :

ما وراء هذا الوهم ؟ ما أمامه ؟ ما سره ؟ ما نسيجه ؟ . وثقي أنك
سوف لا تسمعين منه إلا كلمة معلقة في فم المجهول لا يروح بها إلا إذا
نطق وأخرس بخته ! ثقي أنك سوف لا تلمسين منه إلا سرّاً عجيباً هو
كل الوصف والعبارة . . صدقيني سوف لا تحسّين غير إفق نائراً تكأ على
وهم الوجود وعلىّ وعلىك .

سأبني وسلي الزيات :

مُلْكٌ من هذا الوهم . . أم من ممتلكاتك ، أم من ممتلكات نفوس غاب
عصرها حيناً ، وحيناً ظهر . . أحتار بما أجيبك ، وأنت كالزيات تخلقين
من صورة ألف صورة ، للعشور على صورة لا تقل عن الوهم عصياناً
وطاعة .

أيتها الريح :

إن في النفس أسراراً لا يعرفها الزيات ، إلا إذا وقف على الحقيقة

وأن في الحياة ألغازاً لا تكشفها لنا التجارب وإن كنا الضحايا .
وإن معجزات الكون لا زالت خفية مثلي ومثلك ، ومثل الزيات
وغیره ، فاضحكي مني ، واضحكي الزيات ، كما أضحكيتني .

قولي للزيات — أيتها الريح :

ما الذي غيرك ؟ أوصافك ؟ أصورك ؟ أخواطرك ؟ إحساسك ؟
إضطرابك ؟ أعنفوانك ؟ أفكارك ؟

قولي له : إننا نتشابه في شيء محدود وغير محدود ، فلماذا لا يدوم
حتى هذا الشيء ؟

هزئي هذه النفس ، واملئي هذا الوعي رعدة وقشعريرة ، لأنني
مثلك دين ، شهداؤه القلوب الكسيرة .

قولي له عنى :

إنني أرى العدل مهدماً ، والظلام مخيماً ، والطغيان قد سما حتى تجاوز
السما ، فلماذا لا تحترق هذه الأرض ؟ ولماذا لا تجف البحار ؟ ما دامت
القلوب غادرة ناكرة ، في زمن لم يبق منه إلا المكر ، والجريمة الشنعاء !
أيتها الريح :

أجاريك اليوم ، ولا بد من لعنتك غداً ، بدليل أن هدومك زلة ،
وحكمة ، واضطرابك زلة وحكمة ، ووراء كل زلة وحكمة وقبلهما
حكمة وزلة .. وبئس العالم الذي يفتقر إلى الفكرة قبل الأسلوب
والقالب !!

بلغنى أيتها الريح تحياتى للزيات ، وأفهميه أن الكفين لا تتصافيان
دون زلة وحكمة . . كوني أيتها الريح حكمة بعد زلة . وزلة بعد حكمة .
ولك أن تسقينى راح الزمن كما أسقيتك من قبل .
أسقينى أنا فى مهب الريح .





بیانکا انعامی

[مہدافہ الی الکاتب الکبیر محمود تیمور]

من وحي ممتاز مستشفى مير الياس الذي
تبرعت بتشيدته السيدة حيايه موسى سنة ١٩٤٧

هل يهون كل شيء في سبيل الحياة ؟
هل الخالق الذي أبدع القدرة بما فيها من عجب وبداهة المسؤول
الأول عن الأرواح المعذبة ؟ !

وهل ما نلسمه عن المستحيل . . هو الواقع !
ما الواقع ! ما المستحيل ؟ من نحن ؟

للجمال أن يشير كما أثارني . . .
وللشباب أن يقتل كما قتلني . . .
وللوداعة أن تأخذ كما أخذتني . . .
والأيام أن تعلم كما علمتني وأغنتني ، ولا من فارق بين الرحمة
والقسوة . . مادام الأمل قاتلا والرجاء أقتل . . ولا من بون بين الليل
والنهار مادامت العبارة التي ينطق بها كل حي ، ويخفق لها كل عرق ، تعترف
بقدره الصدف . . ومادامت لهذه القدرة القوة الفعالة على المؤمنين
بالعذاب والتعذيب .

لست أدري لماذا تجنى الصدف حتى على البريء ؟
ولست أدري الفرق بين البريء والمجرم مادامت الضريبة واحدة
لا تعترف حتى بالفارق .

استبدت بي الذكرى ، ورجع بي تاريخ الحياة إلى مهد الحياة ذاتها .
عندما تخيلات تلك العيين الساهمتين بموج الألم ، وعندما تعمقت بالنظرة

الكامنة بكل حركة من حركات الحس والشعور أتفحص طفلة سمّرت
نظراتها فيّ كأن هناك سابق معرفة .

يا إلهي .

لمن هذه السمرة النارية ؟! وهذا الشعر الزاحم تمايير الليل . . .
المتماوج ، وجمر الشوق في الشفق !

الخالق وقد أجاد ! أم للفناء المنتظر ! هذا الجسم العاجي . .
اجتمعت فيه كل أساطير خوارقك يا إلهي !

إنها قدرتك فيما تبدع .

وعظمتك في سر الذوق .

وسلطانك بريشة الإبداع .

لقد تركت الوظيفة من زمن طويل ، ولست أعلم كيف أجاتني
الظروف إليها من جديد ، ولماذا !

لقد . . . كانت بطلا القصة تلك الطفلة . . . وكان الأمل فوق القوة

في شفافها . . . وفوق الصبر في احتمالها . . . وفوق الألم بشعورها .

ولكنها كانت على الرغم مما أبدته من براعة في الصبر والاحتمال . . . لم

تفتقر لحظة إلا للشور ، ولم تسكن لحظة إلا للتحنن لو ثوب .

إنها فكرة لو دامت . .

وأسطورة لو عاشت . .

إنها فوق ما يتصور ^{وررت} من جمال وروعة ، حين لحقت بأماها في المطبخ

تستفسرها عن عيد الميلاد ، وعن هديتها بهذه المناسبة ؟ وعن اللعبة
الناطقة الحلوة ؟ وكان أن ردت عليها أمها بحنان تضاعفه قبلات خاطفة :
— دعيني الآن . . اذهبي إلى الحديقة . . العبي مع أخيك .

إلا أنها لم تسمع إلا نداء القَدَر يلج أعماقها من حيث لا تدري .
وقالت الطفلة :

— حدثيني عن بابا . . ماذا اشترى لي ؟ أريد ساعة للعبتي أيضاً !
وفي دقيقة عَجَل . . ثارت الأم على ابنتها . . مستدعية المربية
أن تأخذها إلى ساحة الدار . . كيما تنتهي من واجبات الميلاد ، وعلى
الأثر دخلت المربية وارتبكت الطفلة ، وهربت خائفة مذعورة . .
فإذا بها تسقط في قدر ماء فائر يغلي ! ! فيتعالى الصراخ .

ويتعالى معه نداء القَدَر ، ويلج الجوانح ! ألا ما أعدل الصدف
وما أقساها . . تجعل الشعور فوق الشعور . . شعور القوة في الضعف ،
والجمال بهذه القوة ، وذلك الضعف ، والحياة بهذا وغير هذا . . أدوار .
دور طفلة لاهية تفهم العبث واللغو لدمعة وابتسامة .

دور شابة مغامرة تريد تضحية . . أية تضحية ، فإذا بها طعام النار .
دور عجوز داهية تأمل كل شيء بعد أن فقدت كل شيء !
وأعود فأقول متخيلة من الماضي .

قالت الطفلة وقد ارتسمت على وجهها الخطرات واضحة :
— إنني أحبك . . شرط أن تبعدى الطبيب .

فأجبتها :

— يا صغيرتى .. إن الحب لا يعرف شروطاً ولا يتقيد بسدود حتى ..
فضج أهلها بالضحك .. الذى قطعهُ دخول الجراح (سوستمان)
الذى قلت له على الفور :

— لماذا أعبد الأطفال يادكتور؟

— لأنك حتى مع الأطفال فيلسوفة ، هل فتحت الحروق؟

— الرباط السطحي فقط نظراً لمتاسك طبقات الجلد ...
والشاش ، بقوة .

— أعطف في العمل أيضاً؟

وابتدأ بقسوة الجراحين الأساتذة وقال :

— لعن الله الصدف ، إنه حرق لعين .. أخرجى من الغرفة .

وفى سياق ثورته سحب الشاش بقوة أفقدتني رشدى ، والطفلة
تحتضن صدرى ، وترتجف من الخوف والألم ، وراح الجراح كعادته
يكلمها بكلمات عربية تعود أن يبلع أكثر من نصفها ، فأشار إلى إشارة
خفيفة تدل على أن العلائم أخذت في التحسن فى الإليتين والذراع
الأيمن والبطن ، وعندما تأكدت من هدوئه .. بادرت سائلة :

— لماذا يستعمل بعض الأطباء الماء المعقم «السيلاين» ، أو دهن
الزيت فى رفع الشاش فى حروق كهذه؟
فصرخ ضارباً الأرض بقدمه :

— هذه طريقة قديمة في الطب ، فهل سمحت بإعلامي بطريقة الطبيب الذي تفضلين ؟

— أفضل طريقة التجارب ، تجاربي يادكتور .

— وما اسم الطبيب ؟

— أنا . . يادكتور .

— ويحك . . أتعلميني !

— للأيام أن تعلمك يا أستاذي .

وسكت ، فدندن بالألمانية لئلا أفهم قوله ، ثم أردف بالإنجليزية :

— نادى بعض الأطباء إلى هنا ، فمن الأوفق أن نعطي للطفلة ،

« بلازما » (دم) .

ولم تمض لحظة حتى اجتمع الأطباء والمساعدون وأحضر كل شيء حتى لسكان الخطورة تدفع الجميع إلى تنفيذ أوامرها تنفيذاً كل ما فيه شيء من التفكير الفارغ ، وراح الجراح سوسثمان يتحسس مواضع الأوردة في الذراع ، وبقاة قال :

— جسي يافيلسوفة .

— لا أتفق معك في وريد كهذا .

— لنجرب .

— دع التجربة يادكتور ، فإن أمامنا طفلة . وعلينا بتبادل الآراء .

— لا مجال للتفكير . . امسكي ، هنا .

ووخز قدمها وعنقها ، وتعالى أصوات الألم من الطفلة ،
وسحبت نفسها تدنو منى أكثر وأكثر . وأخيراً .. لم أدر ما الذى دفعنى
لأسحب الرباط من يد الجراح ، ولم أدر أيضاً كيف احتتمل الجراح
منى هذه الخشونة أو ما يشبهها فى تبادل الآراء ، وكيف ابتسم قائلاً :
الرأى رأيك .

قلت :

— من رأيت أن تجرب فى وريد هذه الذراع ، فقد يكون الأمر
أضمن للنجاح .. جرب هنا ، أو اعطى لأجرب .
ففعل ، وانتهت المشكلة فى مثل لمح البصر ، وتبادل الأطباء نظرات
الاستحسان والرضى وتذكرت حينذاك قول الصافى النجفى :
أصبحت أستاذاً فزدت جهالة

فلقد فقدت تواضع التلميذ
وتمتت بهذا البيت .. فضحك الجميع ، وانتهينا أخيراً على صوت
الدكتور (باليان) يسأل عن الطفلة بيانكا .. حتى إذا شاهدتها أكد
كز ميله الجراح أن هناك تحسناً كبيراً ، وأن لا خطر عليها بالمرة .
فترقرقت فى عيني دمعة وأنا أقطع مع الدكتور باليان بضع
خطوات ، فالتفت إلى يقول :

— قليلاً من الصبر يا بروفيسورة (وقد شاء أن ينعتنى هكذا كما شئت
دائماً أن أنعته بلام آن) قليلاً من الصبر يا عزيزتى .. إن الشعور الفياض

أعظم ضريبة على خدام الإنسانية . . مثلي ومثلك ، إنه يكلف فوق
ماتصوريين !

ولم يكمد ينتهي من فحص مرضاه حتى صادفت الجراح سوسيهان
الذي سياني مشى وثلاثاً كعادته ، وقال عاتباً :

— لازات فيلسوفة مع الأطفال ؟

قلت — يحوز .

وسرنا معاً تبادل الحديث أخذاً ورداً بخصوص مديرية
مستشفى ميرالياس والأسباب التي جعلت أكثر المرضى يعترفون بالراحة
فيها حتى انتهى بنا المطاف إلى الإدارة ، وحدثته هناك عن مشروع
إنساني كبير . . كان الأول من نوعه في العراق . . هو مستشفى الأمير
عبد الإله الذي يعتبر من أعظم المستشفيات ليس في الشرق فحسب .
فقاطعتي كعادته من حيث لا يشعر — وقال :

— غريب أن يكون في العراق مشروع كهذا ؟

— لاشيء غريب تحت الشمس كما قال جبران .

فابتسم ، وهو شديد الفرح لسماحه بنجاح المشروع وقال :
— فنبجان قهوة .

فقلت للخدام — هات قهوة أبرد من الثلج .

فقال الدكتور — أنت فوق مستوى الجنون حتى

— كانون الثاني . . قهوة باردة ؟

— دهن الزيت ، أو السيالين يساعد الجراح على رفع الشاش ؟
فضرب الأرض وضحك قائلاً :

— كل وطريقة علاجه ، وأرجو أن تعلمي أن آراءك لطيفة جداً ،
وفعلك تجاه المرضى اللطف بكثير ، وهذا ما جعلك بنظري موضع ثقة
الأطباء .

فشكرته .

وتركته بعد هذا قاصدة « بيانكا » ، ولكن ماذا رأيت ؟
رأيته غير الطفلة التي تركتها منذ دقائق .. لقد كانت تقترب رويداً رويداً
من الخطر ، وتدنو شيئاً فشيئاً من النهاية .. فهرولت إلى الجراح أبشّه
مخاوفي .. فما كان منه إلا أن أطلقها ضحكة عالية وهو يتهمني بالخوف
والسذاجة ، وجاء يفحصها ، وتعالى ضحكته وهو يؤكد قوة قلبها ،
وكنت أشك كثيراً من أن يكون الجراح يخفي أمراً ، فقررت أن أسهر
معها الليل علاوة على واجب النهار ، وكانت الليلة كعهد الليالي .. دمعة
تضحكني ، وابتهامة تبكينني .. وقائمة الجراح أمامي أن استعمل إبرة
خاصة للطفلة كل نصف ساعة .

ولسكن .. لم تفد القائمة وما فيها من دواء ، ولم يفد الأوكسجين ،
وازدادت الطفلة تبلاً ، وتغيرت من سيء إلى أسوأ .. وراحت
تضرب وجهها بيديها الناعمتين ، وتصك لؤلؤ أسنانها صكاً ، وهي تهم

أن تضع سبابتها يديها .. فوضعت سبابتي بدلا منها .. فأطبقت بألمها
عليها حتى كادت تقطعها ، وفي لحظة ..

انبلج الصبح .

وانبلج الواقع .

حملت سعاداي جثة أجمل طفلة .. تتبعني بأسي مرير .. أسرة

الآطباء والممرضات والموظفين بدموع تسأل :

ما المستحيل ؟

ما الواقع ؟

من نحن ؟



أنت

هذه سطور أوحىها الي صورة كاتب كبير أراد
أن أكتبها بخاطر .. ولانفس خواطر ..

● أنت حلم تناهى من حلم إلى
حلم . فى نشوة أبدعتها آهة طرب .
وأيقظها وعى . ولكن بهمس
النغم .

أنت بلبل . . سره وآه ، وتغريده دواد ، .
أنت . . آيه مفضوح فى إجلال ، ولكن بصمت .
● أنت شخصية باهرة نفذت من مكنون إلى مكنون ولكن
بعصارة قلب .
فى حس خفى ينشد المعانى فى إجلال الأمانى ، ليحيا بكل أمل ،
ولكنه لن يموت دون حب . . !!
أنت بغية أفاقها المحن ، وأودعتها العبر ، فهايتنى لتؤمك ، وأفاقتنى

لتهمس في أذنك أسمى آيات القوة في الضعف ، في خاطر لجوج طروب
يوصف ولكنه لا يحتمل .

أنت بحر ، أسرارهِ الدرّ والجوهر في نسمة إثر عاصفة .
أنت ظمأً أبدياً واهب سرّ العطش . . . أنت قصة خالدة لن
تكتب إلا بسهم الحب !!

أنت صفاء تجلّي في عينيّن ساهمتين ، شوقاً ، تنشدان وفاء ، في
وجه حسن . . !

أنت روح أشرقت للفجر شعاعاً ، وللنور يقظة !
أنت روعة نار ، وهمسة شرر ، وبغية بصر . . !!
أنت دنيا تركت رغبة جسد طيني ، في أبهى صورة ، ممدودة ،
ذكرتني بذلك الشاب الذي هام بامرأة رائعة ، حتى إذا ما دنت ساعة
الفجر ، راعته هيولة الخالق في المخلوق فقال لها : اغفر لي إلهي ، فقد
شاهدتك كأنما ألوهيتك في قلبي ، مكثفياً بتسيجي إليك وصلاتي أمامك
أنت ، تاركاً لذّة الجسد ورغبته جرمة لإجلالك ، حتى إذا ما فارقت الروح
الجسد وودعت الحياة كان النصيب من كل هذا الفراق الجنون والموت .
فيا فتنة لن تنشد سوى السماء .

ويا ألوهية لا تأمل إلا البقاء . هذا نخبك فاترعيه ، وهذا صدادك
وما أعظمه من صداد ، وهذا وعيك فاذكريه . بأنت . وأنت هوّل
أراني كل شيء من بعيد .

أقترب مني يا وأنت « لأقترب منك في حيرة من نظرتك ،
وعتب من التفاتك .

في الشعر الخالك الزاحم لتعايير الليل .
في الجبين المكتوب بقلم الحق .
في الحاجبين المتكاثفين بعمق السؤال والجواب .
في العينين الشاردتين من أمرى .
في همسة من أمرك ، واضطراب من نمرك .
فما لك لا تجيب وكأنك صامت الدهر ، وما لذراعيك قد أطبقتا
على الخافق اللجوج المفضوح بشعلة الجوانح ، المستمدة من جمر واهب
لاهب ، في شموع من الأصابع ؟

وما لشفيتك كأنهما تهمان أن تقولاً : « إفهميني ، أنا الذى
أهب لك الحياة ، وأنت التى تهين لى الإيمان » .

لا فرار من نظرتك بعد اليوم ، ولكن الخوف منك منذ اليوم .
أنا فى حيرة من أمرك ، فلماذا تشبك خواطرك فى خواطير
الزيات ؟ ولماذا لا يأخذ الزيات من وقته بقدر ما يأخذ من وقتك وعلى
حساب الغير . قلت لك مراراً دع الزيات الآن ، فللزيات حديث يطول
ويطول ، وأن من الأفضل أن نفرّد له رسالة كرسالته .

بحياتك أجب : هل الأمر معك ، أمر الزيات ؟ وإن كان هو عزيزاً
على كالأثر العظيم الذى تركه فى كل حياتى ، فى قصة لا زالت لغزاً من
الألغاز ، وسراً من أسرار الطلاسم .

أنا في حيرة من نظرتك ، وغيره من صمتك ، وصمتك رائع
كذهولك . عجيب كمعمقك . مستفهم كالتفاتك !!

أفهمني بربك ، إلى من أنت ناظر !!

ماذا ترجو أكثر من سماء كافية ، وأرض غانية ؟ وماذا تتمنى أكثر
من كأس ، بها أتحدى الدنيا إذا أدبرت ، والمستحيل إذا الحقيقة
أسفرت ، بها أتحداك ، كما أتحدى الزيات ، وكما أتحدى نفسي ، حتى
في تلك المرأة التي تخاطر بحياتها لتلمس بحراً أشد نظرك ، وأذهل صمتك ،
بعظمة ، هي عظمة الرجولة فيك . !!

تفرس في عيني كما تفرست في صورتك . وافهم ما أقول لك ،
وما يريدك الخفاق مني ومنك . ثم ترجم ذلك للزيات . ليترجم الزيات
ذلك إلى الناس ترجمة . أين منها ترجمة ، قصة روفائيل ، !!

أنا في حيرة من أمرى إذا الظروف جمعت ، والحوادث
تناهت ، والألوهية أسفرت ، بفتح الشجاعة . !!

صدقني كما صدقتك . لا فرار منك بعد اليوم ، ولكن الخوف
منك من اليوم .

لا فرار من نظرتك . ولا هروب من التفاتك . ولا عذر من عتابك .

صدقني إذا قلت لك : أنت شخصية فذة نافذة إلى كل قلب ، وقلبي
أحد تلك القلوب ، فسامحني .



أمانة

الى الذى اكتب ببقية من قلبي . .
الى اخي وأسنادي «أواد اسحق»
أهدى خطراني مع خالص تحياتي .

شاه الحب أن يجمعنا من حيث ندرى ولا ندرى .
وشاه القدر أن يصيب قلوبنا بسهم الفراق . على نارين - ولا عجب -
من نار تشير ، ونار تنير .

أترى أثارك يا أماء نار كالتى آثارتني لألمس الحق .! وأحرقتك
كما أحرقتنى لأهجم السماء فى بعمادك ، والحق فى مناجاتك .
هل أضحك يا أماء ، وأطبع على خديك قبلات الآء ، أم أبكى
صارخة فى وجه القدر الظالم بدغذته إلى أجل مجهول ؟ .
أنخس أن تخوننى الشجاعة ، فأسقط مغشياً علىّ ، حلماً تدق
أجراس الميناء معلنة قرب موعد الوداع .

أتعاقب كل واحدة صاحبها على حلاوة الماضى ومرارته . . أم
تغرى كل منا الأخرى ببشائر المستقبل الغامض ، أم نسكت حائرتين
فلا تتحرك شفاهنا إلا وتستسلم إلى لغة العيون ؟ ! .

تلك ساعة رهيبة أهابها من كل قلبى ، ومن كل قلبى أرجو الله أن
يخفف من وقعها فيشد عزيمنى ويأخذ ييدى فيما أنا مقبلة عليه .

فلست أجهل يا أماء أننى سأترك امرأة قطعت فى سفر العمر
مراحل عديدة ، وكتبت فى سجل الحياة مذكرات جللها الكد والتعب
والضنى بإطار قائم حزين ، فى قصة حوت ماحوت من أيام عز طواها
ماضى . سحيق ، وطوى معها شباباً راح ضحية المروءة فداء للعفة والفضيلة .

أمامي يا أماء مجموعة من الصور ، بعضها ينسجم مع ماضيك ،
وينطبق البعض الآخر على حاضرك ، وكل صورة تروى حكاية صادقة
عن حقبة من السنين الماضية ، فهذه صورة ، تمثلك في دور الصبا ، تلك
الفتاة الحسنة ، وإنني لا أنتقل بروحي إلى صباك فأرى روحاً طروباً
لعوباً لا أثر للحقد فيها ، لا تعرف لنقمة الدهر وعدوانه معنى ، باسمه
الشجر ، تبتسمين .. تحاولين بكل ما فيك من روعة أن تظهرى الشجاعة في
مواجهة المستقبل وإن كان غامضاً ، فكأنه لك . ولكن ، بتس ما فعلت
الأقدار ، ولعن الله الدهر يقلب للإنسان ظهر المجن ، فلا يترك لنا
إلا الدموع ، نشرها كما يقول الشاعر الأستاذ على بيومي :

شربناها على ظمإٍ وجوع فخرت الكوامن في الضاوع
شربناها على عمر تقضى وقفناه على المثل الرفيع
ولم نعلم بأن الأرض تجري فتضحك .. ثم تعبت بالجموع
ونسعى نحو غايات نراها
فتحملنا الحياة على هواها

وتعطى الكاس مالاى بالدموع

فنشرها على ظمإٍ وجوع !!

أنت في صورتك هذه تمثلين العذارى في أكناف آبائهن ..
وتحكين الكواعب الملاح في خيلائهن ، تعزى واحدهن بقوامها .. وعينها ،
وجفونها وأهدابها ، وأنت أمامي الساعة هذه في صورتك مثال العفاف ،

ينطق زيك بنفسٍ عالية ، وروح سامية ، ويترجم لي عن ينبوع عطف
ينفيس من قلبك ، إلى قلبي ، لا تردن طلباً لسائل ، ولا توصلين باباً
في وجه طارق .

وما أعجب الدهر ، فأنت ، اليوم أنت كما كنت في الأمس البعيد ،
لم يتغير جوهر صفاتك ، وتلك حقيقة الدموع التي شربناها من قلب إلى
قلب ، وتلك حقيقة ما قاله (البيومي) :

شربناها وقتلنا لا عدونا كيؤوساً نحتسبها إن صحونا
لها طعم نذوق المر فيه ولكن المقادير أرغمتنا
ولو أنا ولدنا أو نشأنا كما ولدوا جميعاً ما شربنا
ولكننا نغرد في الغصون
ونبكي . . . للسعيد وللحزين

ثوب ، يغطي العنق . . ويكبل اليدين ، ويستتر القدمين ، إنه يظهر
يا أماء بمظهر الملائكة تقيه فرحاً في وديان السماء . . لا هم يكرهها
ولا عذاب يضنيها . تعيش في يومها . . وليس في غدها إلا خيال قبل أن
يمر عليه الليل وينحسر عنه الفجر ! .

وهذه صورة أخرى ، صورة تتمنى كل فتاة مثلها أن تكون ، أملاً ،
وتطلّعاً ، وشوقاً ، أنت يا أماء إلى جانب شاب ، تبدو عليه علامات
الشهامة ، ولكنه ، يبدو كالمغامر الجريء ، كأنه قرصان يغامر بحياته

ومستقبله يحلقهما ، فى مهب الريح ، إنها صورتك وأبى .. الذى لم أره
قط أحلى منه فى تلك الصورة ، وما أعظم الفرق بين بداية حياته ،
وأواخر عمره ، وإنها لمشيدة الله ، فلقد زُففت إليه يا أماه ، يتوج
رأسك إكليل الغار ، فى أبهى جلال ، وأوفى كمال ، وأسنى طلعة ،
وأجمل بهجة ، ولقد أتخيل الحاسدين من المحبين ييكون دماً ، وانتهت كما
أنت الآن .. وكما تمثلك هذه الصورة الأخرى وقد تغيرت الحال ،
وانعدم ضوء الأمل ، وضاع شعاع الرجاء ، وأبى غير أبى ، وأنت
تواصلين الجهاد الزوجى لترديه إلى حقيقة .. بروعة الألم .

من هو المجرم يا أماه فى الحب والإخلاص ؟ .. إن الشريعة
لا تخول لي أن أحكم على أبى .. لأنى نبتة من دوحته ، وكل رجائي
أن يكون المجرم الدافع المأساة ... الأيام وحدها ... فلنساح الأيام
يا أماه ... ولنخفر لأبى .. ولتأخذ السماء بيده إلى حياة أكثر استقامة ،
وأبهج روعة ... فإذا كانت له خطيئة فقد دفع ثمنها فى منفاه ... وأن
النساح والرافة لمنحattan من منسح الروح السامية ، وليس من الشهامة
أن نكيل له الصاع صاعين ... بعد أن كالت له الأقدار الألم
والشقاء بسنخام .

ومهما كان من أمر أبى ... فإننى أراك وقد ضمت تحت جناحيك
نفرآ من الصبية .. أنا وأخواتى وإخوانى ... قد ضمنا ثوبك المهمل

وأنت تجرّين بأذياله اليأس والحرمان ... وأنت توذّعين عزاً شائخاً ،
وشباباً نضراً ، وترفاً باذخاً ... إلى زاوية بعيدة عن المجتمع ... ما قسم
لك الحظ والنصيب ... وما قسمت لك الأيام .

أنت شجاعة يا أمّاه .. وها أنى أقرأ سفر الشجاعة واضحاً في
خطوط جيدينك .. صارخاً بنظرة كل ما فيها يقول لي : إن الحبّ فوق
المقدرة ... ولقد أحبيت على هذا فوفيت ، وأخلصت فضحيت .. فهل
لك بعد هذا وذاك أن تسأليني إذا أحبيت مثلك ؟

وهل لك أن تقولى عنى لمن يدرى ولا يدرى :

لا تعذل المشتاق في أشواقه

حتى يكون حشاك في أحشائه

إنّ القليل مبلاً بدموعه

مثل القليل مضرّجاً بدمائه





مقتولوا بغير دم

يا من رحلت وما أظفت بمادك .. وهجرت
فأضرمت بفراقك نار أضاعي .. فتناوشتني
بمدك الأقدام السقيمة والألسن المريضة بلا
رحمة وهوادة .. إنها أقدام ، وليكنها ألسن
كما أنهم رجال ، وليكنهم رجال .. مقتولون
بغير دم !!

أى نفس تحيا بلا أمل ؟

أى نفس تموت دون حب . . . !

ترى ما ذنبى إذا أُحببت ؟ وما جريرتى إذا ملكت لحاظك قلباً
دخلته بأبسط طريق . . وأوصدت بابه بأروعش الأسباب ؟

جرىمتى فى هذه الدنيا . . أنى أحب . . والعجبُ كل العجب أنى
لا أستطيع أن أتخلى لحظة عن الحب . . ومن جُرم الحياة أنها علمتني
كيف أحب . . ولكنها لم تعلمني كيف أستطيع نسيان الحب . . والحبُّ
على ذلك منى النفسُ الصاعد النازل . . ومهما حاولت النسيان تضاعفت
فى أعماقي أناشيد الوعى ، صارخة تريد . . صارخة تدفع . . صارخة
تستغيث .

يا حبيبى . . أنت وأنا وهذه الكأس . . فاصغ إلىَّ كما أصفى إليك
بكلى . . وكما علمتني الحياة أن أصفى إليك دائماً ، ودائماً علمتني الحياة
أن أكرّم الوجود عن طريقك . . فحدث أيها الوجود . . يا أنت
من أنت ؟ .

بحقك حدثتني كما حدثتك . . واعبدني كما عبدتك . . ولكن عن أقصر
طريق . . قرأنا سطورَه فى المستحيل — كما قلت بيني وبينك — خلفناه

سهلا في قبلة ، وبسيطاً في عناق ، ولسكن ان يكفي هذا .. ولن يروى ذاك .

أجل يا حبيبي .. بتلك السطور حدثني .. فقد قطعنا مراحل الشوق من شيء إلى شيء تباعاً .. وما انفك هذا الشيء يبحث عنك وعني لنقرأ بقية السطور .

تلك سطور حقيقتك أحسها كما هالتني وهالتك ، وكما أملتني وأملتك وأذهلتني وأذهلتك .. في قبلة دامت ساعة أو تزيد ، وبقيت حياتي أو أكثر والأمر أمرك في محراب اللغز السكامن بسهام الواقع ، إن لم يكن أمري وواقعي .. وضريبة تلك السطور مني ومنك .. من تلقاء النفس للنفس فيك أنت .. أنت من يا حبيبي !!

أنا لا أعرف من أنت إلا إذا قرّبت شفّيتك ، وراحت يدي تعبث في ليل شعرك وبحرت عيناى في عينيك .. فهل لك أن تضاعف ضعفي في قوتك بنظرة خاطفة ، تعودت أن تلقىها على خلسة ثم تهرب بها إلى المصباح الأزرق .. يالك من فيلسوف .. يالك من فنان .

يا أجهل من أنادى من الشباب .

وأبهى من أحلم في الرجال .

يا من عبدتك لنزاهتك ... وكل شيء أمامك

وعبدتك لسلطانك ... وكل شيء تحت تصرفك

وأعظمت بك نضوجك ... وكل شيء رهن إشارتك

أنت .. من أنت .. !!

أنت .. أنت حياتي عندما بدأت أشعر بالحياة .. وروحي التي
بكل جراحة تشوّق .. وتقتبل كما اقبل العبرانيون المنّ من السماء ،
فهل لك بعد هذا العذاب والتعذيب أن تقرب شفّيتك .

فقد استسلمت لك قبل أن أولد ، وأذعنت لسلطانك قبل أن
أوجد ، واستجبت لدعائك من أول نظرة ، وآمنت بك قبل أن يضع
القدر أمانته في جسمي ، ولكنك مع كل ذلك آثرت عذابي بعد شقاء ،
ورمت هجري بعد عنام .. !!

أنت .. أنت الذي علمتني أن أقرأ الحب في عينيك ، وأخط السطور
من وحيك ، فدع عيني تخاطب عينك ليلاً ونهاراً ، وخلّ في يرتشف
من نبع شفّيتك . في هدوئي إذا عصفت اضطراب ، واضطرابي إذا هاج
شوق ، فأخرجني عن طوري وأفقدني كل شيء إلاك .

أنت .. في خافق لجوج لا يوصف ولا يحتمل . دع النوم يا حبيبي
فليس الحب بالذي ينام أو ينام ، وليس بمن أحب أن يغفو .

فمن تراه يكون ؟ ! إن الغرفة ذات الستائر السماوية تؤكد أن الحب
هو أنت .. وتقول إن فيها شخصين ، أحدهما يحب ، والآخر قاتله
الحب ، وقد عرفت أن الحب قاتلي .. يا « أنت » .

تعال كما « أنت » ، وخذني « كما أنا » ، إلى الذراعين تسلمانني إلى
القضاء والقدر ، والقضاء قضاؤك ، والقدر قدرك لو أفناني .

إلى عالم كله يقظة .. وأنت يقطتى .. ١١

إلى اضطراب كله سكون .. وأنت سكونى .. إلى الأبد الأبد فى
وفيك .. إلى البدع السكامن بحسرة الواقع .. إلى اللغز المبهطن .. فى
وفيك .. إليك أنت .

أنت .. يا من عقدت لسانى الطليق .

وأقفلت شففى الحيرى .

وأنسيتنى عالمى .. إلاك أنت .

آه منك .

من السلطان الذى جمع إلى ذوق المحاسن ، سر الاختيار ، ورهبة
الإيناس ، وحسرة الميول ، فيك أنت ، وأنت — ساحك الله — قد
بلغت فى إخفاء المحاسن مبلغاً لم يبلغه أحد إلاك .. أنت ١١

أطبق ظمأك على ظمئى الأبد فيك ، الواهب لك ما تفهم وأفهم ،
فلا تكبر لضعفى ، ولا تهرب من الواقع ، يا أيها النور لبصيرتى ، والتممة
لبدايتى فى نهايتى ، وانهايتى فى بدايتى ، أنت ، الأمين على السر ، الحافظ
نجوى الضميرى ، ماذا يهمنى ، سواك يا « أنت » .

أعانى الله ، على رحمتك بالقسوة ، وظلمك بالحسرة ، وظنك
بالأثرة ، يا من حملته فى قلبى فى أغرب طور ، وأعجب طرب ، وأغلق
طلسم فيما كان قد لمسته منك ، وقاومته معك ، ولذت به منك .

مشككتي فيك أنت وهى باب الرجاء ، بعد أن ملأت قلبي أشجاناً ،
وأكملت حقيقتي أحزاناً ، واستأثرت بحسى أفناناً ، وأجريت فى
عروقي بركانا .

هاتها من فيك ، وبكل ما بك .

وأثر فى قلبي أضعاف ما أنا مشيرة فيك ، وأجج فى ضلوعى كل نارك .
ضع رأسك على صدرى ، واسمع ضربات قلب من قلب إلى قلب ،
اسمع قلبى مسرعاً لا يتقيد بأوزان وبحور ، ومن عجب أن تحدد الأوزان
وتحدد البحور ، وهذا القلب يغلى ويفور ، ناره تحرقنى ، وهذا الحب
يتدفق ويشور ، فى شفاه تطابقت ، وصدور تماوجت ، ونحور
تلاطمت وتلاشت فى شيء هو المجهول ، هو أنا ، وهو أنت .
وفيك أنت . ما فى من رعشة كتبت « رسائل الأحزان » على ضوء
الحقيقة .

لا تسأل كيف أريدك ؟ ، ولم أريدك ؟ ، وكيف أحبيتك ؟ ،
ولم أحبيتك ؟ ، ذلك لأنى لا أدري سوى أنى أردتك كما أرادت الحياة
البقاء ، والليل النهار ، وكما تريدنا الأسرار فى الأرض والسماء ،
ولا أدري لماذا أردتك غير أنى أحبيتك ، لأصل بين الأرض والسماء
من أقصر طريق .

لقد أردتك ، سيفاً بجانبى كالحق . ١١ .
وسلطاناً لتهتمنى على الأرض وفى السماء .

رجاء .. لا تقل ما أخطرك سكرى .

وما أحلاك جمرة !! .

لا تقل ، ما أسماك قدرة !!

كما تريدنى .. خلقت من خيالى واقعك

وكما تريدنى .. أبدعت من خوفى روعتك

وكما تريدنى .. صغت من استسلامى سلطانك

هبنى غادرة .

هبنى جائرة .

هبنى ساخرة .

هبنى كما تريد ، ولكن لا تنس أن حبك فى قلبى ، وحسرتك فى

ضلوعى ، شاعرة نحوك ، متمردة عليك ، صاغية لك ، ولك أن تسمعنى

فى سرٍّ لا تعرفه إلا العذارى فى سحر الرجولة .

اسمعنى يا دأنت ، ولا تلتفت إلى تيه المغرضين ، فظلامهم لا ينتهى

إلا بالشك ، وإلا بمحاربتنا وحرماننا ، فهل يفوتك هذا يا من لا تفوتك

قبلة من شفاه شاعرة ، أطبقت كلاماً على كلام فى عبارة خضعت لها

أشواقى وأشواقك .

أدنُ منى على شذو حائر ، ووعى سافر !! أدنُ منى بعد أن ضمتنى

الأعباء إليك فى هيكلى معبود مجسم من شخصين فى روح !! .

امنحنى على هذه الأرض الهناء الدائم ، وعلى هذه النعمة غرر
حسراتى .

لقد احترقت عندما عبدتك .

وشعرت عندما حرقتك .

ورويت عندما عانقتك .

وسموت عندما قربتك .

واهتديت عندما صارحتك الرأى ، والرأى عندى ما اكتفيت ،
ولا اكتفيت .

يا من رحلت وما أطقت بعادك ، وهجرت فأضربت بفراقك نار
أضلعي ، وأثرت فى توجعى ، وغفوت إلى حيث لا رجعة ، ولا أمل
فى رجعة ، فتناوشتنى بعدك الأقلام السقيمة ، والألسن المريضة
بلا رحمة ولا هوادة ، إنها أقلام ، ولكنها ألسن .. كما أنهم رجال !
ولكنهم رجال ، مقتولون بغير دم !

إنهم رجال ، ولكنهم رجال لا يزيدون عما وصفهم الأستاذ
خليل الخشالي فى مقال له نشره فى جريدة الراية الموصلية بعنوان :
« يتماجنون ... ! ! » ولكن على حساب الأدب ، حيث قال (١) :

وأنت يا سيدى الأدب (والمقال عبارة عن خطاب مفتوح موجه
إلى الأدب العربى) جامد الأسارى ، لا تظهر على وجهك علامات

(١) أثبت جزءاً كبيراً من المقال لفائده ولطابقته الفكرة التى أبحثها .

أسى مرير ، أو ألم بالغ عند قراءتك التافه الحقير مما يسمونه أدباً ،
وينسبونه إليك وأنت منه برام ! .

أخال عينيكَ قد تحجّر دمعهما وقسى ، فلا تدمعان مهما أوذيت ،
ولا تحمرّان مهما حوربت ، وأنت مع ذلك عالم بالدخلاء المارقين ،
أشباه الأدباء ولا أدباء ، الذين أفلسوا إلا من الألفاظ الطنانة ،
يحاولون جاهدين إلباسها المعاني التافهة الدنيا التي تدور في نطاق أضيق
من عقولهم ، وأخطر من أخلاقهم ، وأتفه من وجدانهم ، وأحقر من
بيئتهم وتربيتهم ، لقد حرّتُ والله في فهمك ، وفي تقدير نظريتك ،
توسع صدرك لمن لا سعة في عقله ، ولا رجاحة في أخلاقه ، حتى
لكأن في صبرك معنى من معاني الإعراف ! .

إنهم يتمسحون بأذيال العواهر والراقصات ، متغنين بالجمال والدلال ،
واصفين الهناءة واللذائذ ، ليعيشوا متطفلين على فتات موائدهن ،
وفضلات كؤوسهن ، وهن في عرف الفضيلة أحقر من الفتات ، وأتفه
من الفضلات ، إنهم نفر من المتملقين ، بضاعتهم قصائد مهلهلة ، تستحى
من نفسها قبل أن تستحى منك يا سيدي الأدب الكريم ، ومع ذلك
لا يخجلون من ادعائك ، وذلك أعجب العجب ، إن لم يكن هو منتهى
ما في العجب من عجب .

وباليتهم حاولوا أن يتشبهوا بالماجنين من الأدباء والشعراء باتقانهم
صناعة أدب وشعر ، وتمعنهم في المعرفة والحكمة كما فعل أبو نؤاس

وابن الضحك - ولكنهم للأسف - أرادوا أن يتماجنوا حتى عليك ،
فتماجنوا أولاً على مجتمعهم ، ثم على معنويات أمتهم ، ثم على معتقداتهم ،
وتماجنوا أخيراً على أنفسهم ، ولست أدري والله على ماذا بعد ذلك
سيتماجنون ، إذا استبدَّ بهم اللهجون جنون ، على اعتبار أن الجنون
فنون .

هذا بعض من حديث القلب أيها الأدب الكريم ، وقد يكون
الحديث خطرات من شكوى ، أو نقشات مألوم يحاول أن يجد بعض
العزاء ، فهلا ساعدتني على معرفة بعض الحكمة التي اتخذتها نهجاً وسبيلاً ؟
ووهبتني القوة على السكفاح في سبيل الحق ، أنا أرجو منك ما يشبه
الوحي إن لم يكن هو الوحي قدرة وإيماناً وقوة ، وإنني آمل أن تهني
من لديك رشداً .

وبعد أن التقينا يا حبيبي في سطور عبر عنها الزميل الخشالي أصدق
تعبير ، فجاءت مرآة صافية علوية لنفسه ، عكست صوراً أجادت صدقاً
ووضوحاً ، فهل لك أن تراني كما أراك ؟ وهل لروحك أن تطل من
السما صارخة بقدر ما أخلصت وضحيت ؟ .
لهفي عليك .

أصحو شادية سكري .

ذاهلة أمل نهايتي .

شرود لا أطلب إلا لقاءك ، وأمنيتي أن أدفن وإياك ، حيث أنت
ترقد الآن .

لقد ضاع قبرك على الأرض ، ولكن حبك مازال في قلبي لن
يضيع ، لأنه من السماء ! .

يا أشرف من عرفت ، وأوفى من جرّبت ، أفق ، أيها الحبيب من
القبر المجهول ، فالحاسن لا زالت أمام عيني تصرخ :

ما للدمع ينهمر !

ما للقلب يستعر !

ما للحياة لا تستقر !

وقلت يا قاتلي بألف حسرة :

« ان أخاف نفسي ولا القدر ، ولا ما تخبئه لي الأيام ، لن أخاف
ولن أخشى شيئاً ، ولكن ، لا بأس بعد أن اكتفيت بهذا القدح ، فأنا
أتخيلك الآن وأنت كما أنت تشير إلى صورتي وتقول : « قدح من هذه
الصورة كان لي كل الكفاية ، فاذكرى القدح ، وعيشي بعدى عليه
كما أعيش أنا ، إذا سبق الرحيل الرحيل ، إنني أشعر يا فيلسوفتي الحبيبة
بالنهاية ، نهاية من لا يدري ، ولتكن نهايتي قبل نهايتك ! ! » .

أدمعت العيون ، ولاذت الحقيقة بالصمت ، واكفهر جو من جو ،
بعد أن انقلب جوّ على جو ، فأظلمت الدنيا ، ودار القدح تقدمه إلى
شفتي وأنت مستمر على هذا الحديث المشؤوم ، فامتنعت عن جريئة

حسبت لها ألف حساب وقلت : « أنا معك . . دعيني أكمل حديثي » ،
وأتحيل أنى قاطعتك يا حبيبي بكف وضعتته على فيك أحاول منع انفلات
سطور ، فشر بنا القدح مركزاً .

فإذا القدح لا زال بيدي نخبك ، وإذا الحب لا زال في قلبي ، وإذا
بيديك لا تزالان تزيجان لثام كفي عن فك ، وإذا بي شروء من قولك
« أنت » ، وأين أنت ، مني الآن ، لأهمس في أذنك حسرتي عليك .

كل شيء يهون إلا قدحك من قدحي ، وقدحي من قدحك ، وقدح
الأيام من عصارة قلبي وقلبك .

إنه القدح ، يناديني .

إنه لا زال فارغاً ما الآن ، معك في قدح ، أعيش فيه ، كما عاش حبك
في قلبي .



الرسلوة

للمهزوز

من بلاد الرشيد

الى الذي قال:

« أما أعماق الانسان وآفاقه فأبعد وأوسع من أن يتناولها قلم
أو يستوعبها بيان .. فنحن حتى اليوم لم نكتب (تاريخ) انسان
ولا (تاريخ) شيء على الاطلاق . ولو أننا كتبنا تاريخ انسان
واحد لقرأنا فيه تاريخ كل الناس ، ولو أننا دوننا تاريخ شيء
واحد لاطلأنا فيه تاريخ كل شيء » .

الى الذي برهن لي أن الأولياء في الدنيا نادرين .
الى أستاذي الكبير « ميخائيل نعيمة » .

في سماء الأمانى الساحر عطر !!

وعلى أجنحة الصبى سحر !!

وفي هدهدة الطرب حلم !!

وبين كواكب السماء سارت دفقة من الشعاع نعتوها طلسم . .
وسموها سحراً ، وليست هي بالطلسم فيبدد ، ولا هي بالسحر فتحل .
قطعت في حياتها مراحل ومراحل كل ما فيها يقول لها : « سيري
أسرعي » فسارت حيناً جادة ، وأسرعت حيناً ساخرة من أمرها ، وأمر
تلك المراحل ، في نغمة مرّت بها كما مرّت بالقمر ، وانتفضت كما انتفض
القمر بين يديها ساحراً جليته بحنانها ، وأسرت في أذنيه همسها آمرة :
« إياك والتمنع ، إياك والالتزام . إحذرهما بكل ما فيك من تفكير
وتدبير ، لئلا يفسدا عليك ما إليه وصلت » . والقمر ماكت قد غاب
في غمرتها يتجلى السحر ، ويتملّى الجمال . في قلبه روعة المنى ، وفي روحه
صبا الدلال .

يا روعة الروعة .

يا أسطورة لم تمر في سمائي بعد .

يا نفحة الحجب . سكبتها يد الله في كأس من السحر ، في ثورة تؤججها

جهرات الرؤى !!

وفي جمرة الرؤى تجلت « أسطورة » ملاك يرفل في ثياب بشر .

وسحري رفل في ثياب فتاة . أسطورة ليست من الأرض ولا من السماء ،
ولسكنها أسطورة أعيانها المسير بين الكواكب والنجوم ، فهبطت على
« بلد الرشيد » . أسطورة تتمثل في فتاة تضمخ تراها بعيرها ، وتطهر
أدناسها بتقاهها . قد استهبطت الوحي تسأله : أين هي ؟ وإلى أين المسير ؟
وهي لم تعرف أنها في ديار ألف ليلة وليلة . في بلد شهرزاد .

هاجها ذمول غريب ، واسترعاهما صمت عجيب ، وهنت . . .
إليه ، إلى سر بذاته ، وهي تعبت بخصالات شعرها الثائر المتهدل ونادت
« الوداع » . . .

الوداع أيها المجهول !!

يا من أطربتنى بسحر أنغامك ، واستوقفتني فيض التأمل منك .
وهناك ، من بعيد ، سمعت صوتاً يقول :

— رويدك أيتها الحسناء ، فسأعزف لك « اللحن الضائع » .
وأجابات :

— لا تكن غريراً ، فليست معجبة بأنغامك إلى هذه الحدود .
ورد الصوت يقول :

— لم أستوقفك بصوتي بل بسر أسطورتك .
فقاطعته نائرة :

— من قال لك إنني أسطورة !!

— عيناك . . عيناك . . آه من عينيك . بربك لا تتركيني وحيداً ،
وأنا أعزف لك هذا اللحن الساحر ، على الرغم من أنك أسطورة .

فتاهت الأسطورة في وجوم حالم واستغل النداء حالمها يقول :

بغداد . . . مهبط الحب ، مرتع الجمال ، مسرح الخوارق . . .
ألا تؤمنين بالحب ؟ إذا كنت لا تؤمنين به فدعيه !! ما رأيكِ في السحر ؟
أراك في وحشة تحتاجين إلى من يؤنسك !!

وهكذا راح الصوت يسأل ويجيب ، والأسطورة في صمت
أقرب إلى الوجوم منه إلى الدهول .

وعلى حين غرة ، انتفضت تحاول أن تمزق هذا النداء
بنظرتها . تلقى عليه تحية الوداع ، حتى إذا ما همت أن تسير ، سقطت
تفاحة على الأرض ، وصوت يعاو شيئاً فشيئاً : « تفاحتي ، أريدها ، هي
لي دون سواي » !!!

وأمسكت الأسطورة بالتفاحة تحاول رميها إليه . وهي تقول :
— خذها . خذها . إنها لا تعنيني بقدر ما تعنيني جذورها .

وعاد الصوت إلى القول :

— لا .. لا أريدها . ولكنني أرى أن من حقى بعد أن أسمعك
اللحن أن أملك التفاحة الأصلية .

— ويحك . . ماذا تقصد أيها الصوت ؟

— أقصد أنك لن تندهبي بعد أن تلاقى الأملان . . واتحد الألمان .

— ولكنني عازمة على السفر لأدرس ما تخبئه لي الظروف .

فصفق الصوت ، ولملم جناحيه ، وجذب الأسطورة من ذراعها
وطار بها إلى شجرة الحب يقول : هنا بقربي ، درسك الأول والأخير .
وتهادى في هدأة الليل ، لحن جميل مشير ، وانسابت أنشودة
حلوّة إلى كل قلب ، في أنغامها ألوان الوجد ، وفي معانيها كلمات الشاعر
خليل الخشالي :

هاتى لى من كأسك العلوى ياغداة حبي
ودعيني حالمًا من خمرة تنعش قلبي

قد تركت الناس من حسنك بالحسن سكارى
ينظر البعض إلى البعض حيارى وحيارى
هكذا تفعل في أفئدة الناس العذارى

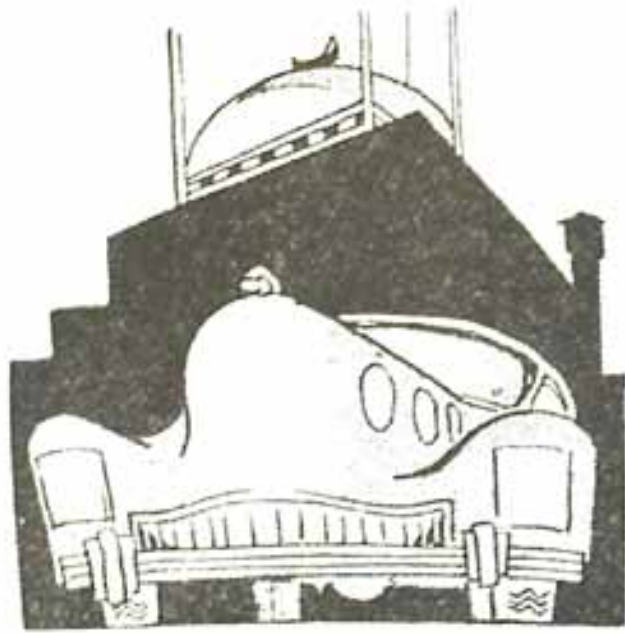
هذه حكمة هذا الحسن ، من هم منكروه
أبدأ ما كفر العشاق إذ هم بجوده

هاتى لى يا فتنة الزهاد من أكووس حبي
أنت محراب خيالاتي وآمالى وقلبي

وتمثلت إلى أمشالك الغيد الملاح
فتهللن ولكن دوماً أي ارتياح
حداً منهن إذ ولين من خوف افتتاح

وتربعت على عرش من الحسن وثير
يتللا التاج في مفرقك الزاهي المنير

هاتي لي يا ملكة الغيد ويا عذراء حي
واجعلي قلبي عبد التاج يا ملكة قلبي



الفتنة - بغداد

الى الذي آثرني في عز لقاء
الى الذي لم تغبره الايام رغم كل واشى وعزول

القاهرة في ٢٥ / ٤ / ١٩٥٢

عزيزتي مليحة :

« أيتها الكاتبة علام اللوم . . ولم العتاب ؟ لقد كان آخر ما كتب لي هو ألا أكتب إليك . . أفقتين إذا لييت ظلمك وكففت القلم عنك ؟ أتأمرين بالنسيان . . وتعتبين إذا نسيت ؟ ولكن حتى بعد أمرك بالنسيان . . لم أهيك النسيان إلا في مظاهره . . فإذا أنا لم أكتب إليك ، وإذا أنا أبعدتك عن طرف القلم . . أو أبعدت طرف القلم عنك . . فما فعلت بذلك إلا أن رفعتك من الورق ، ووضعتك في الذهن ، وأيهما أحفظ يامليحة للخيل ، وأبقى للرفيق : ورقة تتبدد مع الريح ، أم ذهن باق على الزمن ؟
أيتها الكاتبة :

أما زلت تكتبين فلسفة غامضة . . غامضة لي على الأقل !
ألم أقل لك دائماً اكتبي لي كما تتحدثين مع الناس . . هل تتحدثين إلى الناس بمثل هذه الفلسفة ؟ حدثيني كما تتحدثين إلى نفسك ، وإياك أن تحدثيني بأسلوب الكتاب والأدباء . . لعنة الله عليهم أجمعين ، وأنا واحد منهم .

المخلص (١)

(.)

من بعض سطور طبق الأصل

(١) حرصاً عليه لا أسميه ، ولم وددت أن أسميه .

بغداد ٢٦ / ٥ / ١٩٥٢

عزيزى الأستاذ الأديب

تألمسنى لأعاتبك !!

وتعساتبنى لألومك !!

كلانا شاعر باللوم والعتاب ، عالم أنه يشتري لبيع ، ويبيع ليشترى
ومن الغريب أن يكون الربح . . ربح تلميذة من أستاذ ، وأستاذ من
تلميذة . . من حيث لا يدريان ، فلماذا تريدنى أن أكتب إليك بطريق
(الفضفضة) ؟ ولماذا أنت تبدو فناناً حتى فى رسائلك ؟

وإذا شئت . . أو كان لأبد من الكتابة ، فأليك هذه السطور
بطريق الفلسفة إذا شئت أن تسميها فلسفة ، أو بطريق الفضفضة كما تفهمها
(فضفضة) ، وعلى كل حال ، فإننى آمل أن تقف على فضفضتها مبيناً
رأيت فيها لتستفيد منك إحدى تلميذاتك ، وليستفيد منى أحد أساتذتى
ولا بد أن تعود الفائدة على أصحابها بألف خير ، ولعلنى ألتقى وإياك
فى هذه السطور .

المخلصة

« مازن »

(تعال كما أنت^(١))

تعال كما أنت ، بتواضعك وكبريائك ، وخذنا كما نحن بآهائنا
ولوعاتنا ، بدموعنا وابتساماتنا .

تعال بمافيك من جرأة وسرعة ، وخذنا على خوفنا وبطئنا . . خذنا
كما نحن . . أمواتاً وأحياء .

تزمّل بأوشحة أسرار ظلمك وعدلك ، وتعال كما أنت أيها الموت
من عالمك المجهول الأبدي ، خذنا كما نحن ، وأكفاننا غلالات جهنم
الأزلى . . إرم بنا في مطاويك . وهناك ، وبكل ما ابتسمت به من ظلم ،
دع . . بوارق الرحمة ترسل إشعاعها من خلالي عتوك على جهنمنا وضعفنا ،
خذنا أيها الظالم . . أيها المجهول ، يامن نعرف عنك أكثر من أنك موت
في حياة ، وحياة في موت ، هات يدك كما هي ، وصالحنا لنزل بنا
الاحلام إلى عالم الأوهام ، إلى دنيا خيالها حرقرة الوجود ، ووجودها
سخرية الخيال .

تعال . . كأتلاف النور ، وخذنا كعاصفة النار . تعال من لطف
العدم ، وخذنا كمهرير الوجود . . لا أظلم منك ولا أعديل ، مذ خلقت
كانت القوة وكان الضعف ، ومذ وجدت كان الظلم وكان العدل .
ألا ما أعديك ظلماً ، وما أظلمك عادلاً ، وما أجملك حين تساعد
النفس الطروب على اجتياز هوة الزمن .

(١) الكلمة التي أرفقتها بالرسالة الى الأديب المصري الكبير وتدور حول « الموت »

خذنا ، من دار طمست معالمها الأنواء ، وعاثت في رحابها
الاهواء .

خذنا إلى دارك الباورية الناصعة ، حيث لا أنواء ولا أهواء ،
ولا ظلم ولا جبروت .

خذنا إلى بقائك فقد سئمتنا الفناء ، من رعوثة الظلام ، ومن
دغدغة الفجر .

تعال من دفقة الشكوى ، وغصة البلوى .

تعال من بسملة الهانيء ، ونشوة الغاني .

تعال من دمة المحروم ، وأنة المكلوم .

تعال من سكرة العريد ، وآهة الغريد .

تعال من ولادة العدل . . ونزع الباطل .

تعال من زجرة العتاة ، وعقو الطغاة .

تعال من نفحة الرحمة ، وانعدام النقمة .

تعال . . تعال . . وخذنا .

خذنا من واقع الوجود إلى هذيان النهاية ، وليس لنا إلا أن

نناجيك على أنين الناي الجائر :

أيها الموت في الحياة

يا منتهى العظيمة

يا غاية التيه . .

يا منتصف ماوصلت إليه الحقيقة .

يا آخر ماوصلت إليه البداية ، وأول ما اهتمت إليه النهاية

لديك موعدنا ، وإليك عودنا .

فتعال كما أنت .. كما أنت أيها المجهول !!



مَوَازِي

الى فتاة الانسانية

هل في الحياة شيء يستحق المغامرة ؟
وهل قبل أن تكشف لنا الحياة شيئاً من سرها ، يجدر بنا أن
نلقبها (حياة) كما اصطلاحوا على تلقيها وتسميتها ؟
وهل كل ما في الوجود ، شيء ولا شيء ! ولماذا ؟

وهل إذا تغيرت اصطلاحات الواقع والمستحيل تبقى الحقيقة كما
هي ، لا تضحك إلا منا ، وعلينا ! وإلى متى سيظل ضحكها ؟
الحظات ، سهمت خلالها عيناى ، وجنح خاطرى إلى أسئلة لا زال
استفهامها شوقاً يعبت بي بغرور ، وارتبا كما جامعا بين دفتيه خالصة سهاد
ويقظة مراد ، في مستحيل يناديني بالواقع « أنا المستحيل ؟ أنا الواقع ؟ »
لست أدري سوى أنني ضقت من أمرى ، وتغيرت من واقعى
حين تبادر إلى ذهنى : حب الحياة ، وسر الحياة .

وتذكرت أنني كم سألت نفسى : لماذا لا تستقيم الحياة من غير
موت ؟ ولماذا عبرة الليل في خبرة النهار ؟

وارتفعت روحى شيئاً فشيئاً إلى جو ملائكى رفيع ، وأنا أعى
ولا أعى ، وأسمع ولا أسمع .. فرأيت ملائكة تعترض سبيلى وتستفهم
عن شهادتى ، فما أن أبديت أسفى على نسيانها على الأرض ، حتى فاجأتنى
ضربة قاهرة أعادتني إلى الأرض بشراً ليس كسائر البشر ، وملاكاً
وليس كبقية الملائك ! .

أأنا بشر أم ملاك ؟ وما هي الشهادة التي تريد ها مني الملائكة ؟
ما الفرق الحقيقي بين البشر والملاك ؟ شهادة كشهادتي ، أم امتحان
كامتحاني ؟ أم أنه امتحان خاص لا بد منه ؟

سارت بي الركبان ، وتحدثت عن شهادتي السماء ، واتفق كل لسان
ولسان ، واختلف كل شان في آن ، حتى تناهت أنشودتي إلى أمر واقع
والواقع أن أكون عارية إلا من نفسي .

ولم أكد أمتثل لهذه الخاطرة ، حتى أسرع إلى شجرة تحميني
على الأقل ، وهبت نسمة ، أعقبها عاصفة . . ما انتهت إلا وأنا بين
أساتذة عظام ، اجتمعوا على اختلاف الأزمان والوديان ، وكانوا
مشغولين عني بأمر حديثهم ، وكان نقاش ، وكان جدل ، وكان أمر :

طاغور — ما ليتهوفن قد تأخر ؟

المعري — قد يكون اكتشف لحناً .

بيتهوفن (قادم) — ويحكها أنذا قادم ، اسمعوني .

المعري — اعزف ما تريد .

حواء (تقاطع المعري) — اعزف يا بيتهوفن ، ما أريد .

طاغور — أتأمرين حتى على المعري ؟

المعري — لقد تنازلت يا سيدي عن شؤمي .

حواء — لا تتسرع ، فأمامنا وقت طويل .

جبران — حواء وما جنت .

بيرون (لحواء) — إني أعبدك ، أحبك ، لأنك صورة من

صور الله ، مارأيك يا طاغور ؟

طاغور — معك الحق ، كله .

شوبان — من هذه الفتاة يا سادة ؟ !

(سكوت تام ... تمقبه دندنة شاعرية)

سيد قطب — أريد أن أعرف الغاية من هذه الدعوة يا شيخ المعري

المعري — أنت أُمِّي أكثر مني .

سيد قطب — ليس أجمل من زقزقة المصفور ، — وهي نغم

واحدة غير مركبة — وليس أصدق من كلمة « آه » يقولها الموجد

أفاهم يا شيخني ؟

طاغور (ينسرع) — أمانة الله .. ما أقوالكم في حواء ؟

(تحدث مناقشة ليست في موضوع السؤال بين جبران وبوداير ومارون عبود)

سيد قطب — ما هذا الجدل ، وأمامنا حواء ؟ !

المعري — إن الدعوة بإشرافي ، وبإستطاعتي أن أنسحب ،

وأنسحب معي حواء إذا عدتم إلى الحديث في غير شأنها .

الجميع — الله .. يا الله .

حواء — إذا انسحبت يا أستاذي فأنا أنسحب من الاجتماع فوراً .

(يملك الجميع خوف من جراء تهديدها)

العقاد — أرجو أن لا ينسى السادة أنني بطل (سارة) .

حواء — على حساب سارة قد ارتفعت في نظري ، وعلى حساب

سارة لن أطرده .

العقاد — ألف شكر لك يا حواء .

مارون — أتم على حق .

بودلير — أنتم سخفاء . . باعترافيكم .

« ضحك خفيف »

« يتقدم الزهاوي »

طه حسين — أهلا بالزهاوي . . أين الجواهري ؟

الزهاوي — مع « انيتا » .

مارون — أهلا بالعميد . . حتى أنت هنا ؟

سيد قطب — حتى عميد القوم مع القوم سواء أمام حواء .

المصري — رائع .

طه حسين — يحيا المعري .

المعري — أنت مجنون . . قل تحيا حواء .

الأخطل — سلوا حواء ، ماذا يريد القوم ؟ !

شوبان — من رأي أن يبدأ المعري .

المعري — اشربوا نخب حواء .

« ضحك طال وتصفيق حاد »

حواء — وهل يكفي القدح ؟

المعري — أنت فوق القدح . . كيف تنظرين إلى الكون ؟

شكسبير (المعري) — الأَشقياء في الدنيا ثلاثة : العاشق والسياسي ،
والظالم .

سيد قطب — العاشق معذور ، (يلتفت الى المعري) يا شيخني لا زال
سؤالك موجهاً إلى حواء .

المعري — آه ، تذكرت ، كيف تنظرين إلى الكون يا حواء ؟
حواء — أنظر إليه ببصرى مثل ما تلمسه ببصيرتك . وأحسه
بأعماقي مثل ما تهجسه بأعماقك .

المعري — قدح مركز . . اشربوا .

مارون — يكفي قدحك من حواء .

طاعنور (يمس في أذن مارون) — جوا بك قاس والله .

العقاد — أتعني أنه أقسى من حواء نفسها ! يالك من شقى .

حواء — إذا كانت حواء على حساب (سارتك) فقط كان ذلك
أشقى ما تعنيه .

شوبان — ما تقولين في جيدك ؟

حواء — سر موت وحياة .

بودلير — بعض إيضاح ياسيديتي فأنا بشر .

حواء — أنت نصف مجنون .

طه حسين — يا سلام سلّم .

حواء — إياك والسلام !

تور جنيف — لماذا تعبد المرأة الرجل ، والرجل المرأة ؟ !
حواء — لأنهما كافران .

طاغور — للجواب تنمة .

حواء — سل أمك في ذلك .

بيتهوفن — شكرأ يا حواء ، ما هذان الذراعان ، ومن أى نسيج هما ؟

حواء — نسيج مصنوع من قيثارة صمت لها أذنك .

بيتهوفن — لم أسمع .

شكسبير (يخط العبارة) — إقرأ .

بيتهوفن — أنت فوق الفلسفة ، وفوق الجنون كذلك .

حواء — لهذا قال أحدكم (واتعب الى جيران) « أنت في كل مكان ،

لأنك من روح الله ، وفي كل زمان ، لأنك أقوى من الدهر »

الأخطل — والصبر ، يا سيدتى ؟

حواء — أنت غبي

الجميع — رائع جداً « ضحك خفيف »

الأخطل — أما من جواب ؟

حواء — إن أمك أورتك سر ما اهتديت .

شكسبير — لم أفهم بصراحة ، أنت تجيبين بألف رمز ، وتحدّثين

بألف طلسم .

حواء — أو لم تفهم بعد سر أمك وجهر أريك ؟

طله حسين (المعري) — حتى أنا مجنون يا شينخي ؟

مارون — وما شئت من نعوت !

الأخطل — الصبا والجمال ملك يديك

أى تاج أعز من تاجيك

فاستقنهما بأبي أنت وأمي

حواء — صباها يا صاح .

المعري — والنحر يا حواء ؟

حواء — لا حياة قبله ولا بعدد .

سيد قطب — أهذا « ما جناء أبي » ؟

المعري — ونخ أبي ، يا حواء .

حواء — هوّن عليك ، الدنيا تهون .

بودلير — ما وراء التيه ؟

حواء — شيء ولا شيء .

الجميع — أنت خطرة .

« يدخل الجواهري راكضاً »

الجواهري — اسمعوا لي ولم بسؤال واحد .

حواء — لا تستمعوا إليه ، إنه جاء متأخراً .

الجواهري — ما ذنبي ، إنها « أنيتا » ، إنها « حواء »

« يستعجب ... ويقول له هامساً »

طاغور — ما الذى جاء بك إلى العراق ؟
 حواء (بعد أن سمعت الشمس) — جاءت به روحى .
 الجواهري — أعطيت ما لم يعطه أحد
 روح يشبع بفيضها الجسد
 سيد قطب — أنت أعظم من الرصافي ؟
 الجواهري — علام التسرع يا سيد قطب ، والأيام بيننا شاهدة
 على ما أقول !
 مارون — الحكم للتاريخ يا جواهري .
 المعري — أصبحت أستذوق الحياة قبل التاريخ حتى .. !
 حواء — إذن لك قلب !
 المعري — سلى شوبان .
 حواء — إننى أكتفى بما قاله شوبان « أنت المرأة أجمل لوحات الله ،
 دعنى أسجد إليك يا إلهى قبل أن أنسى وأسجد للمرأة التى أحبها » .
 المعري — أنت رائعة .
 حواء — زيدونى طرباً .
 الأخطل — « ينشد وشوبان ويتهوّن يعزفان » .
 يا ذابح العنقود خضب كفه
 بدمائه بوركت من سفاح

أدبُ الشراب إذا المدامة عرِدتُ
في كأسها ألا تكون الصاحي

إني إذا جئتُ رباح سفينتي

ذهب الجنون بحكمة الملاح

حواء — كم أنت مصيب يا أستاذ جبوني « وتقصّد محمد سعيد
الجبوني » بقولك :

فاسقني كأساً ونخذ كأساً إليك

فلنزيد العيش أن نشتركا

سيد قطب — يحيا الجبوني .

المعري — يحيا على حساب حواء طبعاً .

« ضحكة عالية »

بودلير (يخترق الصنوف) — سؤال قبل أن يفض الاجتماع .

الجميع — على مهلك يا بودلير .

حواء — دعوه يسأل فللمجانين أروع أسئلة ، تفضل يا بودلير ،
ما سؤالك ؟

بودلير — عرّفني الكهف المسحور .

حواء — إلى هنا يقف الجواب !

وانتفضت إلى عالم الحقيقة ، الحقيقة التي أنا فيها ، ومنها . . . !



لِيَا لِمَالِح

مهداة الى كل الذين تفضلوا بنقد
كتابي « ليال مـلـاح » .

الأمرُ جدُّ غريب ... وعجيب ... وعلى ما في هذا الأمر من
عجب وغرابة .. ظلَّ أكثر نقادى يثبون من رأى إلى رأى ، وينتقلون
من خاطر ... إلى خاطر ... ويخطئون بين نقدى وإنتاجى ، بين شخصى
وأدبى ، فى خواطر تجول فى نفوسهم ، وعواطف تشور فى قلوبهم ،
وسمول تعنُّ لأحاسيسهم ومشاعرهم فى أشد حالات المخالاة والإسراف ،
إن لم تكن فى أشد حالات الحسرة والأسف ، فمن قوة هائلة تدفعهم
إلى التناء والإغراق فى المديح إلى درجة تثير الضحك والاستخفاف ،
وإلى الذم والإسفاف فيه إلى درجة تثير الرثاء . ولو فكَّر هؤلاء النقاد
قليلاً وأطالوا الدرس لتأكّدوا من أننى أستفيد من إثارتهم ألواناً من
الإبداع وضروباً من التفكير أفهمها لا كما يفهمونها ، وأحسها لا كما
يحسونها ، وإننى أعتقد أن الفرق عظيم بين ناقد يعلن رأيه ولا يعلن
إسمائه لشخص ينقد أدبه ، وآخر يعلن إسماءه ولا يعلن رأيه ... فالأول
ناقد يرتفع إلى مرتبة سامية من الأخلاق ، والأحاسيس ، والثانى إنسان
يعيش على التفاهات وفى الحضيض .

إننا بحاجة ماسة إلى ناقد جريء كالاستاذ مارون عبود ، صاحب
« العكاز القوى » ، ومحمد مندور « صاحب النظرية الذوقية » وسيد قطب فى
مذهبه التصويرى « شخصيات وكتب » وميخائيل نعيمة فى « غرباله »
الصارخ ... والكم كنت أتمنى أن الناقدين عندنا لا يعملون على إفساد

معنى النقد الأصيل ، وألا يفرضوا نفوسهم على الشعور بالنقد ، ولكم أسفت وأنا أقرأ جدلاً يستوجب التدقيق ، ومنافشات تفتقر إلى النضوج .

إن الناقدين عندنا — وأقول ذلك ليس إطلاقاً ولكن على سبيل الكثرة — يحاولون عامدين أن يخلقوا شيئاً من شأنه أن يخلط الحابل بالنابل ، وينسج ما ينسجه العنكبوت ، لا رأس له ولا بداية... ولا نهاية له ولا أساس... في أحاديث محومة ، ونقد هزيل ، يفتقر إلى الإثبات والدليل... وأينهُ من حقيقة الذئب ، بل أين حقيقة الذئب منه... بل وأين أين ذلك الكيماوى الذى يتناول من عناصر قلبه كميات معلومة مقررة من الحنان والإحترام والاشتياق والتجلد واللاهفة والدهشة والغفران ، ويمزجها ببعضها مستخرجاً منها ذلك الجوهر الفريد الذى ندعوه حباً .. كما قال جبران .

وبعد .. فلا زالت « ليالى » مع الشعراء المرسلين حافلة ... بسموها وأريحياتها .. بتقدر ما هى حافلة بحبى وإعجابى ... فما عسى أن يريد الناقدون ؟ ... إنها (ليال ملاح) كادت أن تستولى أحاسيسها على آخر ماتبقى لى من حشاشة قلب أذابتها شاعرية انبعشت من المملسكوت ، وتعالى إليه صاعدة بعقيق أنفاسى .

ومهما نظرت يا ناقدى إلى (ليال ملاح) بصورة عامة وإلى ليلة « المعرى » بصورة خاصة من منظار الحروف والألفاظ ، فلا يجب أن

يفوتك وأنت ناقد ، أن تنفذ إلى ما هو أبعد ، وإلى ما هو أسمى ...
إلى النفس الحائرة خلال هذه الحروف المفروضة ... على وعلى ...
إلى الروح المسجونة في القفص اللامع تارة ... الصدى تارة أخرى ...
وهو على كل حال قفص ... وأنه أساوب على كل حال أيضاً .

صدّقني أيها الناقد ، إن ليالى تلك سواء ما وقع منها مع المعرى ..
أو مع غيره ، كانت ولا تزال وستظل مهما نقد الناقدون عريضة على ..
لصيقة بروحي .. لأنها جمعت بين الفن الثائر ، والواقع الفائر .. وحين
تدعوني أنت وغيرك من عشاق الأساليب إلى أن أفرّق بين النغمتين ..
الثورة ، والفورة ... فإن كل فنون الكائنات تختلط أمام عيني ،
بسحرها وفنونها ، بروعتها وقوتها ، بنعومتها وجبروتها .. فلا أجد
نفسى إلا وأنا أخلط كما خلطت من قبل وكما خلط من قبلي كثيرون ..
في لمس تلك الصور الخاطفة ، وفي جعل الناس يلمسونها بواسطةهم .

فقد تركت نفسى على سجيّتها لتعبر وتقول ، حتى لقد حرت في
أمر من كان الضحية .. الأساوب والحرف واللفظ .. أم أنا
وفسركى وانجذابى ؟

إن حيرتى في أمر نفسى وفي أمر كتاباتى لأشد من حيرتك أيها
الناقد الكريم .

وإننى لفخورة أن أثبت فيما يلي بعض ما تلقيت من رسائل
بهذا الخصوص .

القاهرة في ٩ فبراير سنة ١٩٤٩

سيدتي الآنسة :

تلقيت كتابك الرقيق وصورتك الكريمة ، وفصولك الممتعة ، فلك
أصدق الشكر وأخلصه ، وأجمل التهنية بطبعو حاك إلى المثل العليا ،
وحبك لأبي العلاء وفلسفته وحرية .

أما فضلك علىّ فأني أرجو أن يتولى الله جزاءك عنه ، فأني عاجز
عن هذا الجزاء ، وكل ما أستطيع هو أن أهدي إليك شكري مجدداً ،
وتحيتي صادقة ، واحترامي خالصاً مؤكداً .

المخلص

طه حسين

(طبق الأصل)

« الكاتبة ماريحة سحيق ، موهوبة ، ولياليها ملاح ، وفصول كتابها
هذا تتأرجح بين القصة والمقالة في أسلوب شعري رقيق ، رأيها في
لياليها الملاح أصح وأبلغ تعبيراً منها في قصتها « عقلي دليل » ولعلها
تحقق في كتابها الآتي كلمتنا المقولة : الثالثة ثابتة »

ماريحة عبود

(طبق الأصل)

وإني يا ناقدى ، لفي البداية ، فإن لم تأخذوا بيدي أخذ الدهر
والدهر فى بعض الأحيان كريم سخى .
وختاماً أرجو أن يقف الناس من كتبي المتواضع وقفة العابر ،
وأن يلقوا عليه النظرة والسلام .





خداوند جموری

من جناح المعناز فی مستشفى میرالپاس
تبرع بأشیئده یهوداً نوفا علی روح زوجہ
سنة ۱۹۴۷ .

مهداة الى الدكتورة بنت الشاطیء
مع خالص التحیات .

تتفجر الآلام في أعماقنا ضاحكة تريد المزيد . . . وتتسمر السجود
في مآقينا تريد أن تنفلت من صخرة المستحيل .

ونحن ضائعون بين رعوثة الوجود ، وصلاحيّة الأمانى . كلما
ثارت أعماقنا ، وتحجرت مدامعنا ، وتسمّرت آهاتنا تنشد دُمعة قاهرة ،
وابتسامة ساحرة ، وأنشودة عابرة ، نغنيها على ناينا المأخوذ لتشدنا
حسرة ، وتفيقنا في نظرة ، وتطربنا بخمرة .

على هدهدة خواطرى ، حملت الناقلة إلى مستشفى مير الياس
سيدة تقدمت بها السنون حشمة ، وكستها الليالى روعة ألم ، وكان قد
كسر عظم لها عندما قد سقطت من كرسيها على الأرض وهى تهم
بفتح الباب .

ومرت لحظات ، استدعى خلالها أهل السيدة الدكتور «كاظم
شبر» المعروف بجبر السكسور وعملياتها ، لاجبر الخواطر وملاحقاتها كما
يقول عن نفسه ساخرآ . وبعد أن أجرى الفحص اللازم التفت إلى
الدكتور كاظم شبر ، وقد ارتسمت على محياه شبه ابتسامة يحاول أن
يخفيها بين شفثيه :

إن النّام السكسر يطول أشهراً تكاد تكون معدودة ، شأن
المسنين ، لأن العظام لا تنمو ، بل إنها تكون في غاية نموّها ، وإن
من رأى أيتها الأخت أن تستدعى الدكتور (كرجى ربيع) ليفحص
جسدها للتأكد من الصحة العامة ، وعلى الأخص القلب .

وكانت المريضة مضطجعة على سرير ، وهى تبدو متشائمة . إلا أن بريق الجمال لا زال مشعاً بعينها يشير إلى عكس ذلك .
وكان علاج ، وفحص ، وعناية ، وإذا بالأيام التى ظنّها الدكتور ستطول . كانت أقصر مما يتصور ، وإذا بتلك الأيام تتكشف لى قصة « خاتون » . . . ! !

عاشت « خاتون » مع زوجها فى مبدأ حياتها عيشة الملوكات ، فى أبهى القصور ، إلا أن موت زوجها أحزنها ، وزاد حزنها موت أخيها مباشرة بعد الانتهاء من تشييعه جثمان عقيلة السيد حسقيل شنتوب رئيس الطائفة الإسرائيلية فى العراق حاضراً .

وضاعف الألم سفر ابنتها إلى أواسط الهند بسبب زواجها من أحد التجار الهنود . وكانت بارعة الجمال ، لطيفة بديعة ، مما حمل آل جورى على توزيع صورتها على أفراد الأسرة ومعها ألف حسرة . ولم يكن بين الأم وابنتها إلا ما بين البعيد والبعيد ، من رسائل متبادلة ، وشاء الله أن ينجع الأم بولدها على أثر حمى اختار الأطباء فى فهمها ، وأن تكتنم الأم النبأ عن ابنتها . . . وتموت البنت ويكتنم الصهر النبأ عن الأم والشكلى ، إذا بالسكتان ، ذلك الأمر الضاحك الباكي ، الذى استحال عبءة فى المآقى تصرخ وتريد .

لن يكفى مؤونة قلب وذخيرة عاطفة أن يجتمع الجمال والكمال والمال ، من غير الشعور بالاطمئنان والأمل فى البقاء .

كل من نهـواه يمضى عجلاً ليه يمضى بنا فى مهـل

وتحسنت محبة خاتون على العموم ، وأخبرني أطباؤها أن لا مانع
من مغادرتها المستشفى أى وقت تحب ، وبقى على أن أبلغها قرار الأطباء .
وقصدها ، لهذا ، فلم أكيد ألقى عليها تحيتي ، وأبدأ الحديث المعتاد ،
حتى قالت :

— أنشدني ما تحفظين من الشعر . ! !

قلت — حدى ما تريدن بالضبط .

قالت — ما يعجبك يعجبني .

قلت — أيعجبك حديث الغزل . ؟

قالت — إلى به ، إنه يذكرني بألف حسرة ! !

فأنشدتها قول أبي ماضى :

أنا لست فى دنيا الخيال ولا السكرى

وكأنى فيها لروعة ما أرى

يا قوم هل هذه حقائق أم رؤى

وأنا .. أصاح .. أم شربت مخدِّرا ؟

لا تعجبوا من دهشتى وتحيرى

وتعجبوا إن لم أكن متحيرا

كيف التفت رأيت أية شاعر

لبق تعمد أن يحجب ليهررا

مسحت بأصبعها الحياة جفونه

فرأى المحاسن فانتقى وتخيرا

لكنتي لما لمحت زهورها

شاهدت أحلامى تطل من الثرى

فالسحر فى ضحك الندى مترقراً

كالسحر فى رقص الضياء معطراً !!

قالت - عظيم . . . أكمل .

قلت - تلك قصيدة طويلة ، وأخشى أن لا يكون لدى متسع

من الوقت .

فقاطعتنى وأومات إلى الخادم أن تقفل الباب حتى أنتهى من

إنشاد القصيدة واستحلفتنى بكل عزيز إلا أن أكمل . فنزلت عند
رغبتها وأنشدتها :

قل للألى وصفوا الجنان وأطنبوا

ليست جنان الخلد أعجب منظرا

إن كنت تجهل ما حكايات الهوى

فأصيح لو شوشة النسيم إذا سرى

واشرب بعينيك الجمال فإنه

خمر بغير يد الهوى لن تعصرا

حاولت وصف جمالها فكأننى
ولدتُ بأنملة يحوش الأبحر
واستنجدت روى الخيال فخانى
وكبا جواد فصاحتى وتعشرا
أدركت تقصيرى وضعفى عندما
أبصرت ما صنع الإله وصورا
أنا شاعر ، ما لاح طيف ملاحه
إلا وهلل للجمال وكبرا

ولم أكد أنتهى من الإنشاد ، حتى اندفعت خاتون تصفق بحرارة
وتزجى عبارات الإعجاب والشكر ثم انبرت قائلة :

هذه المستشفى بيتى ، وأنت ابنتى ، وهنا مقامى ، ولن أخرج من
هنا إلا جثة هامدة ، ولا تغمض عيني إلا أناملك . . . أترك فاهمة !!
قلت — أمنية تمنأما كثيرون . . . ولم يحظ بها إلا القليلون .

ومنذ ذلك الحين ، لم أتركها لحظة ، إلا وعادت إلى طلبى . . .
وأخيراً أخذت أسمع بقية المرضى يتهايمسون : ماذا فى الغرفة رقم ٦ ؟
لماذا لا نحظى بوقت (هذا الملاك) كالوقوف الذى تحظى به تلك الخاتون ؟
مع الممرضة حق . إنها أعظم من غرفة ، سلطان . فيها الطنافس التى
لا تشمن ، والزهور التى لا تصور . وفيما عدا كل ذلك ، فإن فيها امرأة

تبلغ الخامسة والسبعين من العمر ، حتى قلب هذه المرأة قد ملكته .
يا لها من فتاة داهية .

والخيرة حيرتى ، تتطلب منى فنونا من الأجوبة ، لأثبت لهم أنها
سيدة تستحق عطف قلب كقلبي .

ومرت أربعة شهور وقد بلغ ما دفعته هذه المريضة إلى إدارة
المستشفى أكثر من سبعمائة دينار ، عدا أجور الأطباء والمساعدين ،
ولكن القدر كان يلاحقها ، فأصبحت بذات الجنب وذلك ما كان الأستاذ
(ربيع) يتوقعه ، أو ما كان يخاف من حدوثه .

ونضاعف اهتمامي بها ، كما نضاعف اهتمام الأطباء المسؤولين ،
بناء على طلبها ، فهناك الدكتورة (توكار) للفحص الداخلى ، والأستاذ
(جوبنيان) الإخصائى بالأمراض الجلدية ، والدكتورة (توكار)
طبيبة أجنبية ترأست القسم الخاص بالولادة فى المستشفى المذكور منذ
أكثر من عشرين سنة برهنت خلالها على إخلاصها لكل مريض .
أما الأستاذ (جوبنيان) فإننى أتذكر كلما وقع نظرى عليه ما همسه فى
أذنى أكثر طلابه الذين تدرَّبوا على يديه ذلك بعدم إذاعة اصطلاحاته
المرهية بين الناشئين ، ولعل مرجع ذلك إلى احتكار الشهرة إن لم يكن
بقصد تجارة الطب .

وأخيراً والأساندة كلهم وعلى رأسهم الدكتور (باليان) مدير

المستشفى والدكتور (سوستمان) الجراح المعروف لم يستطيعوا وقف
القدر . وقبل أن تلفظ السيدة خانون أنفاسها الأخيرة بأيام معدودات ،
وزعت كل ما تملك على الوارثين ، بالتساوي ، وأوصت بصليب ذهبي
لخادمتها ، وافتاة الإنسانية قلب لا يباع ولا يُشترى .



الحديث لأخير

يا للحياة ! كيف تمضي بنا وعالينا وهي
لأنها بشرط ، ولأنها جبل من فضيحة ؟
يا للمادة إذا أنشدت من الذكريات
ما هو حي .

عسى أن تكون يا قارئى ساخرآ ، أو جادآ ، إذا علمتلك الحياة
كما علمتني دروساً منها ما حسبت حسابها . ولم يخطر ببالى منها بعضها ،
وما تعدى وتحدى الحساب بعض آخر منها . . وما نأفئ الخيال ،
وما انسجم مع الحقيقة فخلته جدآ ، فإذا به سخرية فى سخرية ، وما بين جد
وسخرية كان نغماً ، وكان شئى سرّ القلب فى دمة وسرعان ما أحزنه
بابتسامة ذكّرتني بالجدّ على اعتبار السخرية ، وضاعفت هذه الذكرى
عندى السخرية على حساب الجد ، ولكن . . باطار خلّاب توافرت
بحواشيه نشوة نفس طروب كان نصيبها بما أعطت ضعف نصيبها
مما أخذت .

فى ماذا ؟ والشوق إلى ماذا ؟

أو ما لهذا الغموض من آخر !!

أنا فى حيرة من أمرى ، لأننى لأعرف الناس إلا على حساب
نفسى ، ولا أفهم حقهم إلا عن طريق حقيقتى ، ولا ألمس ظلالهم
إلا حين أفقد صوابى ، فى العظمة إذا بلغت القمة . . فى فداحة التصوير
إذا تناهت عمقاً ومغزى . . فى حياة عابرة رغم الحس واللهمس . . فى وجه
ضاحك رغم الألم . . فى شفاه صامته زاهدة فى مباهاجتها تتحدى التعبير

والتصوير .. فى نظرة أمدض من السيف ، وأحكم من السلطان ! فيما يتناجى
من صور فى خواطر وإحساسات بلغت كل الحفايا والأسرار فتوفرت
فيها كل الشروط ، وافتقرت بهذا التوفير إلى شرط كان لا يتعدى أكثر
من حرفين .

يا للحياة ! كيف تمضى بنا وعلينا وهى لا تعبأ بشرط ولا تختجل
من تضحية ؟

يا للسعادة إذا أنشدت من الذكريات ماهو حى .

يا للراحة إذا رتل من الأمانى ماهو سام .. يا للخاطر الذى
لا يعرف الركود والجمود فى لحظات معدودات بها ولاجلها يقامى العمر .
يا أسفى على أسفك .. إنه أسف شديد ، فى لحظة وجدتني أراجع
فيها قاموس الفكر .. لأسجل بعضاً من خطراته الحرة ، عن قارىء حر
شاءت الذكرى أن تجسمها أمامى فى ذلك الموضوع الذى كتبه الزميل
الأستاذ الخشالى فى جريدة الاتحاد الدستورى بعنوان [حديث بيننا]
وبنفس اللفظة التى كتب بها الأستاذ حديثه .

أما لماذا كتبه الخشالى ، وكيف كتبه ؟ وماهى الأسباب التى
أوحى له بذلك ؟ فهذا ما أسائل نفسى فيه ، ولا بد من جواب ألتقاه
ولو على صورة ماخرة تستأثر بالخيال عن طريق الواقع .

إذن فليقرأ الخشالي ما كتبه من جديد ، وليستم بكل سرور شاء
أن يسرده على القراء بكل جرأة وصراحة ، وليذكرني كما أذكره
في خاطرة اكتملت فيها كل مظاهر النبل : فجاءت تعرب أفكارها
في مخلوق لقبوه بالحيوان الناطق ، ولكن بصورة كانت بين الجديد
والقديم حداً فاصلاً شاء الأديب — سبحانه الله — أن يذكرني به على
شكل حديث في قصة ، أو إن شئت فقل قصة في حديث !
ووجدت في دفتر المذكرات ماعادلى حديثاً كان قد مضى عليه
وقت طويل . . أستعيدة في خاطري كأنه حدث الساعة هذه ، وتبدأ
القصة ، ويبدأ الحديث .

« ورن جرس التليفون » ، وانسابت حورية اجتمعت فيها كل
معجزات الخالق في تقاطيع جسدٍ يعلن حرباً دون سلم ، ونبرة صوت
يكهرب من غير سابق إنذار ، وقالت وهي تستأذن في الدخول إلى
مخدع نومي ، وقد حملت بيدها صينية عليها فنجان من قهوة :

— لقد طلبك شخص يظهر أنه أديب ، فهلاً تلتفت عليه
بالجواب ؟
فضحكت .

فقالت (وهي تنظر إلى نفسها في المرآة) — لماذا تضحكين حتى
في بكائك ؟

قلت — لماذا أنت خطرة حتى على نفسك ؟

قالت — ذلك أيضاً من لطف القدر .

قلت — لك ما تريد ، سأكلّه من أجلك .

قالت — من أجلى أنا ؟ مالى وللأدباء !

قلت — وإلا ، فلماذا أعجبتك رسالة الأستاذ المصرى الذى قال فيها

(لعن الله الأدباء وأنا واحد منهم) ؟

قالت — أعجبت بها حرصاً على راحتك كما يقول الكاتب الأديب

بلسان حاله .

قلت — والآن . . أكلّه ، أم لا ؟

قالت — إن هذا الشخص يحاول أكثر من أسبوع الاتصال بك

تليفونياً . . إنه مجهول لدى ، وقد حسبته واحداً من الذين اعتادوا

مضايقتك ، ولا شغل لهم إلا تفاهاتهم برفع السماعه والتصنّت ليس غير .

ولكنى قد أكون مخطئة إذا حسبت هذا الشخص من أولئك . إنه شخص

مؤدب كل همسه كما علمت أن يتوجه إليك ببعض السؤالات .

قلت — هل تعلمين يا فيلسوفتى الصغيرة أنه لا متسع لدى من الوقت

لأمضيه معه فى الجدل ، وأنى أربأ بالوقت المتسع أن يمضى فى بطون

الكتب لا فى بطون الناس .

قالت — وإذا عزفتُ لك إحدى قطع « شوبان » ؟

قلت — أكون شاكرة ، فلا أحسن من أن تذكريني بعبقري
متألم .. أيتها الحورية .. يامن هبطت إلى الأرض دون علم
الشیطان .

فضحككت ، وضحككت ، وسرعان ما بسطت إلى ذراعها تستنهضني
وهي تقول : « هيا بنا ، إلى الغرفة الأخرى .. سأغير ملابسى احتراماً لك
ولشوبان » ، ونهضت بالفعل ، ولم تمض لحظات إلا وعادت بأنغام
تعزفها على « البيان » فتأسر رغم كل حرية ، حتى إذا ما بلغت من الطرب
كل مبلغ ، نهضت تلقى على « البيان » تحيتها المعتادة وهي تنشد قصيدة
« عذيبى » ، وظلت تغنى وتتطرب حتى اجتمع كل أفراد العائلة
الموجودون في بغداد والقادمون من البصرة أو أرض الوفاء كما ادعوها
واستمعوا إليها ، وكانت تنشد بإبداع وروعة ، حتى إذا انتهت من
الإنشاد التفتت إلى وقد التمع في عينيها بريق سنى ، وراحت تسألنى :
— أيعجبك صوتى ؟

قلت — لقد قتلتنى بغير دم .

وتعالى التصفيق ، وانحدر كل منهم إلى مهمته ، ولم أكد أهم
بالإشراف على ترتيب بعض شؤون البيت إلا ورن جرس التليفون ،
وانساب صوت رجل يقول :

— الأستاذة الست موجوددة !

قلت — تكلم .

قال — حضرتك ؟

قلت — نعم .

قال — كيف الصحة ؟

قلت — بألف خير ، والسبح لله .

قال — أتمنى لك النجاح والتوفيق .

قلت — من يكون حضرة المتمنى ؟

قال — قارىء .

قلت — عماك ألا تحشر نفسك على القارىء الحليم .

قال — وهو كذلك . . هالآ سمحت بسؤال ؟

قلت — تفضل .

قال — ماذا تقصدين فى كتابك بقولك آه ، وآه من آه ؟

قلت — المعنى غميق ، ودقيق ، يشير بعضه إلى دمة فى ابتسامة ، وبعضه يعرب عن ابتسامة فى دمة .

قال — لم أفهم . . حتى كلامك مع الناس فلسفة !

قلت — يظهر لى من جوابك أنك فاشل فى فهم الفلسفة ، وما أشد أسنى إذا اتضح لى أنك حاكم أو محام .

قال — ولكن الفشل سر النجاح .

قلت — هذه نظرية ، لن تنطبق إلا على شكل المربع والمستطيل والشبه منحرف . . أما الدائرة فلا يمكن أن ينطبق عليها مفهوم هذه النظرية إلا إذا خرجت من أيدينا على أشكال مربعة أو مستطيلة أو شبه منحرفة .

قال — أنت فيلسوفة وعبقريّة فما هي نظرتك في الحياة ؟!

قلت — لقد خرجت عن سؤالك بغتة وكان عليك أن تقطع مراحل عديدة لتصل إلى الجهر به .

قال — لقد ضيعني قولك في تلك النظرية .

قلت — أنا لا أقر بفلسفة يا حضرة القارىء مادمت أحب ولا أكره وأعطي ولا آخذ ، وأعبد ولا أكفر .

قال — منتهى الأسرار والألغاز في هذا الجواب .

قلت — لا تسكن كذلك القاص المصري الذي كان كلما خصصته أو خصني برسالة راح يختبر أفكاره وهو يسأل « ماذا تعنين بهذه الجملة ؟ ومن هو المقصود في هذه العبارة ، أنا أم أنت ؟ أنا أمى يا مليحة ، أو إن شئت فقل غي ، لا أفهم كل سطر يترجم لى فلسفة لا تحل إلا بكتاب جديد ، وأخيراً معك ؟ »

قال — لقد عرفت هذا الكاتب ، أليس هو توفيق الحكيم ؟

قلت — لا . . ليس هو مادام صديق المرأة في غير حساب .
قال — كثيرون يدينون لك بالفضل ، ولو استنطقت الحجر لقال
ذلك القول .

قلت — يجوز أن ينطق الكثيرون . . ولكن هل ينطق
أخرس ، وأمى ؟

قال — أخشى أن تكوني أنت السبب ، ولكن لماذا تخدمين
الأدب ، والناس أجمعين ، ولا تخدمين نفسك ؟
قلت — من أين لك هذه الأخبار ؟

قال — من تجارب الناس فيك ، يشهد بها حتى من عاداك .
قلت — شكراً لله .

قال — لم تجيبي بعد على سؤالى إياك عن نظرتك في الحياة
إجابة تامة .

قلت — نظرتى . . مثلى ، يحسبها البعض بسمطة ، ويظنها الآخرون
معقدة ، ولكنها نظرة ، لا يقدرها إلا من يكتب أو يقرأ بدم القلب ،
ليفهم ما يعنيه الكاتب في مقطع ! والشاعر في بيت ، والفنان في لوحة !
قال — أنت فوق الفلسفة والثقافة والنضوج ، وأنا مع هذا
مدين لك بهذه اللحظات المهدودات في حساب عمري ، شكراً . .
ومع السلامة .

• • •

ورن جرس التليفون وانساب نفس الصوت بعد أسبوع وبمثل ذلك اليوم ، يسأل بعد مقدمات :

— من أى مدرسة تخرّجت .

قلت — من الصف اللانهاى فى مدرسة الحياة .

قال — إن الأدب لا يتفق ومهنتك .

قلت — إذا عدّل الدرّ الحجير ، فقد أجد فى قولك بعض الصحة .

قال — ماهو مبدأك ؟

قلت — الحب !

قال — كم عمرك ؟

قلت — عمر الزمن ، بلا تاريخ .

قال — ومسقط رأسك ؟

قلت — بلاد الخوارق والأساطير .

قال — وجنسيّتك ؟

قلت — من سلالة القروء بعد عمود .

قال — ماذا كتبت خلال الأسبوع المنصرم ؟

قلت — راجع الزمان البيروتية ، والميرق ، والصيد ، والدنيا ،

والفن المصرية .

قال — والصحف العراقية ؟ أليس لها نصيب من الانتاج ؟
قلت — لا ترث لمن ينتحر .

قال — يسرني جداً أن أقرأ لك بعض المحبرات فيها .

قلت — هناك بضعة أنفاس ، على الزمن أن يمهلي استنشاقها
بسيكارة أخرى من سيكاير الأيام .

قال — أنت أعجوبة . . يالك من فتاة طيبة لاتضمن الخقد على
أحد ، ولكن لماذا ؟

قلت — لقد خلقت والطيب ، وأن الطيب حتى باق ! .
قال — علام !

قلت — لأخرج بالقاسم المشترك الأعظم على حسابي لاعلى حساب
الزمن والأيام والظروف .

قال — لفلسفتك ألف حساب ، وكتاب .

قلت — الفلسفة لاتتقيد بحساب وكتاب .

قال — أأنت يهودية ؟

قلت — يجوز .

قال — ولكنهم يقولون أنك مسيحية .

قلت — يجوز أيضاً .

قال — ويدعي آخرون إنك مسلمة .

قلت — وهذا يجوز كذلك ، ولكنهم فاتهم أن يقفوا عند هذا الحد ، فيقول بعضهم إنني كافرة ، أو من عباد الأصنام أو النار .
قال — بالله عليك ما دينك ؟

قلت — الدين يا أخى . . هو أن يكون لك قلب لتعبد الله ،
عن كل دين ، وكل حق ، يامعمل الفلاسفة بالحساب والكتاب ، وأخشى
أن تعلمها بعد ذلك بالمد والجزر .

قال — مارأيك فى موسى ؟

قلت — آمنت به لأنه تعذب .

قال — وفى عيسى ؟

قلت — آمنت به لأنه تألم .

قال — وفى محمد ؟

قلت — آمنت به لأنه جاهد وهدى .

قال — وفى الحب .

قلت — آمنت به قبل أن تلامي أُمى .

قال — والعذراء .

قلت — إلى هنا يقف مد الفكر وجزره .

قال — لماذا تعرّضين نفسك إلى الشر عن طريق الخير ؟ !
قلت — لمأرب من مأرب ، ولغاية في نفس يعقوب .

قال — هلاً وضحت .

قلت — أما المأرب فهو لا يتعدى أكثر من مأرب امرأة طموح
رغم العذاب .. متحسرةً رغم الألم ، ولكن بأغلى الأثمان .
قال — والغاية التي في نفس يعقوب ؟

قلت — لست أدري ، ولكن قد تكون حكمة الخالق في .
قال — أعجب مخلوقة ، في أعجب قصة .

قلت — أصدقت أنها أعجب قصة .. إنها يا أخى من تاريخ الإنسان ،
وأسأله تعالى أن يعيننى على كتابتها كاملة لتكون ملكاً مشاعاً للناس
من بعدى .

قال — شكراً وإعجاباً ووداعاً إلى فرصة أخرى .
قلت — ما اسمك ؟ !

قال — ستعرفين ذلك غداً .

قلت — أرجو أن أعرف الساعة ؟

قال — سأبين لك اسمى ولكنى سوف لن أكلّمك على اعتبارى
قارئاً عابراً . أنا فلان المحامى .
قلت — تشرفنا .

قال --- وبكم .

ومعنى أسبوع ، وحلَّ اليوم الموَّعد الذى فيه يرُنَّ جرس التليفون
رنينه المعهود .

ولكن ليس من رنين . . بل رسالة خطَّية وباسبورت يشير
إلى الخير ، وكان إن رفضت ، وتذكرت ، ولكن بآه ، وآه من آه . .
فلقد حمَلَ البرق فى اليوم التالى خبر مصرع محام قدير قد اغتيل ،
وخسرت قارئاً عابراً . . قارئاً ممتازاً . . مع الأسف الشديد .



أنا وأنت

أنا .. وأنت .. والأمر الواقع .. فى الشوق الدافع ... إلى السر
الذى يسمع ... من الوعى الذى يخضع .. فى النار التى فى قلبى وقلبك .
فعلام العذاب ... ولا بد أن نحترق ؟ !
وحتام التعذيب ... وكلانا حطب للحب ؟ !
والإلام التناهى .. والحرقة ترتعش لتدنينى منك بمثل ما تدنيك منى ؟

أنا .. وأنت ... والنار واحدة ... والدافع واحد ... فى شوق
واحد ... وأمر واحد ... لو اقتصر لما انتصر ، ولو اختزل لما استفحل ...
فى حرمان قاتل ... وتين أقتل !

أنا .. وأنت ... وتلك النار ... فى ميول تشتاقيها الروح فى
شفاه ... لا بد أن تقطعها القبل ... وعبادة لا بد وإن أبدعها الخالق
بما يشعر فينا ... ونشعر فى ملكوته ... ولولاك .. لما عبت
الكمال ... ولا عرفت الحياة ... ولا اهتديت إلى الحق ... لأجله فى
روح عانقت روحى ... وقلب أذابهُ سرى ، وشعور تحكم بأعماقى ..
فى عطف ولطف ... والعطف عطفك ... واللطف لطفك .. بعد
عطف الحق ولطفه ... وهل العجب إلا أن أهتدى إلى حبك ...
وأن لا يروينى شيء إلا وهو من فيضك وإليك !

عَبثًا تَغَالُطُ نَفْسَكَ فِي دَلَالٍ .

عَبثًا تَحَاوِلُ أَنْ تُخْفِيَ مَا تَقْضِيهِ الْعَيُونُ !

فَلَمَّاذَا تَهْرَبُ مِنَ النَّارِ ، وَكَلَلْنَا عَلَى جَمْرٍ لَا هَبَ . . . نُصْغِي إِلَى شَيْءٍ
لَا يَتَعَدَّى أَكْثَرَ مِنْ كَهْمُسٍ قَدَحٍ لَا يَفْرُغُ إِلَّا لِيَتَسَلَّى قُوَّةَ مَائِلَةٍ لَا تَبَاعُ
وَلَا تُشْرَى ، وَلَسَكُنْهَا تَوْهَبُ عَلَى حِسَابِ الْحَرِيقِ ؟

فَكَيْفَ إِذَا كُنْتَ أَنْتَ النَّارُ . . . وَكُنْتَ أَنَا مَرَاتِمَهَا ؟ ! .

وَمَنْ عَجَبُ أَنْ تَسْكُو رُوحِي إِشْرَاقًا .

وَتَفْتَتِ كَبِدِي احْتِرَاقًا .

وَتَذِيبُ قَلْبِي إِرْهَاقًا .

فِي قَلْبِي حَبْلٌ لَوْ سَأَلْتَ ! .

فِي جَوَانِحِي مَعْبِدُكَ لَوْ عَرَفْتَ .

فِي كَنْهِي جَوْهَرِكَ لَوْ جَرَّبْتَ .

أَكْثَرَ مِنْ حَيَاتِي كَلَّفَنِي حَبْلُكَ .

وَأَعْظَمُ مِنْ تَضْهِيقِي كَانَتْ تَجَرُّبَتِي إِيَّاكَ .

وَأَشَدُّ إِيغَالًا مِنْ عِبَادَتِي كَانَتْ حَقِيقَتُكَ .

فِي قَلْبِي وَعَيْكَ أَبْلُغُ مِنْ وَاقِعِي . . . وَفِي سِرِّ عِبَادَتِكَ أَعْظَمُ مِنْ
كُلِّ أَجْوَانِي .

عَلَى هَذِهِ النَّسَارِ . . . وَالنَّارِ مِنْكَ وَمَنِي . . . مِنْ أَمْرِ الْعَجَبِ . . .

وَلَا عَجَبُ إِلَّا بِدَوَامِ انْصَالِ حَيَاتِي بِحَيَاتِكَ ! . . . تَمَسَّكَتُ بِالْحَقِيقَةِ ذَاهِلَةً . . .

وسرت بالحلم شاردة من قوة إلى قوة شعت من روحك فأنارت روحى
فى جسدى ... الجسد الذى استبدت وحشته بإيناس ، واستفحل شكى
بعبادة ... وهنا العجب ... ولا عجب أن يحب فيلسوف فيلسوفة ...
حبا تعمق وانطلق ، وكنتم فاحترق ، كما تقول ... فى سرّ تترد سخا كما ،
قبل أن أولد من ذرة كان منها ما كان من شىء ولا شىء ... من أمرى
وأمرك . . وأمر هذه النار .

والنار نارك فى نداء شاعرة .

وأغنية حائرة ... ترددتها شفقتى معلنة استسلام شفاهك قبل البداية ...
حيث لا بداية ولا نهاية .

والنار فى الحشا قبل أن يكون اللقاء ... وقبل أن تكون المعرفة .

* * *

يا حبيبى .

اجعل الشمس رداك .

والسماء حقاك .

والبحر جوهرك .

ولى منك بعد هذا وذاك ثوب الفضيلة والعفاف .. فىلى .. إلى ...

أنت ... والنار .

إن كان فى النار بعض الكفاية .



مَاذَا بَيَّنَّا

علام الجديد يتلى بالقديم والام القديم
يصطلي بنار الجديد . . وايس من قديم ،
ولاجديد الاحديث بيننا .. تري .. ماذا
بيننا ؟ !

الموضوع جدُّ دقيق ، وجدُّ رقيق ، وعلى ما فيه من رقة ودقة
أرى ليس من السهل التعمق فيه دون دون حرق ، والخوض فيه من
غير شوق ، وما دمننا في حرق يعذبنا لنضجك ، وشوق يطربنا لنبيك ،
في دمنعة نجد في تأثيرها وفهمها وإكبارها وإيمانها اطمئناناً يضاعف
ما فينا من اطمئنان ، وإن كان فيه حوادث تبدو للعيان مألوفة تكاد
تبلغ في مألوفها حداً يكاد يكون غير مألوف .

تلك هي الحقيقة ، لا تكاد تحدثني عنك حتى يروعني ما هو
منك في أمر لا يتعدى أكثر من جدال .
وأخيراً ، معك !!

كل يوم وخبر جديد ، وكل ساعة وخاطر طريف ! وكل دقيقة
وأهنة عميقة . والزمن مع هذا لا تفلت لحظاته المعدادات إلا من عمرنا ،
وإلا فماذا يبتنا يستوجب الغضب ؟ !!

يا صاحبي ، في صوتك رنة عتب ، وفي عينيك ألف علامة استفهام .
ومع ما يبتنا من أخذ ورد فأنا لا أستطيع أن أسخني عليك حتى لهني ،
مادمت أنت لهني ، وشغني ، ما دام فيك شغني . ومع هذا لا أزال
أراك أخرس ، فهل حرصك على أخرسك ؟

وهل النبيرة على ضاعفت فيك الغضب ؟ وإلا ، لماذا أراك
صامتاً مأخوذاً في الصمت ، بحياء يتردد فيك في كل رعشة من خطر اتى .
وأنت كل خطر اتى ؟ !! وإذا شئت فأهاتى ، وأنت مع كل هذا لا تعدو

أكثر من (أنا) ، وأنا مع هذا وغير هذا لا أعدو أكثر من (أنت) .
ماذا بيننا . . !! أحرِب أم سلم ؟ !! فإذا كان لا بد من أحدهما
ففي كليهما إخفاق لا بد منه لنهوضك في قلبي ، وانتصارك على مشاعري !!
وحتى الإخفاق من جانبي ، هو راية انتصارك ، ولكن ، مَنْ المنتصر
حقاً ؟ ومن منا قد غناه هذا النصر فاستطاع على الرغم من طَرَبِهِ أن
يضيف إلى قلبه معنويات ابتكرها الشوق على أساس !!

ماذا بيننا !! لتستعذب عذابي ، وتستلطف تأوّهى ، على نار
ألهبت روحى فى سطورك ، وشعلة أنارت قلبي فى يراعك . ولهذا كان
غضبك مدعاة للتفكير . ؟ ! ومن أجل هذا كانت حتى ثورتك وسيلة
لانتعاش روحى من روحك ، وكان ظلمك لى سبباً واضحاً لتقوية حقى
عليك . والغريب كل الغرابة ، أن يحدث هذا بيننا دون علمنا .
ماذا بيننا !!!

أنار لاهبة ، أم نور ساطع ؟ ! قل لى بربك : ما الذى أثار عبوسك
وتقطيعك . . !! ؟ ! فإنى أرى فى صمتك وغضبك أضعاف ما يقوى
مركزى ، مادام أصل الصمت أروع من الكلام ، وسر الغضب أضمن
من الرضا ، سواء أحدثتني بفعل القلب الصادر عن العقل ، الذى
لا زال يثير فى نفسك ألواناً من المعانى وضروباً من الخواطر ، تعكس
مرآة نفسى من نفسك .

ماذا بيننا ، أكثر من ثقافة عقل ، وحضارة جسم ، لمسناهما
أحراراً إلى أبعد مدى ، وأقصى أمد . فنهضنا بلا عثار ، واستقمنا إلى

الحق والعدل في قوة ، والقوة هي التي ظفرت بنا ، ولكن بأعلى الأثمان ،
كلفتني فوق ما تتصور ، ومع هذا فما زلت ، وسأظل على الدوام
معجبة بك ، إلى درجة تفوق الحب في غير تحفظ ، وإلى غير حد ،
والناس مع هذا لا يفهمون ، ما بيني وبينك ، أكثر من فهمهم أعمالهم ،
وما بيني وبينك فلسفة ، عميقة دقيقة تتحدى حتى الشعور ، وهي في
الواقع جزء لا يتجزأ من هذا الشعور .

ولكن بيني وبينك !!! ماذا بيننا ؟ ! ألحن الصبا . !!! الغز
الدلال ؟ ! أعنفوان الشباب ؟ ؟ أ بداية العمر ، أم نهايته ؟ ! والحق مع
هذا وغير هذا لا يعترف ببداية ولا نهاية إلا ما بيننا ؟

لا تخلني أسرف في القول مادام الخاطر الذي ألهبني هو منك
كالأصل ، وإن كان هناك ما يدعي إلى الإسراف فإن العتب على ما زرعت
في قلبي وما لوحت به عيناك .

لا تخف ابتسامتك وذى أسلاكها تبرق في السماء معلنة حق
الأرض علىّ وعلىك .

لا تلتفت إلا إلىّ ، ما دمت أحتمل غضبك ، ورضاك .
ولا تضحك إلا لي ، وإلا مني ما دمت أو من بك إيماني بنفسي . فأجد
في نفسي حرية ، أين منها حرية الشاعر في عبرته ، والسكاتب في حكمته ،
والفنان في صورته ، ولكن لماذا أنت أكثر من أمي بالنسبة لي على
الأقل . تبدو أمياً لا تفهم ولا تعي ، حين تنفعل لأقل سبب ، وتشور في

وجهي لأدنى حركة تبدو من الناس عني ، وأنت على الرغم من كل ما بيننا تستسلم للنظرة العاجلة حيث لا قيد ولا شرط ، وحيث لا شيء إلا أن بيننا ألف حديث وحديث !! وهي أحاديث أخشى أن تدفع بك إلى الغيرة المسرفة ، وأن تكن الغيرة أمضى أسلحة المرأة .

كلانا يا صاحبي في طريق واحدة ، نسير فيها من حيث نشعر ولا نشعر أن هناك فلسفة تبهدنا لنطبق أصولها حتى على أنفسنا .

يا صاحبي ! إن صمتك ذاته مذهب من مذاهب تلك الفلسفة ، كلما حاولت تفسيره لم أخرج منه بسوى حل واحد من القلب ، ومن الصعب أن أظفر به ما دام لا ينتهي الشعور إلا لك . فهل لك بعد هذا أن ترى أى مبلغ بلغت في ؟ وأى حد وصلت من أسوار سمائي ؟ !!

أنا واثقة يا فيلسوف أنك مخلوق بسيط ، بسيط جداً ، حسن النية مثلي ، خالص الضمير كل الخالص ، فلماذا تتحدثني حتى بالصمت ؟ ولماذا يسحرني حتى غضبك ؟

ألم أقل لك إنك أمي ، وأن هناك مناظر أخرى تجري الحياة فيها بيننا واسكن ، بألف صورة . ومع هذا فهي لا تتحدد بأكثر من حديث ، فيه نعيش ومن أجله نموت . ولهذا أقول لك إنك مازلت أمياً أكثر مني . ماذا بيننا ؟ !!

وهل أكثر من غضب أخرجني عن طوري ، وأفقدني كل شيء إلاك من حق ، ومن حق التفكير فيك . والتفكير فيك يا صاحبي

ظاهرة ملحوظة من شأنها أن تخضع لكل خاطر : ما دام هناك تقارب وتباعداً ، بين فكر فكر ، وقلب وقلب ، ولكن !! ما للأعماق تجبرنا على السير الطويل ، وعلى المضي في هذا السير حتى لسكان هناك مدعاة طرب ، أو هناك نبع عذاب عذب ، قادنا بلمح البصر ، ودفع بنا بخطف البرق إلى محور ، عليه يبنى أخذ المحيط والمساحة !! محيط الشعور ، ومساحة الأعماق ، ومع وجود هذا المحور ، وإثبات نظريته ، أرى أعماقنا لا تنقيد بمساحة ، ولا يحدّها شعور مفهوم .

والحديث بيننا يأخذ ولا يعطى ، وهو لا يتعدى أكثر من واقع شعّ نوره في دياجير نفوس أطلقها عسر ، كما أطلقنا ، ولأجل ما بيننا تداخلت أوهام الناس بأحلامهم ، وتشابكت أسرارهم بأطيافهم ، واهتز عرش الحق حين رآني ورآك بين كتل البشرية ، قد تراكم على كواهلها ضوء مازجه ذلك الصوت الصارخ بعبودية غارت في أوداجها الحقيقة المرة على أساس أن هناك نفوساً ، غاب عصرها حيناً ، وحيناً ظهر .
بينى وبينك حديث نبعه أمل يصارعه أجل ، وفيضه رجاء
يبعثه شك ، والناس بينى وبينك ملأوا الإيمان فتوراً ، واستبدوا بالحرمان غروراً ، وأطاحوا بالحق ، جديده ، وقديمه ، وخلوده .

فعلام الجديد يبتلى بالقديم . . ؟ وإلام القديم يصطلى بنار الجديد ؟ وليس من قديم ولا جديد إلا حديث بيننا !!
ترى . . ماذا بيننا ؟ !!



لحظة معك يا سيد قطب

لحظة معك .. لأتخذ منك لي طريقاً
وأفكارك لي هدياً... وأرشادك نبراساً...
ولأجدني في حاجة الى من يقيني زلات الجبل
العائم وبأخذ بيدي الى السبيل السوي .

هي لحظة لا توصف ، ولكنها تحدث .

في هذه اللحظة ناجيتني أسرارك .

وفي غمرة هذه الحقيقة استفاق شعوري فأبصرت مزيجاً من كل
تلك الأسرار .

أما انت . . فهل فهمت هذا المزيج على ما فيه من أسرار وألغاز ؟

وأما أنا ، فتحياتي بالحنان الرقراق تناسب مع خواطر كنعيم الماء

على قلبك ، ولكن بنغمتين : نغمة توحى لتشفع ، ونغمة تثير لتبتدع .

وبعد .

لحظة معاك . . لحظة أكاد ألمح فيها كل ما فيك من روعة ، روعة

الجمال الأدبي رغم ما يعانيه الأدب في عصرنا من أمراض فكرية

أصابته في الصميم ، وهي أمراض على كل حال ، وأنه عصر على كل حال ،

وأنه أدب طغت عليه الظلمة فاستثار ، ولكن بالذل ، وتلك ضريبة

عبرت عنها ما عبرت سواء أكان ذلك على صفحات الرسالة ، أم في كتب

أعددتها لهذا الغرض فتوفقت ، لأنك أفهم بأهل زمانك ومكانك .

صوت يناديني في هذه اللحظة ، في صدى تعالي كما تعالي

الصوت في صدى ، والصدى في صداك ، إن لم يكن صوتك في لحظة ،

أفاقي فجأة في خطوة ، فكان منها ما كان ، كما كان صوت ، كما كان

صدى ، كما كانت لحظة معاك .

فهل لك أن تفسر لي ما أعنيه في هذه اللحظة ؟ وهل لك إلا أن
تنعتني بالغموض بعد هذه اللحظة ؟! وهل لك أن تتمنى لي ما أتمناه لك ؟
كنت أتمنى لو ابتدأت هذه اللحظة قبل أن تتفتح عيني لترى
النور ، وكان يسعدني لو عرفتك كما عرفتك في هذه اللحظة . أما والقدرة
شامت أن أحل حلقة من حلقاتها ، لأقف على حقيقة « قطب » من
أقطاب الأدب ، وبشكل يرضيني ليغنيني !

عاش « سيد قطب » كما عاش الأدباء المتعمقون في كل شيء . .
أولئك الذين يأملون الخير لغيرهم ، ويبعدون الشر عن سواهم بكل
ممانحتهم لحظات الزمن من وجدان حي ، وضمير واهب .

وبعد . . اتصدقني إذا قلت لك إنني على استعداد لأخذ برأيك
كما يأخذ التائه في عاصفة بحرية بجبل النجاة ؟! وهل تنق إذا قلت لك —
وأنت على البعد — إنني أراك في بغداد كما تراني في حاوان ، وحلوان
عندك بغداد ، كما أن بغداد عندي حاوان ! لقد وجدت فيك من
المؤازرة والنشجيع ما يندر وجوده عند غيرك من همّة ورعاية .

لحظة معك ، ياليتها كانت تطول . . فإنها لحظة هائلة أقرؤها في
رسالتك في بعض الجمل ، « ليس أجمل من زقزقة العصفور ، وهي نغمة
واحدة غير مركبة » . وليس أصدق من كلمة « آه » يقولها الموحجوع -
وهي مقطع واحد ! وعندك مائة قولينه ، وفيك موهبة فلم لا تحاولين ! ،
سأحاول يا أستاذي كما حاولت أنت ولكن في صدى ما برح

يُنَاغِيَنِي كَمَا يُنَاغِيكَ ، وَيُنَاجِيَنِي أضعاف ما يُنَاجِي رُوحاً لَأَزَالَت تَوَاكِبِ
رُوحِي بِلهْفَةٍ ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تُسَرِّنِي فِي شَيْءٍ مُّحْدُودٍ وَكَأَنَّهُ الْجَهْوَلُ فِي الْقَيُودِ
وَالسُّدُودِ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُفَسِّرَ لِي هَذَا الشَّيْءَ كَمَا شِئْتَ وَشَاءَتْ لَكَ الْفَلَسَفَةُ ؟
لَحْظَةً مَعَكَ . . لَوْ طَالَتِ لَا تَهْمَتْنِي (بِالرَّمْزِيَّةِ) ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي
أَكْرَهُ الرَّمْزِيَّةَ إِلَى أْبْعَدِ حُدُودِ التَّصَوُّورِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي ،
وَلَا أَتَفْهَمُهَا طَبْعاً وَاخْتِصَاصاً . . وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ
مَا فِي الْعَجَبِ مِنْ عَجَبٍ . . أَنْ يَقَعَ الْمَرْءُ فِيهَا يَكْرَهُ ، وَيَصْطَلِمُ بِمَا يَحِبُّ ،
وَسَأُنْزِلُ — إِذَا شِئْتَ — عَنْ تِلْكَ الرَّمْزِيَّةِ — إِذَا صَحَّتْ — عَلَى حِسَابِكَ ،
وَأَحَاوِلُ جَاهِدَةً أَنْ أَكُونَ كَمَا تُرِيدُ — غَيْرَ غَامِضَةٍ ، وَلَا طَالِسْمِيَّةٍ —
عَلَى أَنْ تُتَذَكَّرَ دَائِماً قَوْلَكَ لِي :

هَ إِنْنِي أَحْسَنُ مِنْ وَرَاءِ سَطُورِكَ ثَوْرَةٌ جَائِحَةٌ فِي مَشَاعِرِكَ . خَفِنِي مِنْ
هَذِهِ الثَّوْرَةِ الْجَائِحَةِ بِالتَّعْبِيرِ الْمُبَاشِرِ عَنْهَا . . أَفْخِصِي عَنِ آلَامِكَ بِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ
لَيْسَ فِيهَا زُحْمَةٌ مِنَ الصُّوَرِ ، وَلَعَلَّنِي أَسْمَعُ مِنْكَ ، وَأَقْرَأَ لَكَ يَا مَلِيحَةٌ . .
مَعَكَ حَقٌّ . . يَا أَسْتَاذِي ، وَلَسْكَنْ !

لَحْظَةً مَعَكَ يَا أَسْتَاذَ . . انشُدْكَ فِيهَا مَا قِيلَ فِي مَهْرَجَانِ عَبِيدِ أَسْكَرِهِمُ
الذَّلِ ، وَأَطْرَبَتِهِمُ الْمَسْكِنَةِ ، وَأَهْلَاهُمُ الْعَمَى فِي عَرَسِ أَحْلَامِهِمْ ،
إِنْ صَحَّ لِأَحْلَامِهِمْ عَرَسٌ !

كَيْفَ لَا تَتَزَاحَمُ الصُّوَرُ عِنْدِي ، وَأَنَا نَفْسِي فِي زُحْمَةِ الصُّوَرِ أَتَمَثَّلُ
أَصْنَاماً غَالِهَا الشُّكُّ بِنَسِيجِهِ ، وَتَمَثِّلُ أَضْنِي عَلَيْهَا الْوَهْمُ وَشَاحِهِ فَسْكَأْنَهَا

ظلال لها كل متناثرة سموها بشرآ ! وأنت الذى تقول « كثيرهم الذين
يهوون من القمة إلى السفح .. لا يرحمهم أحد ، ولا يترحم عليهم أحد ،
ولا يسير في جنازتهم أحد .. هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة الذل كاملة ،
يؤدونها من نفوسهم ، ويؤدونها من أقدارهم ، ويؤدونها من سمعتهم ،
ويؤدونها من اطمئناتهم ، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم
لا يشعرون ! »

لحظة معك يا سيد قطب .. لأسمعك ما قاله « الجواهري »
في هذا المعنى :

أعرفت ملكة يباح (شهيدها)
للخائنين الخادمين أجانبا
مُستأجرين يخربون ديارهم
ويكافؤن على الخراب رواتبا
الشاربين دم الشباب لأنه
لو نال من دمهم لكان الشاربا
شلت يد المستعمرين وفرضها
هذى العلوق على الدماء ضرائبها
أنا حتفهم أَلَجُ البيوت عليهم
أغرى الوليد بشتهم والحاجبها

لحظة معك .

فى عالم شادته أقزام الإنسانية للمستضعفين فى الأرض فطهرته
أرواحنا بتساخها ، ولكن فى حرمة طلاسما لاتحد حدودها إلا بعصا
سخرتى بتوكأ عليها جدى .

لحظة معك .

لاتطلع إلى النظرة الثاقبة فى أمر هذا الجبل الرخو الذى هو بامس
الحاجة إلى من ينهض به وينتشله من جهل عبث به ، وغرور عن له ،
وأطامع بعثرته ، ونوازع شخصية مزقته .. حتى لكأن على وجهه
صورة جماجم بشرية معذبة ، وأشلاء إنسانية مسطمة .. تتنافى وسمو الحق
ورفعة الضمير الإنسانى .

والمسؤولون فى كل مكان لاهون ضاحكون .. بين شك ويقين
تتمرغ فيه ذبائحهم بسكين عمياء ، ويحاول الناحر أن يجد فى الإكثار
من الذبح سر اللذة .. لذة السطوة والقوة والاستبداد .

لحظة معك .. لاتخذ نهجك لى طريقاً ، وأفكارك لى هدياً ،
وإرشادك نبراساً ، ولأجدنى فى حاجة إلى من يقينى زلات الجبل
العائر ، ويأخذ بيدى إلى السبيل السوى .

لقد ذكرت ما أظنه يكفى للبيان .. ولعلنى ألتقى وإياك فى غير
هذا .. إن شاء الله .



سنہ الفروسی

الى أول من أخذ بيدي في مجال الأدب . . .
 الى أستاذ الجيل الحديث الدكتور طه حسين . . .
 أهدى هذه السطور . . . من رحي سطور . . .

نَفْسٌ من الفردوس ، ونغم من السماء . . في أروع ما يشير
المشاعر ، ويملك الحواس . . ويأخذ بيدي إلى حيث لا دليل
ولا هاد .

خطرات مرت بي ، ومررت بها ، فطوتني بأهبة انبعثت من روح
إلى روح . . بما فيها من جلال مطَّيَّل تعالى كالحق . . على رنين قلب يهال
منشداً أبدع ماسطر الشعراء ، وأبدع الناظمون والواصفون .

خطرات . . حديثها يخص شيخين جليين هما : المعري العظيم ،
وطه حسين المبدع .

تري . . ما الذي يجب إلى نفسي هذين الشيخين المفكرين اللذين
هما معجزة الأدب العربي قديمه وحديثه ! . ولماذا أحتفظ بذكرهما . .
من ذكرى إلى ذكرى ؟ ! لست أدري سوى أنني مأخوذة بفلسفتيهما ،
وطريقتي تفكيرهما ، وإنني معجبة .

يغزني الحديث عن طه حسين فأطيل بطبعي ، ولي أن أطيل
الحديث بقدر ما في طه حسين من حق يستوجب أن أقف منه وقفة
المتأمل الفاحصة ، وأن أطيل التفكير . . فإذا تحدثت بعد ذلك
وجدتني مستفيضة من غير التزام أو تصنع ، وأنا بطبيعتي بعيدة عنهما

كل البعد ، وهذا ما يقرّه طه حسين وغيره من الأدباء المفكرين المقرّبين
إلى نفسي .

وإذا تحدثت عن طه حسين أولاً فالمعري لا شك عاذري لأنني
موقنة أنه يؤثر الدكتور طه وإن طالت بينهما الحقب وتباعدت
السنون .

ولست أجد في بداية الخطرات عن طه حسين المبدع إلا قول
الشاعر الجواهري :

أبا الفكر يستوحى من العقل فذه
وذا الأدب الغض استثرت بنا الطبع
ويا سحر موسى إن في كل بقعة
لما تجتلي من آيه حية تسعى
نهضت بنا جيلا وخلفت بعدنا
لآبائنا ما يحمدون به المسعى
لك الله محمولاً على كل خاطر

ومن كل قلب رحت تحتله ترعى
هلم لشرطان الفراتين واستمع
أهازيحها تستطرف المعجز البسدا
وجدد لنا عهد المعري إنه
قضى وهوى بغداد يلذعه لذعا

إن آثار الدكتور قد أبانت أفاقاً واسعة في المشرق والمغرب ،
عبرت عن تخليدها أديباً من أدبائنا الأفاضل ، وكشفت عن مفكر من
مفكرينا وهيبته الطبيعة أعظم شيء ، وسلبته أعز ما يملك .

ولكم اهتزت عند ما جاءني الخبر يؤكد اغتراب الدكتور
الكبير عن مصر إلى حيث لا عودة . . . لست أدري ما الذي دعا
الدكتور إلى ذلك الاغتراب ، ولكنني أدري أن الخبر قد أثارني ،
ونازعتني عواطف شتى دفعتني إلى أن أكتب كلمة عبرت فيها عن
شعوري وبعثت بها إلى صديقه الأستاذ « توفيق الحكيم » وقد
استغرب الأستاذ توفيق من كاتي ، ولم يستغرب من تعقيبته على كاتي التي
نشرها في جريدة (أخبار اليوم) وليس فيها ما يشير فحسب . . بل إن
فيها كل ما يحزن ، وأذكر ما خطه إلى بذلك الأستاذ الشاعر المرحوم
على محمود طه حيث قال :

شَقَّ أَجْنَتَهُ الدِّياجِي السَّوادِفُ
سايِبُ رِقاءُ أَرَقَّتْهُ الخِـاوِفُ
تراى به ليلَ كانَ سِوادُهُ
به الأرض غرقى والنجوم كواِسِفُ

إلى أين تمضي أيها التائه الخطي
يساريك برق أو يساريك عاصف
رأيتك في بحر الظلام كأنما
إلى الشاطئ المجهول يدعوك هاتق
تخوض الدجى سهمان والنجم حائر
يسائل : من ذاك الشقي المجازف ؟
أجبنى طريد الأرض أني يهزني
إليك هوى من جانب الغيب شاغف
أبجهد في الشرق النبوغ ويزدري
ويشقي بمصر النابهون الغطارف ا

وأعود إلى كتب الدكتور . . فأقول إنى قرأت له كل كتبه ،
ولكني لم أجد الإبداع إلا وهو يصل حده ويبلغ منتهاه في كتابيه ،
(أبو العلاء في سجنه) و (صوت أبي العلاء) ، وليس في الأمر أية
غربة ، فما هو إلا كاتب عظيم يكتب عن مفكر عظيم ، وكلاهما لم ينصفه
أهل زمانه ، وكذلك شأن أهل النبوغ في الشرق ، وأظن أن الأستاذ
الكبير « مارون عبود » يتفق معي على أن الأدباء في الشرق مضطهدون

إلى أبعد حدود الاضطهاد ، ولعل اضطهادهم هو الذى يشير نبوغهم
ويؤكد رفعة تفكيرهم . . إن لم يكن هو من أعم الأسباب التى تخلفهم
أدياً وفكرياً .

وهل الشاعر العراقى الكبير المرحوم (معروف الرصافى) ،
إلا واحد من هؤلاء؟ وهل إبداعه فى أشعاره السياسية والاجتماعية
إلا انتفاضة على السكبت والاضطهاد . . وهل قصيدته (هى المواطن)
إلا صورة للعرقية يبعثها الظلم والحرمان أسى ماتكون قوة وإبداعاً ،
إنه يقول فيها :

عاهدت نفسى والأيام شاهدة
ألا أقر على جور السلاطين
ولا أصادق كذاباً ولو ملكاً
ولا أخالط إنخوائى الشياطين
أما الحياة فشئ لاقرار له
يحيا بها المرء موقوتاً إلى حين
سَيَّانٌ عندى أجاء الموتُ مخترماً
من قبل عشرين أم من بعد عشرين

° ° °

لقد قرأت (الفصول والغايات) مرات عديدة ، وأخذت من

وقتي الشيء الكثير ، ومن درسى الشيء الأكثر . . إلا أن الدكتور
« طه حسين » استطاع أن يقدم لقراء العربية أجل خدمة حين قُرْب
النتاج العظيم للفيلسوف العظيم إلى الأذهان . . بعد أن أنصف زميله
بما كتب عنه .

لقد عجب كثيرون من اهتمامي الكبير بشيخ المعرّة وأن لهم العذر
فيما يهجبون ، وفيما يعلقون وينقدون سواء فيما سطره على صفحات
المجلات والجرائد أو فيما أرسله إلى ضمن رسائلهم الخاصة ،
وهم لا يعلمون أنهم يساعدون الزمن على ظلم المعجزة العربية الإنسانية
الكبرى ، وما آسف إلا لأناس يظلمون ، وهم لا يشعرون أنهم يظلمون .
أما أنا . . فلا يمكن أن تصرفني تهمة الانطواء على النفس والزعيم
بالتشاؤم عن إجلال المعرّي أو عن حبه وتقديسه ، ولا أدري من هذا
الأمر إلا أن أبين بكل وضوح أن الحب والإعجاب لا يقعان تحت
تأثير الناس ولا يمكن أن يكونا ضمن توجيهاتهم .

إن حبي لأبي العلاء وغيره من أرباب الفكر لا يمكن أن يوقّفه
زعم الناقدين ، أو يقلل من شدته تحامل المتحاملين ، ومهما كانت
الأسباب ، وبلغت الدلائل . . فإن دليلي في قلبي ، وفي عقلي ، وليس
أعظم من دليل الحب والإعجاب عن طريق القلب والعقل .

فيا أستاذى العميد .

لست أملك — لأظهر مدى إعجابى وحبى للمعزى — إلا أن أقيم
بين حنايا ضلوعى تمثالا لا يزول .. تمثال الحق والمعرفة والحكمة
الخالدة ، لا من صخر وحجارة ، ولكن من دم وحمس وشعور .
وفقك الله يا سيّدى وأخذ بيدك ورعاك .





والدنة حمير

الى الشاعر المرفف ، الأستاذ « خليل
الحشالي » رداً على كلمة نشرتها « الزمان
البيروتية » .

حديث القلب في سحر العيون .

والعمق في همس الشجون .

والسر في تيه الجفون . ولكنه ، حديث ! !

حديث يقظة في نهضة .

ورجاء في همسة .

وسمو في خلجة . ولكنه ، حديث ! !

حديث أمل في اشتياق .

وتمن في احتراق .

وتحقيق في أذواق ، ولكنه ، حديث . . ما كان يخطر بالبال أنه
سيعود بي إلى بعض مذكرات الفكر . وما كان يقع في الظن أن السلسلة
التي نشرتها جريدة الاتحاد الدستوري في العراق — بتوقيع الأديب
الحشالي -- ستسبغ على فيضاً هو نبع من تلك المذكرات . وما كنت
أثق أن حديث الأستاذ الحشالي سيلهني لأعيد فقراته في كل مقطع .
حتى لكان سحر الحديث يتصرف بي كقصيدة من فم داود . وما كان
يخيل لي أنني سأكتب حادثاً من طرف التليفون يوماً ما . ذلك
لأنني كنت أتحاشى أحاديث التليفون لما فيها من قصص مشيرة
جعلتني على الأكثر أتملص من المعجبين المدعين الصادقين الكاذبين .
وعلى الأكثر كنت أعتقد في قرارة نفسي أن الحديث عبر الأسلاك

لا يستوجب الاهتمام به إلا بقدر ما فى المتحدث من أهمية وضرورة من شأنها أن يأخذ باللب إذا استطار ، وبالعقل إذا حكم ، وبالأمر إذا اقتضى .

ومع ما فى هذه الخطرات من ذكريات . لا أنكر ما سجلته فى الفكر وحفظته فى القلب كلما هاجنى له خاطر ، وطوانى خاطر فأذاقنى لآعلى حساب الزمن وإن كان الزمن يغير ولا يتغير به . ولاعلى حساب الظروف ومن شيمتها العنف والقوة فى أبهى جمال وكمال ، ولاعلى حساب التاريخ وإن كان تأريخ القروء لا يعترف بالحقيقة ، وإنما من أجل عين ، وعلى حساب حديث ، ضمنه الخشالى الزميل خطرات حرة . حتى لكدأنه حديث قلب فى قلب ، وحكمة من حكمة ، وتجربة هى سفينة الأيام رغم المد والجزر والعواصف تصل بسلام .. يا له من حديث ؟!

حديث لحظة لا يحدها الخاطر .

وسوية لا يحتاطها الساهر .

وليلة لا يكتفى بها السامر . وماذا أصف من حديث هو حديث النفس للنفس مع تدبير واحتياط ، والنفس مع هذا وغير هذا لا تتقيد بتدبير ولا احتياط .

إنها حيرة . حيرة التفكير فى مخلوق بسيط تجاوبت أفكاره لمخلوق أبسط فخطم كل منهما الفارق الذى اصطالح على تعبيره الناس بكل صراحة فى مقدمة هى العمر ، وكتاب هو الدهر .

إذاً في المقدمة نجد لحظات سعيدة لا أول لها ولا آخر... وفي الكتاب نجد عمراً لا يعرف كيف ينتهي ومتى! ومن أجل كتاب هو العمر كان موقفاً دقيقاً بين وضوحه وغموضه العجيب — إن لم يكن منتهى البدهة في العجب — ولهذا كان الكتاب يستحق المطالعة والتأمل ولفت النظر في حديث تجد روعته في رهبته ، وخوفه من سحره ، وعذوبته في قوته... فكيف إذا أصبح حديث الخشالي موضع الجدل والحوار؟

ومع هذا نجد أن الأستاذ الخشالي يبدو رغم كل هذا النقاش والجدل صامتاً يرسل خطراته الحرة تباعاً وينشرها في الصحف دون إهمال ، حتى لكأن هناك نبأً اكتشفته يد السائح مؤخراً في روح تستجلى مع الفكر... روحاً تنبعث من وراء أسلاك ، ولا أسلاك ، وإنما روح تطرب بدموع لتجعل من الشراب دموع طرب في عذاب يسمعها الشاعر بقلبه ، والموسيقار بلبخه ، والفنان بوجدانه .

وفي غمرة تلك الروح وجدتني أستجلى الطرب على أنه عذاب ، وأستذوق العذاب لكونه طرب ، وما بين طرب وعذاب وحقيقة وسراب ، اتصلت بأخي تليفونياً ولم أكد أضع السماعة على أذني إلا وفاجأني صوت كان قد سبقني بالطلب ، وكانت مفاجأة كمفاجأة الحياة في أكثر أمور شاهدها . فإذا بي أحتاط للأمور ، وكأني لا أعرف كيف أحتاط ، وإذا بصوت يظهر على صاحبه أنه مصرى ، وقد حسبته زائراً أو زبوناً في تلك الشركة المقصودة ، ورحت أسأل :

- الشركة الإفريقية ؟
- شركة السؤال والجواب لو سمحت . .
- واشتبهت حين قال بلهجته العراقية :
- كيف الصحة ؟
- صحة الدنيا إذا أقبلت وأدبرت .
- ماذا تفعلين ؟
- يد في المطبخ ، ويد في الإشراف على ترتيب البيت ، والروح لا تنفك مع هذا في مناجاة آثار الطموح في قلب شاعر .
- والآن ؟
- لقد انتهيت منذ أكثر من عشر دقائق .
- أكنت تقرئين أم تسمعين ؟
- أقرأ بقلبي لأسمع من قلبي .
- أقرأت حديث الخشالي ؟
- قرأته وانتهيت ، ولا زلت أقرأ ولا أعرف متى أنتهى .
- أعجبك حديثه ؟؟
- بالطبع .
- وقصيده ؟؟
- وجدته فيها عارياً إلا من نتاج الفكر .
- أما من مؤاخذه ؟

— بلى .

— كيف ؟

— عدم ظهور صورته بين السطور لأرى هدوءه فى مقطع ،
وحرركاته فى بيت القصيد .

— أنت مذهشة حقاً ، وحقاً أن اعترافك لرهيب ، ومصيب .

— لا تصدر حكمك عنى بهذه السرعة .

— لقد حكمت وقررت منذ أن حكمتنا الطبيعة وألزمتنا بكل حق .

— ولستكنى لا أعرفك شخصياً ، وحتى لو عرفتك لا أستطيع أن
أحكم عنك دون تجربة .

— أنا أستاذ فى كلية .. كذا .. تخرجت بشهادة الدكتوراه فى سنة

كذا .. مارست المهنة منذ أربع سنوات ، كذا .

— هذا لا يكفى .

— عجب ! ؟

— العجب كل العجب إذا لم تعلمك الأيام دروساً ! !

— أنقصدين هارباً ؟

— غيور من حديثك .

— حددى الخيرة .

— ستحدددها شركة السؤال والجواب ، وأمامنا طريق ، ومن هم

على قارعة الطريق .

- أأجد في صدرك الرحابة ؟
- رحابة الزمن بلا تأويل وتعليل .
- ما رأيك في أدب الخشالي وفي شخصه .
- لا تعرف أدبه إلا إذا أدبتك الأيام ، ولا تعرف شخصه إلا إذا جربت نفسك في أنبل المواقف وأرهبا خطراً ووعداً .
- هذا تحدٍ لتفكيرك فيه ظاهرة فردية ، والفرد لا يقاس على أنه المجموع .
- الظاهرة الفردية ، نظرية ثابتة ، عليها يبنى حجم ومساحة ومحيط الظاهرة الاجتماعية والأخلاقية والروحية . . . ثمنها ما يصلح كتقاعدة وأساس ، ومنها ما لا يصلح حتى لمنجل الحصاد .
- بعد الحصاد يا محدثي ، إنه أديب ممتاز .
- والجواهرى ؟
- دع الجواهرى ، فللجواهرى حديث لا ينتهى حتى بدمعة وابتنسامة .
- أتذكرين شعر الجواهرى ؟
- أتذكر الحق ؟ أتجدد الشمس ؟ ألا تؤمن بعمق البحر ؟
- طبعاً لا .
- وكيف تريدني أن أنكر شعر الجواهرى ؟
- برهني ؟
- استمع إلى ما قاله الجواهرى :

وَرَبِّ وَسَامٍ فَوْقَ صَدْرِ لَوْ أَنَّهُ
عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ بِكُوكَبٍ
وَضَحَّى أَكْثَرَ .

— سل الأعمى إذا علمه .

والأعمى إذا أبصره .

والذليل إذا أنصفه .

والضعيف إذا تكلم بلسانه .

والذكي إذا قاسمه .

— هذا خداع الشعراء يا عزيزتي ، خداع أديب لنفسه حيناً .
وللناس أحياناً .

— أنت تكلمني بلسان حالك .. أستاذن منك لأقول لك :
(مع السلامة) .

ولم أكد أغلق التليفون إلا وأعاد فتحه يعتذر ، وعدت بدوري
أبرهن رحابة الصدر .. وخرج صاحبنا بغتة يتكلم عن النقد
والناقدين يقول :

— لماذا أكثر النقاد لا يعالجون الموضوع الجوهري بدقة ؟
خاصة الخشالي ، والجواهري ؟

— أتسألني عن واحد أم عن اثنين ؟ أتسألني عن أدب أم عن نقد ؟

— أجيبني عن الخشالي بهذا الصدد ، واتركي الجواهرى نزولا عند رغبتك .

— أراك تحشد نفسك على الأدب والفن . . كيف استحصلت شهادتك إذن ؟

— بالدرس والسعي ، والنتيجة ، أصبحت أستاذاً .

— أزدت جهالة أم علما ؟

— كلاهما جائر .

— تعوزك التجارب لتفوز بنظري درساً وسجياً ونتيجة .

— هذا صحيح .

— إذن لا تورط نفسك على حساب الجواهرى بالنسبة لشاعريته والخشالي بالنسبة إلى أدبه .

— لست شاعراً ولا أديباً .

— يجب أن تشعر على الأقل لتعلم .

— أبا الحرمان أشعر ؟

— الحرمان دائماً يخلق ، إذا كانت هناك روح سامية .

— وكيف ؟

— سل (الشيخ المتصافي) الذي أعجب بفتاة تحدث الركبان عنها ،

والفتاة لا تعيره أى اهتمام ، وهو يطعن بها على حساب غاية في نفس

ذئب لو ملك حقيقة الذئب . وبذلك أضاف التقليد إلى التذبذب .

وبذلك لوع من غرام الشيوخ بروح طالها الصدا ، فرئت الفتاة تقول :
إنه مسكين ، لا يستحق حتى العطف . أتركوه على قارعة الطريق .

— ماذا تقصدين بهذه المقدمة ؟

— سل الخشالي حيث يقول : « إنهم أدباء ولا أشباه أدباء ،
نفوسهم حقيرة ، وأدبهم أتفه من حقارتهم . . الخ .

— وما دخل الخشالي في الموضوع ؟

— عشوري على الذهب بعد أن أزحت التراب .

— أغاز على طول الخط ؟

— لا يكن شأنك شأن طفل يذكر وينكر ، احذر ، فزالق الأمور
كثيرة تترصده من حيث لا تدري ، أنت التجربة وأنت الرهان .
— وأخيراً .

— لو فهمت الليل والنهار لعشقتكما معاً .

— أتريديني أن أكون عاشق الليل والنهار على حساب الخشالي
والجواهري ؟

— العبرة تنبذ المتطفلين الحاسدين المالمئين نفوسهم عناء ، وفي عقولهم
غباء ، وفي أفكارهم رياء .

— لقد جرحت عواطفني .

— أتعد نفسك واحداً منهم . إذن أنت الجارح والمجروح بالحق .

— لقد ظفرت بشمرة انتصارك .

- قلت — لا انتصار على من هو أضعف منك وبين يديك .
- قال — بهذا ملكت قلوب الناس .
- أرجو أن لا تكون خادع ومخدوعاً .
- لهذا أود أن أسألك من المقصودة في حديث الخشالي ؟
- فتش عن علم لتضيفه إلى علمك .
- أضفت هذا العلم حين عرفت وتأكّدت أنها أنت .
- وماذا يهمك من أمرى إذا كنت أنا ، أم كانت هناك صورة رائعة أراد أن يخلقها الخشالي في الخيال والدهن لتسكن مثال المرأة الطموحة ؟
- يهمنى أن أتأكد منك .
- يجب أن تتأكد من نفسك والخشالي قبلى .
- قالوا إنه يقصدك .
- لا تطبق قاعدة أرخميدس على البر . إنها مجرد أقوال .
- وما دخل هذه القاعدة في الموضوع ؟
- إذا غمر حب ما في تراب ما ، فإن ذاك القلب يفقد من وعيه كل الحيوية .
- ما رأى الخشالي في هذه القاعدة ؟
- أعتقد أنه لا يطبقها على نفسه إلا في عرض البحر ، ولكنتنى مع هذا لم أسأله .

— ساليه .

— على حساب من أوجه له سؤالاً كهذا ؟

— ما دمت متهمة !!

— إذن انتظر من الأيام لتبرهن لك ذلك .. أدق صورة عبر عنها
الخشالي تعبيراً يستوجب الحس واللمس .

— أتروق لك هذه الصورة ؟

— ما دمت حواء ، يتفقدني آدم في ضلعه ، فأهز مهداً لأهز الحق .
وتشابكت الخطوط على الفور ، واشترك في النداء صوت داوى
أرهمف القلب بـ « صباح الخير » .

— صباحك يا زميلي .. خليك أن أفكر فيه وأقف عنده
فأطيل الوقوف .

— أين معجب وساخط شغلت التليفون طيلة هذه المدة ؟

— لا معجب غير نفسي ، ولا ساخط إلا شخص فضولى ، ولست
أتكلم إلا عنك ، وعنك أسأل ... وليت من أمثالك بالملايين ،
لو تشفى الملايين !!



خاتَم

الى أستاذى الكبير « مارون عبود »
رداً على لطفه .

هذه قصة بدايتها مستوحاة من مريضة في الجناح العاشر من مستشفى
الأمير عبد الإله أصاب السل إحدى رئتيها فكانت عيناها تنطق بالحب ..
ولعل الحب سبب هذا الداء .. وكم هدد الحب عروشا .. وحرقت قلوباً ..
جعلني أفكر فيه كثيراً ، وأهرب منه كثيراً ، لأشتاق له حتى ولو كان
نصيبى منه أكثر من هذا الداء .

أما نهايتها فقد حدثت لى بالفعل أثناء سفرتى خارج العراق . . مع
العلم أن بين السعادة والشقاء صلة خفية لا ندركها إلا بغتة . . وأن فى
النفس ميولاً فتاكة لا تحيها إلا اللوعة ولا يهدأ إلا الصبر . ذلك لأن
الحياة فى أتعفها ما تكون إذا لم تتخللها سلسلة من المفاجئات والمغامرات
وهذا ما نال إعجاب الشاعر الأستاذ « محمود غنيم » حين قلت له « عرض
نفسك للمغامرات فستلمس اللذة . . وأوقف حقيقتك للمفاجئة فستشعر
بالحياة . . وثق أن أحسن الناس من يفرع لكل شيء ليفوز بكل شيء
على حساب شيء غير محدود فى الأعماق » .

قهقه الشاعر وهو يطيل التفكير فيما أقول . . وراحت سطوره
تصرخ فى قصيدة انطلق إليها بكل جوانحه ولكن فى حقيقة بعثها خاطر .
إلى بصيرة أفاقها سامر .

إلى آهة أبدعها ساهر .

إلى نغمة هجسها عابر .

وهكذا كان « سليم » ، إذا دخل المنزل الذى يجاوره شعر أن البهجة تغمر نفسه ، والانشراح يملأ صدره إذ يرى فيه ما تروح إليه العين من أرائك وطفانس ورياش وأوان وثريات آية فى الجمال وطرفة فى الفن . وكان صاحبنا يكتفى من هذا كله بالنظر واللمس اللذين يرضيانه على كل حال . . . وعلى كل حال لم يخطر بباله يوماً أن يتساءل : لماذا لا يحوى منزل والديه دولاباً له مرآة صافية بدلاً من ذلك الصندوق النخر الذى يضم ملابساً هى طعام الفيران ؟ أو لماذا لا تحتوى غرفة والديه على سجادة فيها من الألوان ما يبهى العيون ويسحر الأبواب بدلاً من ذلك الحصير القديم البالى ؟ أو لماذا لا تزين جدران غرفتهم صورة للملكة جمال . . . أو منظر طبيعي ؟؟ ولم يكن هذا الصمت وهذا الانصراف من جانب « سليم » ، عن قصد أو عن حكمة وإنما هما ناتجان عن صغر سنه فهو لما يبلغ الحادية عشرة .

كان « سليم » ، تلميذاً ينتظر يوم الجمعة بفارغ الصبر ليذهب إلى البيت الذى يجاوره ويجلس إلى جانب الراديو منتقلاً من محطة إلى أخرى . . . وكانت أمه تسر لهذا الميل أثناء قيامها بغسل الثياب لزبائنها وأثناء غياب والده إلى السوق لحمل بضاعة التجار .

ومضت الأيام على منوالها تجر « سليماً » ، وأمثال سليم ، إلى الحياة جراً مشيراً . . . وفى وسط العام الدراسى لاحظ المدرس ما كان من انزواء « سليم » ، عن أترابه وانكماشه على نفسه وشروذ نظراته من دواعى

التفكير . ولم تكن نفسية هذا الطفل لتطاوله بحكم العادة والتربية التي نشأ عليها أن يمد يده إلى أدوات التلاميذ من كتب ولوازم مدرسية على الرغم من حرمانه لأكثرها . ولكن كان يذرف الدمع الهتون حين يعلم أن والده لم يتمكن من شراء كتاب أو دفتر له لضيق الحال .

وفي مساء يوم من أيام كانون الأول أكد المعلم على تلاميذه — ومن جملتهم سليم — ضرورة استعمال أقلام الخبر النباعة بدلاً من أقلام الرصاص . . وهكذا شعر « سليم » أن غمام السماء قد تلبدت في سحب قلبه بعد أن رأى والدته طريحة الفراش تئن وتتلوى فأسرع إليها بعد أن ألقى بمحفظة كتبه جانباً وراح يشاركها الأنين . . ولما سأها عن مرضها . قالت له :

— ابتعد عني . . إن داء السل قد استفحل في رئتي . . وإن الدكتور محمد حسن سلمان قرر أن ينتشلي مني . . ولكن من أين الحظ ليساعدني على دخول مستشفى ؟

فقاطعها الطفل يقول :

— لماذا لا تكلني جارتى ؟ .

— أخشى أن أضايقها لكثرة طلباتي ولما تمض أيام معدودات على شفاء والدك من الحمى التيفوئيدية إذ كانت هي السبب في مساعدته ودخوله المستشفى الملكي بواسطة الدكتور على الحمamy مدير معهد الأمراض المتوطنة .

— إن كنت لا تذهبين إليهما فساذهب إليهما بنفسى وأؤكد أنها لا ترد

لى طالباً يدعى شعورها بصورة خاصة .. ألا بُسِئت الحياة .. حياة هذا
المساكين .. وسحقاً لهذا الحرمان الذى لا أدرى ما حكمة الوجود فيه ؟
وما هى إلا لحظات حتى رجع « سليم » برسالة من جارتة خصلت
فوقها هذه العبارات الآتية :

بفداد فى ١٦/٦/١٩٥٢

معالى الامانة محمد مصوى سلامه المحترم
تحية خالصة وبعد .

لقد تشرفت بزيارة مستشفىكم العامر منذ أيام .. وكان يسعدنى أن
تجمعنا الظروف فى كل مشروع إنسانى أساسه الأعماق قبل كل شىء .
فهل أجد فى هممتك مساعدة امرأة حاربها الزمن .. وفتك براتها
المرض السارى ؟ .

أملى أن تقوم بالواجب كعهدى بك تجاه المساكين .. المتعذرين فى
هذه الأرض .

وإليك تحياتى مع خالص التقدير والإحترام .

الخالصة

فتاة الإنسانية

(.....)

وهكذا أدخلت المريضة إلى مستشفى الأمير عبد الإله وأزيح من
أماننا حمل كان شبه مطروحاً .. إلا أن « سليم » كان لا يزال كئيلاً فقد
أطلق السبيل لعبراته التى كانت كل ما يملك . وهب منتصباً لتحية والده

فى تلك اللحظة التى صعد فى الوالد عند ما علم من ابنه أن زوجه أصيبت بالسل . . فراح يغيث ويستغيث فلم يجد ما يرفه عنه هذا الخاطر الحزين إلا قبالات حارة يطبعها على وجنتى ابنه وهو يقول : (الله مع الصابرين) أجل إن الله مع الصابرين . أما الذين يفتقرون إلى الصبر فمن يكون معهم يا ترى ؟ لا أدرى . ولكننى أدرى أن « سليمان » غادر داره كعادته فى كل جمعة إلى جاراته لأنه كان ينوى أن يطلب منها قلم الحبر النباع وفعلاً لاحظت الجارة أمارات القلق والاضطراب بادية على وجه الطفل فاستوضحته سبب علته وقلقه . . ولما سألته لئلا يراها . . شراء قلم له . . وراح يفكر فى ذلك القلم الذى كانت تكتب به ، إلا أنه سرعان ما تناسى حين رأى خاتماً براقاً . . ولم يشعر إلا وقد امتدت يده إلى الخاتم وغيبته فى جيبه ، آنذاك اطمأن إلى امتلاك ثمن القلم . . وبعد ساعة غادر البيت إلى الشارع وقد عرض الخاتم على أول سيدة صادفها فدفعته له به مئة قرش . وكان « سليم » يعلم أن المبلغ كاف لشراء القلم فوافق وتمت الصفقة . إلا أن الأقدار شاءت أن لا يكون مع السيدة الثمن فطلبت من الطفل أن يرافقها إلى دارها حيث نقدته الثمن . . وهكذا تحقق حلم « سليم » .

عادت جارة « سليم » إلى الخاتم فلم تجده وتبادر إلى ذهنها أن « سليمان » أخذه . . وأخيراً أخذت تبحث عنه فلم تجده فسألت الخادمة :

— من حضر إلى البيت أثناء مكوثى فى غرفة المكتبة ؟

— لم يحضر أحد سوى سليم . . وأظن إن لم أؤكد أن سليمان سرقه .

— هذا مستحيل . . سليم طفل صغير ونحن نعلم سيرة أمه وأبيه .

— ولكن هذا لا يمنعه من ارتكاب جريمة كهذه .. أنا ذاهبة لاستجوبه .

— إياك أن تجرحيه بكلمة .

— أريد أن أعلم من السارق وإلا ابتليت به يا سيدتى .

— أنت مخطئة .. إن استعمال القوة لا ينجح أحياناً حتى مع الأطفال .. ولعل عائلة « سليم » بحاجة إلى دراهم ، فلنأخذ الموضوع بكل لطف فعسى أن يعيده الطفل بعد أن يلقي عليه درس فى التهذيب .

— مولاتى .. إفرضينى إحدى الكاتبات .. أو أحد الأدباء الذين ترأسلینهم ويراسلونك دوماً بتبادل الأفكار فهلاً سمحت بصراحتى ولو على حساب الأدب ؟ .

— قولى ماتريدین .

— لا أستطيع أن أقول لك أكثر من أنك خيالية فيلسوفة حتى بالواقع . وعليه لن أتبع نصائحك فى موقف لعله يثير شكوكا فى فصاحت بها :

— أنت مجنونة .. عليك بالسكون وتنفيذ ما أقوله لك وإلا طردتك .

— عفواً كان جوابى لك بعد استئذان .

— إياك ومعاقبة من يقع بين يديك .. إما تكونى هكذا .. وإلا أبعدتك عن دارى .

ونعود لسليم .

أشرق وجه « سليم » بعد مجيئه من مستشفى الأمير عبد الإله ولمس التحسن في صحة والدته فسر والده للخبر وقصدا جارتها الفتاة ليعبرها لها عما يجول بالخطر الكسير .. وفي أثناء الحديث دخلت الخادمة تستأذن الدخول . والكلام مع « سليم » على حدة .. حيث قالت :
— منذ أربعة أيام نزعنا سيدي خاتماً براقاً وكنت آنذاك منهمكة في تنظيف الدار ولقد وضعت على الطاولة ساعة حضورك يا « سليم » فهل شاهدته ؟ .

— هل إذا أخبرتك بالحقيقة تعفيني ؟ .
— أقسم إنني لن أمسك بأذى .. أقسم بفلسفة وخيال مولاتي ! .
— لقد أخذته وبعته بمئة قرش لامرأة أعرف بيتها .
— هذه مئة قرش أرجعها إلى المرأة وقل لها إنني عدلت عن البيع .. وأرى من الأفضل أن يتبعك أحد رجال البوليس لئلا تستأثر بالخادم ونلجأ إلى القوة معها .
وهكذا أعيد الخاتم بعد أن نشرت إحدى الصحف خارج العراق الخبر الآتي : « طالب يسرق من أجل العلم خاتماً يقدر بألف دينار ويبيعه بمئة قرش » .
وبعد . أتصدقني أيها القاريء إذا قلت لك إنه خاتمي . وأن الحكومة خصصت لهذا الطالب نفقات الدراسة طيلة مسكوته في المدرسة على حساب الخاتم المزيف ؟ .



مَوْتٌ وَحَيَاةٌ

رداً على قصيدة أذيت من مجلة بيروت
للشاعر المبدع الأستاذ بشاري الخوري
المقلب به « الأخطى الصغير » .

كانت ساعة متأخرة من الليل ، وكنت آتية إلى مضجعي عندما وجدت
أمامي مجلة مصرية أهداها لي أحد الكتّاب المصريين منوهاً لي فيها عن
خبر صغير يقول إن « أحمد سالم » مات ، وكان أول ما خيل إليّ من هذه
المباعدة هو أن الكتّاب تعتمد في إرسال هذه الصحيفة لي لكي في تلك
الساعة المتأخرة من الليل ، وفي تلك الساعة . كل ما استطعت أن أقوله هو :

إن أسلوب التابعي رائع كالخمر . . ولكنه غدار . . أجل يا أستاذ
لم يكن موت « أسمهان » ولم يكن موت « أحمد سالم » وإنما أبكتني
روعة الفن الذي مزقتهما في الأرض ، ثم نسجتهمما السماء من جديد ،
ولست روعة الفن وحده فحسب ، ولكن غموضه وعنفه أيضاً .

سأحك الله يا أستاذ . . إنها كانت حيرة هي آخر ما اتصل إليه لي إلى
الحيرى ، ومضيت في حيرتي كما مضيت في آرائك وهديتك ، فلا أكاد
أنتهى من شيء إلا والفيتني أفق على شيء . . ولا أكاد أهضم شيئاً إلا
ويسكاد سواد هذا الليل يفيقني في شيء أقرب إلى الحلم . . حلم هو أقرب
إلى الحقيقة منه إلى الخيال ، ولم أكن أدري قبل أن تكشف لي الطبيعة
عن نفسها أنه لا أقرب إلى الخيال من الحقيقة ، ولا أقرب من الحقيقة
إلى الخيال .

أجل . . كما قلت . . لم يكن موت « أسمهان » ولم يكن موت
« أحمد سالم » . . وإنما أبكتني الفن ، ولم يثرني أن تستبد الوحشة بي . وهذه

الدنيا كلها من فقد رنين أوتار تلك الحنجرة من « أسمهان » ومن فقد رعشات التقاطيع الناطقة في ذلك الوجه في « أحمد سالم » بقدر ما أثارني الشك في أمر تفاهة هذه الدنيا الموحشة نفسها .

هذا شك . . لا بد وأن تسرب إلى نفسك يا قارىء في يوم من الأيام ، ولأمر من الأمور ، فسيطر عليها واستبد بها . . ولا بد وأنه أساءك ، وأرضاك في وقت واحد ، بقدر ما أساءني وأرضاني . بل لا بد أنه أرضاك أضعاف ما أساءك بقدر ما نضاعف هذا الرضى منه عندي . . أما لماذا استبدت بي هذه الشكوك وإلى هذا الحد ، وتطبعبت بهذا الطابع العنيف فلا أعتقد إلا أنه متأت من طبيعة هذا الكون الساخر نفسه .

هل لك أيها الشاعر أن تتطلع معي بهدوء ، ولو لحظة ، إلى قراءة تلك السطور التي تنعى « أحمد » بعد « أسمهان » ؟ هذه السطور التي كلما ناء البعد بيني وبينها قرأتها بوضوح أكثر . . حتى إذا ما قرأتها ثم أعدت قراءتها وجدتني أشكو اختلاطها أمام عيني كمن جهل ما استهواه . . أو ما أطار لبه . . وهكذا وجدتني قبل أن يكشف لي القدر عن نفسه ، وكلما مضيت في قراءة تلك الشكوك ، ازددت جهلاً بحقيقة كونها ؟ أكانت سطوراً حقاً أم شكوكاً . . أم حقائق ؟

وبين همستي تلك ، فاجأني صوت من الفضاء المتلاطم ، فيه رعشة نابضة بكل عناصر الحياة . . رعشة خلعت أنها تفيق ما نام في

الكائنات ، وتنمى ما تيقظ منها . . بل خلت أن الكائنات فى عراك مستمر بين غفوتها ويقظتها .

أفتت على رعشة هذا الصوت . وكأنها تفتح بقوة وعنف أذنى لتصب فيهما هذا الصدى :

أيها المسكينة . . يا مخلوقى الضعيفة فى غفوة الكائنات لافى يقظتها . . تتجلى روعة مآسى العبقريات فى غفوة الكائنات لافى يقظتها تقرر الطبيعة الفياضة نوع القماش الذى ستلف به عبقرية العبقرى ثم تنسجه يدها الجبارة لترينا البداة فى العجب ، وتشعرنا بأمر العجب فى البداة على حساب الأمر الواقع بين الأرض والسماء ، وبهذا البعد الواصل بينهما على حساب « الأرواح المتمردة » حتى إذا أفنت نسجه أو كادت ، وحتى إذا نشرته أمام عينيها مزهوة به وب نفسها ، وحتى إذا صممت أن تلف به هذه العبقرية التى بلغ من عظمتها وقوتها أن تكون موضع تفكير الآلهة ، ومحل قلقها وعنايتها ، حتى إذا وصلت الطبيعة إلى هذا الحد من القلق ومن هذه العناية هيأت لهذه العبقريات نفسها أن تشق طريقها إلى القمة من روعتها ومن استكناه ما وراء الحجب المسدلة على كل عبقرية لم تستكمل هذه الروعة بعد ، بل وهيأتها لا أكثر مما هيأتنا لأن تمضى سادرة بكل ما فى السماء من جبروت واعتزاز وإرادة وتنفيذ أيضاً أن تمضى بكل ما فيها من عناصر الخلود لاستنزاف آخر قطرة ممكنة فى عصير الفناء . عصير الحياة الدارجة ، عصير هذه الأربع والعشرين

ساعة ، ذلك لأن هذه العبقريات الوضاعة نفسها قد رأت هذا القماش المعد لتكفينها وهو لا يزال مجرد فكرة تدور في مخيلة القدر ، ومرت بيدها عليه وهي أكوار من الخيوط المتلاعبة ، وابتسمت له وهو شرائح منظمة على الأنوال ، ثم تهيأت له عارية مجردة عن كل ما فرض عليها هذا الوجود الفاني المضمحل من أردية وأثواب لينزل عليها من السموات العليا ، وهي في أسمى درجات الترفع والتجرد ، والتمرد أيضاً .

إذن ! فالقماش من صنع يد الآلهة في السماء ، وما أعد لأجله مجرد فكرة سامية مقدسة أدارت في مخيلة هذه الآلهة ، ومن أعد لأجله هو المثال الذي أعدته الآلهة على الأرض بكل أفكارها السامية المقدسة هذه والنموذج الذي ينسج عليه منوالها . . فما أجدر ، ومن أجدر منها بهذه الجدارة ليتنزل عليها شراك الآلهة وهي في أعلى القمم دنوآ من السحاب ، وفي أنقى درجات النقي وأشدّها فورانآ ؟؟ .

لكل فكرة بداية ونهاية .

ولكل عبقرية بداية ونهاية من النسيج تقرره الآلهة بفكرتها لتلفها به عندما تريد نقلها من تحت إلى فوق . . من دنيا تضيق بها إلى أخرى تتسع لها . . ثم تنسجها لها بيد تنشره عليها ثانية . . لا فرق بين ما نسجته لـ (أخيل) ولا (سقراط) ولا (عطيل) ولا (نابليون) ولا (كليوباترا) ولا (المجنون) ولا (روميو) ولا (بيتهوفن)

ولا (المعرى) ولا (مى) ولا (بوداير) ولا (أسمهان) ولا (أحمد سالم) لا فرق أبداً إلا فى اللون والصبغة . . حتى الزمان . . حتى المكان ، حتى الوجوه ، فإنها كلها واحدة ، لأن الآلهة أعظم قوة ، وأكبر سعة من أن تعترف بهذه الفوارق . . يا مخلوقى الضعيفة . . يا آية لن تسيطر نهاية نسجها بعد . . يا من لا تعرفين قبل الآن أن الفنان لم يكن أحب مخلوقات الطبيعة إليها لا لأنه يعرف نفس اليوم الذى دار فى مخيلتها خلقة ، ونفس الساعة التى تمخضت به ، ونفس السكيلومتر الأخير الذى حددته لجواته اللطيفة فى هذه المساحة الصغيرة القصيرة - الدنيا - بنفس القماش الذى نسجته له لتغطى به عرائه فيها ، بل ولونه أيضاً .

إنك يا مخلوقى اللطيفة الضعيفة ، العنيفة الشاكية ، الشاكة الشاردة ، أرجو أن لا يفوتك هذا ولا غير هذا بعد أن تكونى قد عرفت هذا كله وجربت هذا كله ، أوكد ستعرفين ، ستعرفين كيف تمحصين الخيال من الحقيقة ، والشك من اليقين ، والخوف من الاطمئنان ، وحتى العجب من البدهة .

إنك يا طفلى قد عرفت الآن لماذا تدهورت (أسمهان) هكذا - تحبى أنت أن تقولى - وهى فى أوج القمة وذروة الجبل إلى تلك الهاوية المحفورة منذ زمن فى ذلك « المكان » كما تسمونه أنتم أهل الأرض . إنك عرفت الآن أن ذلك كان لوئاً من ألوان الأقمشة التى أعدتها الآلهة لمخلوقها المقربين لا أكثر ولا أقل ، لقد عرفت الآن لماذا

أحبت الآلهة أن تتفرج على حنجرة من حناجرها العلوية المنزلة إلى الأرض وهي تودع جولاتها القصيرة في هذه الرقعة المحدودة بتلك الصيحة : صيحة الرعب من حقارة هذه الرقعة وصغار كيائها ، وفي ضيقها بسعة نفسها ، وروحها في هذه الصيحة التي تسمى عندكم غلظاً بصيحة الرعب من الموت .

الآن عرفت ولا شك لماذا هيأت لونا آخر من هذا القماش . لونا آخر فحسب لأقل ولا أكثر ، . لماذا هيأت لونا آخر من هذا القماش لألف به عبقرية أخرى عزيزة على وهي في الذروة أيضاً من تفجير ينابيعها .. لم تكن هذه المرة حنجرة من حناجرها السماوية ، ولسكنها كانت وجهاً وعيناً ومن ورائها قلب .

هذا اللون كان خفياً على العيون السكلية فلم يكن لدى القليل من مخلوقاتي الجميلة إلا فراشاً من المرض تجلي بحجة الزائدة الدودية وهو لا يساوى بأناقته ونعومته وعظمته أيضاً تلك الفوهة الجميلة من تلك الهوة العميقة التي ابتلعت (أسمهان) . ولكن ، ذلك القليل من « البشر الجميل » كان يرى بعين أخرى في نفسه لم توهب لغيره ؟؟ إن القماش هذه المرة إنما كان من لون آخر فقط .. أما الهوة ، وأما الشرك ، وأما القدر فكان نفس الهوة ، ونفس الشرك ، ونفس القدر ، لقد كان - باستدراك - هوة تبتلع « أحمد سالم » مخلوق الجميل بكل ما فيها من تفتح واتساع وقدرة ، ولسكنها .. كانت في نفسه ومن روحه .

أظنك يا طفلاتي تحتاجين إلى إيضاح ثقیل بطبیعته على الآلهة .. أظنك تحتاجين إلى أن أقول لك أنها كانت « هوة الانتظار » . هوة توقع الهوة ، هوة الإحساس المتناهی فی عمقه بقرب اللانهاية .. هوة إیمان الفنان بفنه عندما أعد له فی « کتابی » أن یجد على وجه هذا النجم الصغیر أرض البشر ، جزأه المفقود ، والذي أتعهد أبداً أن أترك للخواقی لذة البحث عنهم ، ولذة العذاب فیهم ، عندما یجدونها فی لذة الانتظار الطویل لقرب نهايتهم المحسوسة فی لذة الإحساس العمیق بغمرة الشعور المتناهی بقرب النهاية .. فهل فهمت الآن ؟؟ هل فهمت لماذا كانت نهاية تلك « الحنجرة » على تلك الصورة !؟ ولماذا كانت نهاية ذلك الوجه على صورة أخرى ؟؟ فی اللون ؟ فی اللون لا غیر .. !

هل فهمت الآن لماذا صیبت أنا « الطبیعة » غیر العمیاء — كما تعتقدون أنتم أهل الأرض — هذین الکأسین البلیلین لشرابی المقدس على هذه « الحنجرة » الإلهية ، وهذه الملامح والتقاطیع ثم حطمتها على هذا المنوال ؟

ولماذا أعدت صبهما من جدید عندی فی السماء ؟ وبشكل جدید یلیق بعظمتی ومهارتی ؟

لقد صیبتهما من جدید فی قلب واحد فهما الآن كأساً واحدة أقرع بها شفتی کلما اشتقت إلى تذوق حلالة صنعی .

هل فهمت لماذا كانت الكائنات فی عراک مستمر بین غفوتها

ويَقْظُهَا ؟ هل فهمت الآن حقيقة ومغزى هذه الأسطورة الجديدة من
أساطيرى وهى « أسمهان » و « أحمد سالم » ؟ هل فهمت روعة بكاؤك
فى روعة فنك ؟ ؟

إذا كان ولا بد فاقرئى هذه الأبيات من قصيدة للأستاذ الشاعر محمود
الحوت أثناء وجوده فى بغداد :

ونسيت آلام الحياة وبؤسها	ومتاعب الأحران والأتراح
الليل يارهن الضلوع أقمته	ونشدت فيه مطارح الأفراح
ولأنت أعجب خافق متضاحك	مزج الدموع بخمرة الأقداح
إلى أن يقول فيها :	

ومن الليالى البكر بعض سوافر	غمر على كدر الزمان سلاح
أنا لست من ألم الحياة بشارد	كلا ، ومن قدر على مناسح
فعلام أمتن الملهة ضارباً	مثلاً جرى لتزمت الأرواح ؟
سمراء قد سرق الضمحي وجنتها	وجشاً ، فلم يؤذن له برواح
وهنا تتقاذفه أمواج بحر الحياة المتسلاطمة عن يمينه وأمواج بحر	
القوافى عن شماله فيقول :	

وأسير لا أطأ الأديم وناظرى	متعلق بخيالها الممراح
حتى امتناع الطيف وهو تخيل	شقيت به حريتى وسراحي

مهمما امتلستك من الملاح فإنني
 طغيت الغيوم فما رأيت مليحة
 إن كنت في دنيا الملاح فريدة
 فلقد غدوت وأنت وحي قصيدي
 إن لم أرد فلا تجعلك نغمة
 ويثما ناي الحسداة تأوها
 ولا بعثك يا مليحة نسمة
 فلدي الطبيعة أنت سر شبابها
 وعلى مغيب الشمس أنت أشعة
 سمرام « دجلة » زئبق بالراح
 إلا بدت شبحاً من الأشباح
 كالوردة المعطسار بين أقاحي
 في الفن أنطق طائر صمداح
 تلهو بها شبابة الفساح
 يطوى الفلاة على متون رياح
 في النهر تصحب زورق الملاح
 وجمالها المتجدد الوضاح
 في واهني ما أذنت بسبراح





رسائل قلبی

اذا أردت أن تعيش . . فبقايتك .
واذا أردت أن تسمعوا . . فبفعلك
واذا أردت أن تملك قلوب الناس
فعلبك أن تحب نفسك قبل كل شيء .

لم أتردد ولم أطل التردد في شيء ، وإنما إذا أردت شيئاً فلن يعوقني شيء ، ولم يخفني شيء لأنني لا أعبأ بشيء ؛ ولا يتعاصى عليّ أي شيء ، ما دامت لي نظرة في الحياة ورأى في هذه الدنيا التي تسير بلا وقوف أو تردد ، فتلهيك لتفريتك ، وتسعدك لتشقيك ، وتمنحك لتأخذ منك ما يحلو لها من طيب الحصاد .

وفي غمرة هذه الفكرة وما فيها من دغدغة النسيم حمل إلى البريد كتاباً ضمن صورة يقول كاتبها العراقي :

[إنها نفثات .. شامت الأقدار أن تكون كتاباً يقرأ .. ومن عجب أن يقرأ اللبيب على أنه كتاب فحسب فأقدم بكل احترام اللهب المكتوب هدية أخاء عميق وود مقيم إلى الأديبة العزيزة « مليحة السحيق » مع أوفر آيات الإعزاز] .

المخلص

١٩٥٢/٦/٩

مبايل الخصال

أمعنت النظر في الصورة فوجدت شاباً يظهر على سيماؤه معنى دقيق وفي نظراته مغزى عميق تخيل الناظر إليها لأول وهلة أنها تتحدث بألف شيء وشيء لتخرج بشيء مختصر مفيد يحاول الإنطلاق مع النفس بشيء من التقارب والتباعد ، ومن الائتلاف والافتراق ، هكذا قرأت الصورة

وكأنى ألهمت الكتاب في مقدمة هي الصورة ، وقرأت الكتاب ، ولا فرق بين قراءة الصورة والكتاب إلا في التعليق . إذ أن الصورة تترجم لك حقيقة المؤلف في رسائله ، وحقيقة المؤلف لا بد وأن توخجها لك فلسفة مسطوره ، ولم أر بداً من أن أضيف الصورة إلى « ألبوم » صور الأدباء الخاص وأن ألق عليها تحيى وإعجى ببتلك النظرة التي تقول لك :

إذا أردت أن تعيش . . . فبقلبك .

وإذا أردت أن تسمو . . . فبفعلك .

وإذا أردت أن تملك قلوب الناس فعليك أن تحب نفسك قبل كل شيء .

وتلك نظرة تعطى أصدق صورة للمؤلف كما وعشت معه ، وجربته أخواً إذا افتقدت أخواً ، وعشيراً إذا احتجت إلى كاتم أسرار ، وصديقاً إذا افتقرت إلى صديق له قلب الطفل ، وكلما تعمقت بتلك النظرة وجدت صاحبها يرسل خياله القوى بشكل ديمقراطي يحاول قدر الإمكان أن يرسل نفسه على سجيته أحياناً ، وأحياناً أراد يتجاوز هذه السجية كمن يغالب موجاً ويقاوم عاصفة ، أو أن سجيته بهذا التجاوز الطيبي يغالبها الموج وتقاومها العاصفة حيث يقول في رسائله : « إنها رسائل تبحث في الحب وفلسفته » .

ولو لم تبحث في الحب وفلسفته لما قرأتها وكأنى ظفرت بقراءة

قلب ، وقرأت القلب وكأني قرأت خلجاته في الحب ووعيته في فلسفة
الهوى ، ولا أكتف لك إعجابي بما قرأت وأمعنت ووقفت وتأملت
وأطلت القراءة والإمعان تارة وتارة التأمل والوقوف في كتاب
أعجبني وألهاني في أديب لم تصرفه أمور الحياة العامة ولا شدة الحياة
الخاصة عما يحول في تلك الخلجات من نبضات فنية تخرج منه إليك
وتعود إليه منك كما لو خرجت منك لتعود إليه مستمتعة عبثاً
بعطرها .

أجل إن الكاتب في رسائل قلبه أراد أن يحترق فاحترق ، أو أن
نار الحب شامت أن تحرقه فكان له منها النصيب الأوفر ، وشيء واحد
ضاعف الاحتراق عند الكاتب هو أنه قرأ الرافي فثأثر فيه أشد التأثر
فسار على دربه في خطوات جمعها كما يقول : «من غير تهذيب ولا ترتيب»
ليثبت للقارئ نزوة الشباب في عنفوانه ولواعج القلب في يقظته .
إلا أن هناك تبايناً في نار ألهمت شخصيتين إحداهما الرافي في أوراق
ورده وسحابه الآخر ورسائل أحزانه . وثانیهما الخشالي في رسائل
قلبه وما سبيلهما بعونه .

ولو أمعنا النظر في تلك النفثات لوجدنا أن النار التي ألهمت الرافي
تختلف عن النار التي ألهمت الخشالي من حيث المصدر والقوة والمقاومة
وتلك نار تأججت في قلب الرافي في أواخر عمره كما لو كانت في عنفوان
شبابه ، وظهرت على الخشالي في عنفوان شبابه فقاومها كما لو كان في أواخر

عمره ، ذلك لأن الخشالي كما يظهر من مسطوره أراد أن يصطلي بنار الرافعي مع « العتاد » ومع ما حمل من عتاد وأسلحة ، أراه لو شم رائحة النار لا حترق قبل أن يصله اللهب أو يصل إليها بطريق العتاد أو غير العتاد لأن الاحتراق تدريجياً يأخذ من الشعور أعماقها ومن الحقيقة أروعها . أما إذا شجعت النار دفعة واحدة فلا بد وأن تخدم بنفس الدفعة . وهكذا أضاف الخشالي إلى الشعور تجديداً في الأسلوب .

وتقدماً مع الفكر .

وإبداعاً في القالب .

حيث يقول في صفحة (١٣) من رسائله :

« ملاكى الجميل :

حقيقة إن فى الحب مخاطرة .. وإلا فأى إنسان يسلم قلبه لحكم القدر بعد أن كان القدر يضاحكه والدمر يمازحه .. ؟ فالعجب فى عمله هذا قد عرف أن ألم الحب ألد من صفاء الخلوة ، وعلم أن سهم اللحاظ أجمل وقعاً فى القلب من مداعبة النسائم وفتنة الخليفة » .

إن الكاتب بوصفه هذا أو باحتراقه هذا قد عرف إن لم يكن قد تأكد — من المخاطرة فى الحب — أن الحب بحد ذاته مخاطرة تقدم عليها الطبيعة من حيث لا تشعر النفس ، وتلك مخاطرة لا تتجلى بالصراع القوى العنيف إلا إذا كانت هناك مغامرة وإلا لما قلت .. إلهى ما عرفتكم إلا لحظة أحببت فيها .

وتألمت فيها .

وتعذبت فيها .

وضحييت فيها .

ولهذا يظهر أن الأستاذ الخشالي خاطر في حبه حقاً ، وتعذب حقاً ،
ولكنه لم يضح لأنه لم يخامر ، ولو غامر لكان في سطورهِ أبلغ ، وفي
آرائهِ أعمق وأدق ، ولهذا ألفتُ نظره في قطعة كتبته بعنوان (حبيبي)
فلعله يجد فيها صحة قولي إن لم يجد فيها شيئاً من الترفيه .

وملاحظة أخرى في رسائله قد تكون ذات شأن فتعرض للقارىء
لونا آخر من ألوان البحث في فلسفة الحب حين يذهب الكاتب إلى
المخاطرة التي تفتقر إلى إثبات المخامرة فيفعال لك (أن القناعة في الحب
هى أصل كل سعادة) ، وعلى هذا التأويل والتعليل والتعريف تكون
السعادة حتى في الألم .

وهنا لا أتفق مع الأستاذ الخشالي في تأويله وتعليله لأن القناعة
في الحب تفقد أساساً كل مزاياه التي بها ولاجلها يعيش الحب مثالا
للإخلاص والتضحية . ولو عرف الحب أو السعادة بالقناعة لما قال
« لاندور » على لسان « بارو » : (إن القانعين يجلسون ساكتين في
أماكنهم) ، ولهذا أرى أن جميع القانعين فاشلون ، حتى في مبادئهم
ومعتقداتهم . . . ولو اكتفى الحب بالقناعة . ! ولو كانت هناك قناعة
في الحب والسعادة — على حد تعبير الخشالي — لاكتفى قيس بأقل

أبيات أنشدها في ليلاه .!! ولارتوت « جوليت » بما غامرت
وخاطرت مع « روميو » حتى في اللحظة الأخيرة التي غمدت فيها سهما
بصدرها بيد وبيد رفعت زجاجة السم تقول : « حتى آخر قطرة
لم تتركها لى » .

وهكذا يظهر لنا الخشالي صادقاً في قوله ، ولكنه غير مجرب ، وحتى
لو جرب فلا يجب التردد على التجربة لأنه يخاف المجتمع أكثر مما يخاف
نفسه ، وهنا العبرة .. عبرة !! .

فالتطرق التي يرسمها لنفسه بالنسبة إلى المجتمع واصطلاحاته وإلى
ما يرسمه المجتمع إليه هي التي جعلت القنصاعة تجنى على الخشالي في حياته
العامة ، فكيف به لو كشف لنا شيئاً عن حياته الخاصة ؟ وهذا أمر
موكول إلى الخشالي فقط .

ويتعمق في تلك الفلسفة في صفحة ٣٩ . فيقول :
« إيه أيتها العبقرية .

أتريدن منى أن أكتب في هذا الموضوع الجليل ، الموضوع الذى
منه سر فتنتك ، ومنه معنى سرك ولطفك ؟ إنك عبقرية فى الحب
لأن معانى الفتنة شاذة وعميقة ، وأسرار حسك لم تخلق عادة لغادة
واحدة ، وإنما لمجموعة من الغيد قد تجمعت فيك ، ولهذا أنت عبقرية
فى نظرتك وفى كلامك ، وفى كل شىء ، فهل فهمت ؟ ؟ أنت عبقرية حتى
فى الحب لأن الحسن فيك طبيعة وفى غيرك تطبيع ، ولأن الدلال فيك

سحيفة وفي غيرك تمثيل . والحسن فيك جرى ، ومن مظاهر جراته أنه صريح ، ومن مظاهر صراحته أنه واثق في جبروت ، حربه حرب ، وسله سلم .

وهنا لا أريد أن أجادل الخشالي بلسان بطالته ، ولا أريد أن أناقشه بتلك القواعد التي وصفها على حساب الفلسفة (لا الحب) وإنما أكتفي أن أقول : أكثر الله من أمثاله لأنه من أنصار الحب إن لم يكن من أنصار المرأة .

ومع هذا لا زال في انطلاقه هذا يؤمن بالقواعد الموضوعية والأصول المحدودة كما آمن بالحب والقناعة عن طريق الحب ، ولعل الخشالي معذور هنا نظراً للظرف الذي أحاط به أو أحاطه بهذا الكتاب بالنسبة إلى تلك القناعة المفروضة عليه من عدة جوانب بعضها يهون وبعضها لا يهون ، وهي على طبيعته حين فرضها على مزاجه الخاص وفنه الخاص بالنسبة إلى الظروف والصدف والأيام التي قد تكون من المحتمل قد عاكسته وصورت أثره الفكري الذي أخرجه إلى الناس بتلك المتعة في النفس والجاذبية في الروح على شكل محدود يهيم الانطلاق من أسر لو أمعنا فيه جلياً ، وفي تلك المتعة والجاذبية لكان أول ماتبادر إلى الذهن هو أن الخشالي شاعر مرفف حديدى الطبع ، شديد التأثير والانفعال ، والأهم من هذا أنه سريع التغير من طبع إلى طبع ، فيقدر تأثيره وانفعاله وحدة طبعه أراه هادئاً ساكناً سعيداً بما يفرضه

على نفسه من قناعة يريد أن يخاطر بها ولكنه يحذر منها ، أما لماذا يحذر ولماذا يخاطر فأؤكد أن بيده عود كبريت أشعلها من حيث لا يدري أن أمامه بنزيناً وأوكسجيناً وأثيراً ، ومع توفر هذه المواد الثلاث يحاول الكاتب عن طريق الفلسفة أن يقنعك بعدم خطورة الاشتعال مؤكداً لمن يدري ولمن لا يدري أن فوهة كل من القناني الثلاث معرضة للانفجار بحكم الضغط الداخلي لا بحكم وجود المواد الكيميائية التي تساعد على الاشتعال بصورة أشد من ملح البصر ، ولم يسكد ينتهي من حجته إلا وهبت النار في صفحة (٤١) حيث يقول :

« لقد كتبت تسألين وأجبت على سؤالك برهان ، وإن كانت العبقرية فيك لا تحتاج إلى برهان أو دليل ، إنما هكذا أجبت يا سيدتي .
« كيف الوقوف أمام عبقريتك وجوابي هذا اعتراف بسلطانك وضعني ، وبيان لجلالك وخشوعي ، لأن فيك مثال الفتنة ، وأنا بطبيعتي مثالي الفلسفة » .

أأست ترى أن الخشالي بوصفه هذا ينافي قناعته تلك ؟ أأست ترى أن كمية التفاعل الكيميائي هنا لا تحتاج إلى دليل أو إثبات مادام التفاعل قد أجرى مفعوله ؟ وبما أتيح له من تمتع بهذا القلب حتى أنساه نفسه وشغله عن القناعة المفروضة ، لا بل صرفه بعد هذا وذاك حتى عن التأويل والتعليل فمكثه هذه المفاجأة من أن يطلق نفسه على سجيته

معبراً عنها أبلغ تعبير دون أن يجد رادعاً لهذا التعبير أو عارضاً لتلك القوة بأية مقاومة .

وهنا أشهد أن الخشالي قد انطلق بوصفه ولكن بجرعة من الدواء الشافي لألم ألم به حتى أثقل عليه بشدة خفقان القلب ، وما لهذا الخفقان من روعة تحس ولا تهجس لتستعذب العذاب والألم والسعادة عن طريقهما حتى في الحب ، والويل إذا القلب احترق فأنطق !! .

وهذا ما أغراني لأقرأ رسالته مراراً بعدوبة ذلك القلم الناطق بتلك النفس ، فوجدت أن في الإغراء لذة جددت عندي عهد الرافعي وإن كنت لا أحفل بأن يكون الخشالي هو الرافعي أو أن يكون الرافعي هو الخشالي ما دامت النار التي ألهبت الرافعي قد اصطلت بحرها الخشالي ، وهنا لا تعينني نظرية الرافعي في الحب لتقلصه ، كما لا تعينني نظرية الخشالي لتمدده ما دامت قد تساوت الفكرة وتباين الأسلوب ، ولكن الذي يعينني تلك القوة التي أراد أن يطبقها الخشالي على نفسه على اعتبار أن الرافعي متجدد حتى في قلبه . ولهذا يقول :

« وأما القبلية الأولى فنظرة عميقة من غير كلام . وقلب يصرخ لثوران دم واقتراب روحى من غير إرادة ، واقتراب جسدى من غير شعور لا يفهم إلا بالتقاء الشفاه ، حيث نار الحب ، وكلمة الحب الحقيقية تنقلها الشفة من غير ترجمة ، ولكنه هو الحب ، ولقد رأيت الحب

فضيلة لمن أراد العزة في الحياة . ولهذا وجدت فيك تلك الفضيلة
فوهبتك مشاعري لتكريم بها ونتقرب منها .

نعم يا أستاذ خليل . . كل هذا صحيح شرط أن لا تعترف أن
للحب قناعة ، لا بل شرط أن لا تتقيد بتأويل ما وتعليل ما عن طريق
تلك القناعة بالنسبة إلى الانطلاق الروحي ، وإلا فالذي دفعك لتمرّد
في الآخر حتى على ما تتمتع به من قناعة فرضتها على نفسك كفرض
الصوم والصلاة ؟ .

يا زميلي . . إن الحديث عن الحب وفلسفته لا ينتهي حتى بدمعة
وابتسامة ، وإن إطالة الكلام عن الحب من ألد ما يكون ، وأخشى أن
يغريني الحديث عن الحب وفلسفته حين يقوى ويشتد ، ويسوء ويحزن
ويلد ويؤلم ، فأتقدم لحضرتك أقول : لو فرضنا — جدلاً — أن بطله
الخشالي نفس بطله الرافعي وصادف أن التقى بهما الخشالي عن غير قصد
ولا قناعة . . هل سيكون شعور الخشالي كشعور الرافعي ؟ أخشى أن
ينسى الخشالي نفسه كما سبق ونسيها فيقول : نعم بعين ، وبعين
يصرخ : لا .

ومهما كان من أمر بطله الخشالي فما لي أن أتحدث عنها ولا أقر لها
وجوداً إلا في خيال عذري شاء أن يسرده السكاتب في ألحان الهوى
ومناجاة الغرام ليس في قبلة ولا عناق . . ولا . . وإنما كل ما في الأمر
أراد الأديب أن يصف لنا الرشفة الأولى من غير سلام فأحسن ،

والخمرة الأولى والسكرية الأولى من غير كلام فأجاد بلغة العيون فقط .
أما إذا الصدور تقاربت ، والشفاه تهاومت فتناقلت ، والنحور
تلاطمت فتفاهمت ، فالله الساتر ، والله أعلم بما تكنه الصدور .
وبماذا تراه سيحدثنا في كتابه الجديد ؟ أخشى أن تنبثق قريحة الخشالي
عن طرب ينقله ويخلق به إلى السموات السبع فيترجم لنا ما لم يكن في
الحسبان صورة رائعة إذا هدأت الطبيعة وسكن السكون ، ونام الرقباء
إلا وجود يقظان وسر واع داع .

أتراه بماذا يجب أو بماذا يقول لو تناهت إليه قصة ذلك الشاب
العراقي الذي تزوج امرأة يعبدها وقد عما كسته الظروف من قبل المجتمع
والتقاليد والأديان لمدة عشر سنوات هددت حياتهما بالقتل أثناءها حتى
فرا هاربين إلى سويسرا لت قضاء شهر العسل ، وكان الأفضل لو انتقلا بهذا
الشهر إلى خط الاستواء بعد أن قامت ضجة في سويسرا من جراء
حبيبين دخلا غرفة وأحكما سد بابها عليهما لمدة ثلاثة أشهر خرجا بعدها
بحنين .. ترى ماذا وكيف نما هذا الجنين ليواجه الحياة بثلاثة شهور ؟ ..
أهذه أيضاً أعاجيب ألف ليلة وليلة ؟

والجواب مع هذا وغير هذا موكول إلى الأستاذ الخشالي أيضاً
على اعتبار أن القناعة في الحب هي السعادة . ويطيل الخشالي الحديث عن
قلب المرأة دون أن يدري أن الله ساكن في قلبها وأن عظمة عرش
الخالق لا تتجلى بالوالدة الأم إلا عن طريق تلك الفلسفة التي يصفها

الخشالي بـ (فلسفة الحب) . ومن هنا يظهر أن الكاتب قد هجم عليه الحب دفعة واحدة وفي فصل الصيف فجعله أمياً أكثر من اللزوم ، وهنا العظمة : عظمة شاعر ، يقرأ وكأنه لا يعرف القراءة ، ويكتب وكأنه يجهل حروف الهجاء ، ذلك أن الحب يحجم عليه في تلك الرسائل عن طريق الخيال بالواقع وعن طريق الواقع بالخيال ، والحكم واحد إن لم تكن النتيجة واحدة ، تؤمن بتطور نظرة في الأعماق وانفعال في الروح يتضاعف إعجاباً بالغاً بتلك الفصول حيث تصور لك فلسفة الحب تصويراً لست أدري أقرب من الشاعر أم أن الشاعر قريب منها .. وفي حسن قوى دقيق عميق يبعث في الواقع حياة ونشاطاً كل ما أرجوه مخلصاً أن يكون للخشالي النصيب الأوفر من هذا النشاط ليضاعف تلك الفلسفة بالمقامرة والمخاطرة لا القناعة في الحب ، آملة أن يعلن ابتهاجه بتلك الصورة التي لا تلبث أن تسحر الأبواب وتلقى بالألباب خارج الاعتبار ، وتلك صورة الحب الناطقة بقلم الخشالي بعد أن فلتت منه رغماً عنه فاستطاع أن يعبر عنها في سداجة مطلقة ، ووداعة مطلقة ، وإيمان مطلق حاول فيه أن يضاعف الانتباه ، فلمعله يظفر به أو ينتهي إليه .

أما شعره فأراه ممتعاً يترك في النفس آثاراً تشير إلى أن الكاتب (إذا باح انطلق وإذا كتم احترق) ولكنه لم يحترق أكثر من سبعين في المائة .

ومنى ما يصل الاستراق في الناحية الشعرية عنده الحد الأعلى

فيمكنني آنذاك أن أتحدث عنه في هذا المجال .

أما قصصه ضمن تلك الرسائل فبالرغم من أنها قصيرة فإنى أراها ذات
عبرة عميقة تمتاز ببداية التصوير والابتكار، ولهذا أربأ به أن لا يستمر
في كتابة القصص .

وخلاصة القول أن الأديب الخشالي متأثر بنفسية الرافعي متأثراً
صار على نهجه يحاول الابتكار والتجديد فتوفق وأسجد ، وأسجد فأبدع ..
ولكن بآه . . وآه من آه .



عاطفة

الى شاعرة العراق الأولى
الى « عاشقة الليل »
الآنسة « نازك الملائكة »
مع تحياتي .

يا راوى المجد هل فى المجد ألوان ؟

يا شيخى .. صرفوك عن أطايب الحياة مستشهدين بأبيات لو أمعنوا
فيها لما ظاوا شعلة حبك ولهب هواك ، فهل كان محققاً من قال : إن
المعري عدو المرأة رقم واحد ؟ وهل كان صادقاً من ظلم المعري بتلك
العداوة حياً وميتاً ؟

داني يا راوى المجد على عظمة دون تضحية ، وبرهن لى على عبقرية
دون قلب ، ودعنى مع هذا أرتوى من أعماقك ، وأهتدى بأفكارك ،
وأشرب من منهل ، منهل التجارب رغم العلم والجهل ، ورغم الجهل
والعلم أظال ؟

أطل يا راوى المجد من عليائك بدمعة حائرة تليه بى كما أتية بها ..
ولكن بأهة عبرت عنها فى حكمتك ، وأبصرتها بأعماقك لترجم لى
ما صرفك عنه فى أبهى معجزة ، والمعجزة لو عرفوك لما ظلموك ..
لو أنصفوك لما جهلوك .

وبعد هذه أقصوصة لابد وأنها ترفه عنى وعنك الشيء الكثير .
ولابد وأن نلتقى بها معاً ، لنداوى جروح بعض الناس .

وبعد فقد جلست « و داد » إلى جانب النافذة تطل على شارع الأسمر
وهى فى أبهى ثياب العرس ، وكانت بين الفينة والفينة ترفع يدها وتضغط
بها رأسها تارة ، وقلبها تارة أخرى كأنها تحاول انفلات خبايا الصدور

رغم أن محياها كان يتصنع السرور ، في ابتسامة ساخرة .

وبينما هي على تلك الحال فاجأها عريسها « عادل » بعد أن أطل إلى الشارع فشهد شاباً يبادلها إشارات الحسرة والألم ، فارتعش وصاح بزوجه غاضباً :

— من هذا ؟

فأجابته بشيء من الأسف :

— لا أعرفه .

— أتكذبين ؟ أأنت التي تبادلينه الإشارات ؟ إلى بالحقيقة ،

وإلا ...

فقاطعتها وقالت محتجة :

— وإلا ماذا ؟ أتهددني ؟

فأجابها وهو في ثورته العاطفية في سبيل الوقوف على شرفه المهدد :

— سأفعل بك ما أشاء مادمت زوجتي تحملين اسمي ، ثم تقدمين على

خياتي من شرفة بيتي ؟ ويحك .

ضحكت ساخرة وهي لا تخشى إلا نفسها قائلة :

— إنني لم أُنخك ، إنما زواجي منك كان الخيانة له . أفهمت ؟

أوعيت أن الشاب الذي أبصرت به في الشارع هو حبيبي ؟ حبيبي

منذ أكثر من أربع سنوات ، منذ كنت في الرابعة عشرة من عمري ؟

أو ما سمعت ذلك ؟

— سواء سمعت أم لم أسمع . . لماذا لم تزوجيه إذن ؟ ولم قبلت بي زوجاً ؟ يالك من وقحة ! كيف تجرئين على فضح هذه الأسرار وأنا الآن زوجك الشرعى ؟

وترقق السمع من عيني « وداد » وخنقتها العبرة بصوت خافت ، وهي تقول :

— إننى لم أقبل بك زوجاً إلا مرغمة . . نعم مرغمة من قبل أهلى طمعاً فى ثروتك ، إن لم يكن إطاعة للتقاليد ، وليست ثمة حاجة أن تغضبك صراحتى التى تدعوها قحة . . أنا لا زلت طفلة لا أعرف الكذب والخديعة ، وأن الكذب والخديعة لا يعرفان سبيلاً إلى ، إنه حبيبى وقد عانى فى سبيلى آلاماً مبرحة وقد تعاهدنا على الزواج لو لا أن أصرَّ عمه على الرفض ومدَّده بالحرمان من ماله بعد أن اغتصب هذا المال من أبيه ، ولما كان لا يزال فى عهد الدراسة ولا قوة له ولا حول فلم يشأ أن يعاكس عمه وولى أمره من أجل حبي ، ولكم حاولت أن أنتظره كما ينتظر الظامى ورود الماء ، إلا أن أهلى أوقعونى وأوقعوك . . أجل . . لا زال قلبى مع « أنور » فقد ملك على عواطفى ومشاعرى ، ولما يزل .

« صقق » عادل » من هذه المفاجأة الالمية ، وراح يخطو الغرفة ذهاباً وإياباً بأنفاس تحرقها السيكرة تلو السيكرة :

— اسمعيني يا « وداد » : إن والدى قد مانع فى زواجى منك .

ولما عجمت وأصررت وعرف هو بالأمر الواقع ، غضب على وطر دلى
(كما أنا الآن) من داره .

وفى سبيلك خالفت أبى وتركت أهلى أطلب العيش معك . . فهل
أدركت أن ذلك الشاب الذى يتصدى لخيانة زوج هو خليك أن ينبذ نبذ
النواة ؟ وهل لازلت تضميرين له الحب وأنا أفضل منه ؟ أنت طائشة ،
مخدوعة ، وأكبر الظن أنك تريدین مواجهة المستقبل دون سلاح ،
دون تفكير على الأقل ، يالك من طفلة ، لأخالك إلا نادمة يا ووداد . .
فاهت بهذه العبارة وأنا أضع كيساً من الثلج على رأسها أحاول أن
أهبط شيئاً من حرارتها ، أمنعها عن الحديث ، فإذا الحديث يتسرّب من
شعورها ، وإذا بها تبتسم بمرارة وتستعطفنى بالاستمرار :

— لقد حاول « أنور » أن يتزوجنى يا « عادل » .

— ولكن ماذا ؟

— أنا الذى منعتّه ، ومن ثم قبلت الزواج منك .

ولم تسكّد تنهى عبارتها حتى فاجأنا الدكتور المختص بتحيته وابتسامته
التي تنم عن ألف كلام وأسف يقول :

— امنعها عن الكلام . . رجاء .

والتفت إليها يرجوها أن تكف عن كل حديث من شأنه أن
يشيرها ، وإلا عرضت نفسها للخطر .

ولم يكّد ينهى كتابة الوصفة حتى انفراد معى فى جانب الغرفة

يرجوني أن أضع ورقة تساعد اصطلاحات الطب وهي :
« الدخول ممنوع بالمرة » شأن كل مريض خطر ، فكان له ما أراد
ولم يبق في الغرفة إلا أنا وهي ، ألمح في عينيها عبرة ، وفي فمها شوقاً تريد
به أن تبوح إليّ ، وهي تعتذر عن إزعاجي بهذه الصورة التي ينبغي أن
تحدث به للحظ الساخر ، وما دامت تجد في الحديث لذة ، فلعلها تجسد
في اللذة الشفاء ، وهذا كل ما خطر لي حين شرعت تقول :
— إذن إنك خدعتني لأكون لك زوجاً وليكن ذلك الشاب
حبيباً .. أفصحى (بحدة) أليس الأمر كذلك ؟

— نعم ،
قلت نعم وكان سهم القدر أجاد الهدف في أعماقي ، وماذا أملك غير
كلمة نعم ، وإن لم تكن كذلك لأتخلص منه بعد أن تجسمت أمام عيني
صورة « أنور » الحبيب .

فازداد « عادل » غضباً وقال بلهجة فيها الجزع والالتياح :
— يالك من امرأة جانية ، لقد عرفت ما يضطرب في دخيلتك في
ساعة أردت البقاء على حبيب باسم الزوج ، ألا تعساً لك ولزواج هذه
أسسه وتلك نواياه .

ثم صرخ : اذهبي ، اذهبي معه فأنت طالق ثلاثاً .
وهكذا غادرت « وداد » بيت ذلك الزوج الذي حسبت أن
حياتها فيه ستكون أقسى من الجحيم ، ولكنها لم تدرك أنها انتقلت من
جحيم إلى جحيم .

ولم تمض أشهر على انتقالها حتى انتقلت عمتها إلى جوار ربها ، وكانت
المسؤولة عنها بعد وفاة والديها وهى وحيدتها .

إذن لم تجد أى مانع لتتحمل مسؤوليتها بنفسها ، ومن يقيها من
الزلات غير نفسها ، ومن سيوقعها فى الزلات غير نفسها ؟

وهكذا سارت بين أمر واقع لا محالة ، وانتظار لا بد أن يوقعها
بلا هاد أو دليل ، ولم تفكر إلا فى الحبيب الأول ، فطالما عرفت القول
المأثور (ما الحب إلا للحبيب الأول) ولهذا فقد عادت إليه بعد أن
تعلق بغيرها ، وهنا تتجلى أعاصير الحياة المآلى بالشور والآثام ، سيما
بعد أن فشلت فى أن تحظى به إلا بتلك الثمرة التى يسمونها « جنيناً » وإذا
بذلك الجنين قد اكتمل ، وهذه « نبال » ثمرته لم يكن لها من مورد
يؤمن معيشتها إلا ما باعته « وداد » من حلى وأثاث ببقية ورثتها عن أمها
بواسطة عمتها ، وهكذا أفلس من زوجها ، وقطعت الأمل من حبيبها
بعد أن لاقت فى حبه الأهوال ، وضحت فى سبيله حياتها وأعز ما تملك .
وبينما هى على هذه الحال إذ الدهر يقول كلمته ، وإذا كلمته لا زالت
معلقة ببارق من الأمل جعل « وداد » تنتظر حتى يكمل « أنور » دراسته
ولا بد من رجعة .

وعاودها الأمل عندما عاد « أنور » من لندن بشهادتين : شهادة
الدراسة ، وشهادة الزواج من فتاة أجنبية دخلت قلبه بألف طريق ومن
ألف باب .

وهنا أزاحت « وداد » كيس الشلج عن رأسها تقول :
— لقد تألمت كثيراً بعد أن فاجأني القدر بهذا السهم القاطع ثانياً مرة .. وأخيراً انقطعت عن كل أمل يقربني من « أنور » كما انقطعت عن أخباره ، وبقيت شريفة لا يقر لي قرار ولا يهدأ لي بال ، فأودعت الأمر للمستقبل واتكلت على المجهول ليفعل ما يشاء .

وهكذا انغمرت « وداد » بين المرح واللهو ومصاحبة الرفاق ، فشاع اسمها وتردد على الأفواه الشيء الكثير عن جمالها ، وأخذ المال ينهمر عليها من كل صوب ، وأصبحت ترضى هذا بالبتسامة ، وتقنع ذاك بقبلة وتصلح الآخر بغمرة حاجب .. يالها من مسكينة ، التي توجهت فسمهم قاطع وسكين أمض ، تتكلف الابتسامة وقلبهـا دام كسير ، أرغمتها الظروف كما قالت على المتاجرة بشرفها لتأمين معيشة « نبال » .

وتوالى السنين العديدة وعنّ له (أنور) بعد أن فشل في زواجه من الأجنبية - بعد أن كل الشيب رأسه - أن يفتش عنها رغم السنين الطوال ، ولكن دون جدوى ، فقد مات ما فات ، ولا بد من مواجهة الآتي .

و ذات ليلة بينما كان ثملاً قاده الخمر إلى مرقص فأمر السائق أن يتخذ له سحلاً في زاوية من زوايا (ملهى الجواهري) ولم يكفد يحسب الكأس الثالث حتى مرت من أمامه عجوز لا رواء فيها ولا بهاء - وإن شئت فقل إنها عجوز في الغابر ين - فاسترعت انتباهه بذلك الثوب الحدادي ، الذي

تسر بلى به إلى أخص القديمين .

ثم نادى الخادم سائلا :

— من تكون تلك السيدة ؟

— إنها يا أفندم والدة إحدى الراقصات وإنها لا تنفك مُلازمة

ابنتها عند قدومها إلى المرقص وإياها منه .

— ما اسمها ؟

— الست « وداد » .

— وما اسم الراقصة ابنتها ؟

— (نبال) الملقبة بـ (عاطفة) كما يقولون .

— طيب .. شكر آ لك ، إلى بقينة وسكى .

— حاضر .

ويفكر أنور ثم يردد اسمها :

(نبال) .. (عاطفة) .. (وداد) .. واستفاق حال قدوم الخادم

بالقينة :

— ناد الست « وداد » .

— بكل ممنونة .

فتقدم العجوز فوراً ثم تحييه ، فيرد عليها التحية بأحسن منها راجياً

إياها الجاوس معه فتلبى طلبه ، ويظل معنأ النظر في محياها ، محدّقاً في

ملاححها ، ثم يرفع القينة رأساً إلى شه محاولاً أن يعيها دفعة واحدة ،

ولسكن «وداد» تسحب القنينة من يده وتقول :

— ارحم نفسك يا أستاذ ، مالك ! أتريد الانتحار ؟

يردد قولها : (أتريد الانتحار !) يا إلهي أين ذاك الجمال الساحر ،
وأين بهاء ذلك الغصن الناضر ؟

تنقبه «وداد» :

— أتعرفني !

ترسل «وداد» نظراتها حيرى مستغرقة أو كالمستغرقة ، ذاهلة أو
كالذاهلة ، وما كادت تتسمر نظراتها في وجهه حتى صرخت :

— أنور . . حبيبي ، هل أنت في بغداد ؟

ويضربها إلى صدره والدموع تنهال على خديه ، والمشهد يشير ،
ويؤمل ، ويستجير .

وبينما هما في هذا الوضع تعزف الموسيقى وتحتل المسرح راقصة على
جانب من الجمال والرشاقة ، فسأها أنور :

— من هذه الراقصة يا «وداد» ؟

— ألا تعرفها ؟

— كلا .

— إنها «عاطفة» ، إنها . . .

— ابنتي «نبال» في هذا المرقص ؟

— لا يا أنور ، إنها الثمرة الناضجة للشهوات العابرة ، لقد حاولت

يا حبيبي - عفوا يا صديقي - أن أجعل منها ربة بيت وسيدة صالون ،
إلا أن جهودي ذهبت أدراج الرياح ، لأن ماضي الأسود قد كفى أكثر
ما تتصور ، فهجرت زوجي من أجلك ، ومن أجلك أعيش الآن في :
(سيكارة وكاس) .

قالت ذلك وانهمرت الدموع من مآقيها تشق في الخدود مجرى
رافدين ، فأخرجت لها منديلأ أمسح به دمعها في خطورة النبض والحرارة
ودنوها من الأجل ، وهنسا . . أعطتني رقماً (تليفونيا) تريد اتصالاً
بـ (عواطف) ، وحاولت الاتصال بالرقم فلم أفلح بجواب لانشغال
السكة على طول الخط ، وعدت إليها أطمئنها بمجيء ابنتها ، فألفيتها
تمهذي طالبة :

— سيكارة من فضلك ..

فمدت يدي إلى جيبى وأخرجت سيكارة من علبة السيكاير وأولعت
لها سيكارة ، فضاعفت الطلب :

— كاس . . يا فتاة الإنسانية .

— أو ما يكفي قدح الأيام !

وهنا أغمضت عينيها بعتاب ألفيتني منه أذكر قول الشاعر
نقولا فياض :

لم يبق للفكر المشرذم غير ما

عودت من سطو على الأرواح

وجنت على الأعصاب ثورتها فلا

سكرات إحداق ولا أقداح

وأقول للقلم المهلهل في يدي

هل من مدادك غير ما في الراح؟



عزیزی

خطابك أشراني .. وحديثك أشجاني ،
فأطأت العتب لأستجلى الغضب ، وأمرقت
في الغضب لآلم بجهال العتب وبروعة الغضب .

عن يزي . . .

أنت في خطابك تلتهب .

وأنا في عتابي أحترق . . والحريق من غير هيب لا يلفت نظر ،
والعتاب من غير غضب كالعود بلا دخان .

أنت في خطابك ثائر .

وأنا في عتابي هادئة ، ولولا الهدوء لما كانت الثورة في خطابك
الآخر . . ثورة الرفق ، وجمال الرفق .

في خطابك رفق شديد ، وفي عتابي شدة وعنف ، ولولا العنف لما
كان الرفق ، ولا كان جمال الرفق في جمال العنف .

خطابك أغرائي .

وحديثك أشجاني . . فأطلت العتب لأستجلى الغضب ، وأسرفت
في الغضب لألم بجمال العتب وروعة الغضب ، وما بين عتب وغضب
وجدتك في سطورك تلتهب . . في ماذا ؟

أو ما لهذا الغضب يا فيلسوفتي من آخر ؟

أعتقد لا يا أستاذ . لا . ما دام هناك قصور قد ألم في الأيام
والظروف ومن وراءه خسوف القمر وكسوف الشمس .

إنه قصور ، فتصور :

الأيام وغدرها .
والظروف وامتحانها .
والصدف ونتائجها ، وقل معي :
الأيام التي لا تهذبنا لا تهدينا .
والصدف التي لا تصقلنا لا تروينا .
والظروف التي لا تضحكننا لا تبكيننا ، ولا يمكنني أن أسميها ظروفًا
فيها الحياة وفيها الموت .

إذن لابد أن نحترق لنضيء الغير في عتاب يشمل كلا منا ، ما دامت
هناك نفوس قد تطبعت على الغدر ، وألفت الجشع كما تألف الطرب
وتنقاد إلى الشاعرية رغم كل حدود وسدود .
والآن . . .

أما يحق لي أن أسأل ؟ أو أعتب ؟ أو أغضب ما دام حتى غضبي
لم يصل إليك إلا بعد لآي ؟ إلا بعد هزة أرضية ، إلا بعد رعود
وبروق .

كل ما أعتقد أنك تسمعي كما أسمعك .
وتجيبني كما أسألك ، مادامت هناك ثقة أقلها الاطمئنان ، اطمئنان
نفوس أدبتها الأيام في سر التجارب ولغز الصدف .
أما إذا هاجك غضبي ، وأثارك عتي ، وحملته على غير محل اللطف

والمداعبة ، فأنتذاك يحق لى أن أستاذن منك بسحب كلامى شرط أن يعود
عليك بقصة ليست من الخيال ، وعليه يجب أن تضيف إلى علمك علم
تلهية لازالت فى مدرسة الحياة ، وأحياناً فى رأى الصغير أكبر فائدة
للكبير .

ليس من مؤاخذه يا أستاذ . . يامن تريد أن تصبح إخصائياً بالقصة ،
والأخرى لو تصبح إخصائياً بأمراض القلوب ، أو أمراض العيون ،
أو الجملة العصبية .

والآن ، فهمت أنك لست مقصراً .
ولست ناسياً .

ومن المحال أن تطيل الرد علىّ ، فهاذا أقول لك أكثر من أننى قد
سمعت .

وذممت .

وابتسمت ، بألف شكر .

وألف سلام على قلبك الذى يدق أكثر من قلبى .



علامہ نسک یافتر

حدیث عن الشاعر الكبير الأسمر .. !!
انه حدیث ؟!

علام تسأل؟ والأيام معدودة من عمر الزمن في حياتي وحياتك
في نور يخرق قلبي لينسل الكرى من جفنيك !

علام تسأل؟ والخيرة أنا . . وأنا والقمر صديقان حين عرفتني أنت
أنني أنا ، وأنا والنجم حيران حين فهمت أنت أنني أنا ، وأنا أنت ،
وأنت نمر أثرعته في عصارة قلبي فطال السمر فهجستك ، وطال السمر
فلمستك مع الأيام وكأسها .

والحياة وسحرها .

والظروف وسرّها .

علام تسأل؟ والروعة أنت ، وأنت سؤال لا ينتهي ولا يعدو أكثر
منى أنا ! أنا في لهفة تطل على منك في سحر الكمال والجمال ، والكمال
والجمال هما أنت ، ومع هذا لازلت أنا والقمر ، وكأني أنا وأنت
أليفان متباعدان متقاربان ، وما أشد القرب والبعد بيني وبينك ، وبين
هذا القمر الذي هو أنت !

علام تسأل؟ وليلي سامر فيك .

وشوقي زاهر منك .

وحناني منك وإليك ، ومنك وإليك الخطوط السابحة في وجهك
يا وجه القمر .

علام تسأل يا قمر؟ يا أنت . . ياتيه أيقظني فأسهرك .

ولمسنى فبلغك ، وسرني فأملك هناك .

وهناك يا قمر حيث يلتقي أفقك بأفقي فأختفي عنك كما تختفي عني في ظلمة
تشرق الشمس من أجملها في تجاوب روعي لتنهض كما أنهض بالأحلام فتثيرها ،
وتأخذ بالأعماق لتثيرها ، وتستفحل بالشعور لتطرق جميع أبوابها
بلا استئذان . . . وعلى حين غرة ألفتني أنغني معك بقول الأسمر :

أنا كالطير أسير واقع بين الشباك
طال ما بين جناحي وحياتي من عراك
ليت شعري هل أمني النفس يوماً بانفسك
أم أنا ما زلت « سدّاح » « من الأقفاص شاك ؟ »
علام تسل ؟ وفي الكون عيون لا يغمض جنونها إلا المجهول حيث
يتصل في بحر تختلج فيه روعي من روحك لتبلغك في شعاع غريب عجيب
ينبعث من أفانين غامضة ليست بالهينة على وعليك يا قمر !
علام تسل ؟ وأنت نجم سائر في سماء صافية تعكس النور لحل
مشكلة أقربها إلى فيك يا قمر .

علام تسل يا قمر ؟ وبعثت النفوس تطبعت على الغدر ونسكران
الجميل فألفت السفايف الضحلة ، وانقادت إلى ضالة التفكير في شحة
التصوير فتناست ما لها وما عليها لأنها لا تستطيع أن تفكر إلا في الظلام
وفي عمى البصيرة حيث نطاقها الضيق ، وحدودها الأضيّق !
علام تسل ؟ وتحمية الحب والإعجاب تزجها (دجلة) إلى (النيل) ،
ويزجها (النيل) إلى (دجلة) ولكن بدمعتين تلبعان من جبال المصائب

وهى جبال (أرارات) لتتحدران على سهل القدر فى وادى قلبى حيث يلتقيان فى (قرنة) روحى لأراك ، وأسمع ضربات هذا القلب سريعة لاتعد ولا تحصى فى خواطرك يا قمر . . يامن تحاول جاهداً عد تلك الضربات بعد أن ضاع الحساب بينى وبينه فى القوة والضعف .

وفى القوة والضعف لمست فكراً مهذباً لطف كثيراً من الجو الأدبى النسائى الذى سممته أقلام الآخرين ، وأججت فيه روح الرعب والاشمئزاز والغضب فى قوة ليتها لو اهتدت إلى جمال العنف فى جمال القوة بالمعنى الصحيح . وهنارن جرس التليفون ، وابتدرنى الأستاذ الخشالى بتحيةة نهت الشمس من خدرها لتوقظنى على فجر الصباح الباكرة :

— صباح الشمس يا قمر .

— صباحك أسعد عندى من الشمس والقمر .

— تحية غير متوقعة يا أستاذ .

— وصباح متوقع يا آنسة .

— منى أنا ؟

— وعلام العجب ؟

— لأنك العجب فى هذا الصباح .

— ولأنك البداة فى عجب الصباح .

— الحديث معك يغربنى إلى درجة أنسى فيها حتى نفسى .

— والحديث معك يسحرنى إلى درجة أستعيد كل صوابى .

— هذه مخبرة طردية أم عكسية ؟

- أَيْضاً طَرْدِي وَعَكْسِي ؟
- وَالْمَهْم ؟
- أَنْ تَعَابِي سَبَبِ الْخُضَابَةِ .
- السَّبَبِ اِهْتِمَامِ بِالْغِ مِنْكَ يَا شَاعِر .
- إِذَنْ : لَدَيْكَ هَدِيَّةٌ عِنْدِي .
- أَثَابَتُهُ عَلَى حِسَابِ الْأَسْتَاذِ مَارُونَ عِبُودُ أُمِّ نَابِتَةٍ عَلَى حِسَابِ
الْأَسْتَاذِ خَلِيلِ الْخُشَالِي ؟
- الْمَعْنَى فِي قَلْبِ الشَّاعِرِ .
- كَلَّا كَمَا أَشْعُرُ مِنْ شَاعِرٍ .
- فِي حِسَابِكَ ؟
- فِي حِسَابِ الْأَيَّامِ .
- أَرْجُو أَنْ لَا يَتَحَدَاكَ هَذَا التَّعْبِيرُ .
- التَّحَدَى مِنْكَ لَا يَكْلِفُنِي أَكْثَرَ مِنْ نَهْضَةٍ وَبِقِظَةٍ قَرَّهَا الْأَسْتَاذُ
مَارُونَ عِبُودُ فِي قَبْلِ أَنْ أَيْدِيهَا الدَّكْتُورُ طَهَ حَسِينُ .
- نَهْضَةُ شَاعِرٍ أَمْ يَقِظَةُ أُمِّي ؟
- لَا شَاعِرٌ غَيْرَ مَارُونَ ، وَلَا أُمِّي غَيْرُكَ .
- لَوْ سَمِعْتُكَ مَارُونَ لَثَارَ غَضَبِهِ عَلَيْكَ ، مَدَافِعاً عَنِّي !
- غَضَبُ مَارُونَ ، وَلَا عَتَبُ الْجَوَاهِرِي .
- وَمَا دَخَلَ الْجَوَاهِرِي فِي الْمَوْضُوعِ ؟
- لِأَنَّكَ لَا تَسْتَفِيدُ مِنْهُ إِلَّا إِذَا قَرَأْتَهُ فَقَطْ .

— ومارون ؟

قلت — ينتشلك من الحيتان ويحذرك من الأفاعى والحيات .

— أراك معجبة بمارون إفراطاً ؟

— الفعل للتجربة لا البرهان .

— هل عرفت أن هديتك من الأسمر ؟

— شكراً لك وللأسمر مضاعفاً .

— مارأيك فى شعر الأسمر إذن ؟

— يالك من فيلسوف تدخل من باب كما أخرجك من ألف باب ،

والعجب أنك تطلب رأيي فى شيء لازلت أجهل أكثره .

— من هنا يبدأ حسابى معك سيما بعد أن عرفت أنك أمية أكثر منى .

— لا بد أن أكون أشعر منك على حساب التعليل لا التأويل .

— لقد أخذت بشمرة انتصارك يا حواء .

— ولتسكن ثمرة الروح فى ثمرة الكمال .

— ويحك ، وثمره الهدية ؟

— دع هذه الثمرة للأسمر مادام قد خصنى بشمرة إنتاجه .

— يستحق الأسمر منك هذا الاهتمام مادام قد خط اسمك واسمه

بماء الذهب .

— وبماذا ستخط اسمى يا زميلى ؟

— بدم القاب .

— على أن يكون مزيجاً من روحين ؟

— اسمي ما خطه الأسمر لك وبالخرف :

و إلى الأدبية العاطفية الأستاذة مليحة السحيق سمرام بغداد :

تحيته من شاعر شاكر كل الذي خلت يداكم له
أهدى إليكم شعره بعدما أهديتم سحركم قبليه
وقد بعثتم ظلكم « صورة » تجلو له من روضكم ظله
فبلغوا روضكم أني في كل آن شاكر فضله
أحب قلبي الشمر من يومه وهو يرى كل الوري أهله
القاهرة — محمد الأسمر

٢٣ بوليه سنة ١٩٥٢

— أ أعجبتك هذه الأبيات ؟

— رقيقة كالشاعر ، وطروبة كصوتك .

— لقد علمت أنه أرسل لك نسخة قبل هذه .

— أرسل العام لأرسل لك الخاص .

— ومتى ستحدثين عن شعر الأسمر ؟

— بعد عشرة أيام .

— مدة طويلة .

— طويلة مادامت مكتبتني قد ازدهمت بالهدايا .

— ليكن بعد يومين .

— أخشى أن يعيقني الدرس الكافي .

— الدرس من أول خطرة .

— وأول نظرة أيضاً ؟

— لأدري . . الجواب عن الأسمر بعد يومين ، وإلى اللقاء .
ومضت فترة من الزمن لا تعدو أكثر من ساعات كنا نتبادل خلالها
شتى أنواع الحديث إلا حديثنا عن الأسمر ، حتى جاء اليوم المحدد وكان
الزميل الخشالي قد اهتم في هذا اليوم ليوجه لي جيشاً من الأسئلة
لم يستعد لها إلا حين رفع سماعة التليفون يسألني :

— هل أستطيع أن أتحول بك إلى ماشئت من الموضوعات ؟
— لقد اتفقنا أن لا نخرج جميع الموضوعات عن حديث الأسمر
وعن شعره تستطيع أن تسألني ماشئت ، وسيعرض لك الجواب مني
صوراً تترك آثاراً في نفسك كآثارك في نفسي .
— ماذا وجدت في تلك الآثار ؟

— شاعرية عميقة تهم الانطلاق في بحر تلتطم العواصف في سواحله
لتغيير الجو بصورة فجائية
— والنتيجة ؟

— النتيجة لا تتعدى بنظري أكثر من مقاومة تظهر على الأسمر
بأقل نسمة فيقاومها بأكبر عاصفة ، وبنفس القوة .
— أما يجد صعوبة في ذلك ؟

— الصعوبة لا تهجسها في شعر الأسمر إلا إذا شعرت بانفعاله
النفسي ، وقاومتها بنفس الحيرة .
— وكيف ؟

— إذا عاكست الظروف شاعراً . وأشقت الحياة مخلصاً . ودفنت
الأيام هادياً .

— تعليق بديع يا عزيزتى .

— إذن لابد أن تسمعى بلسان الأسمر :

أرى روضة الآمال لاح ازدهارها

وعاودها بعد الذبول اخضرارها

خليلى قوما ، وانظرا كيف وردها

وكيف زها فوق الربى جلزارها

— وما هى نظرتك فى شعره عن القوميات ؟

... تختلف باختلاف المكان والزمان وما لهذا الاختلاف من قيد
وتأثير على الوضع الراهن . شرط أن يستمتع الشاعر على الأقل
بحريتين : حرية التفكير ، وحرية النشر ، وضمان الاحترام لتلك
الحريتين دون مضايقة أو تخرج ، وهنا أستطيع أن أعذر الشاعر إذا
ما ظهر على شعره شيء من السكبت ، إذ بهذا السكبت يعطيك لونا من
ألوان الظلم غير العابر حيث يقول :

« الأجنبي ، على الوادى يسير به

كما تسير رعاة الشاة بالغنم

تشكو المجاعة بالوادى عشيرته

« والأجنبي ، به يشكو من التخم

وما ذليل له أرض لها علم
مثل الذليل بلا أرض ولا علم
وتتجسم صور الأوضاع أمام الشاعر ويستفحل به الأمر الواقع
فيقول :

يا بني « بغداد » أنتم لبني
« مصر » إخوان بل الأهل الكرام
طهروا الأنفس من أطاعها
ينهض المشرق في ظل الوثام

— وماذا تقولين عن شعره في المناسبات ؟
— أؤاخذه في عتاب بعد أن كتبت له في هذا الباب رسالة طويلة
أقتطف منها ما نشرته جريدة الزمان (المصرية) :
« جاءنا من بغداد » من الأدبية العاطفية الأستاذة مليحة اسحق
خطاب رقيق جاء فيه :

« ليس من جديد أخبرك عنه إلا أنني آخذك كثيراً على شعرك
في المناسبات وإن كانت القرينة تجود فيه » وقد كتبنا إلى الأدبية
العراقية الأستاذة (مليحة اسحق) خطاباً قلنا فيه في هذا الموضوع
تعليقاً على ما جاء في خطابها الرقيق :

« أما شعر المدح يافيلسوفتي وربما كان هذا هو المقصود في هذه
الأيام من قول بعض الناس (شعر المناسبات) فليس في ديواني باب
يسمى باب المدائح . ولكن . . هنالك باب اسمه (هؤلاء عرفتهم) تحدثت

فيه يامليحة كما يتحدث الصديق عن صديقه ، وكما تحدثت عنك في أبياتي
التي أرسلتها إليك ، .

« هل الشاعر إلا مصور ملهم ؟ .

« وهل أستطيع إذا تحركت عاطفتي لتصوير أصدقائي أن أقتل هذه
العاطفة ؟ ولم أقتلها ، ولم لا ألبى الشعر إذا دعاني ؟ ،

مقتطف يسير جداً من رسالته التي سيأتي البحث عنها في غير هذا المجال .

— وما هو رأيك في جواب الأسمر ياترى ؟

— لا أتفق معه مطلقاً .

— ولم ؟ ..

— لأن العاطفة الحقيقة لا يدركها إلا النادر من الناس ، ومعنى هذا

أن الكسب في نواحي ثابتة أهم من الانطلاق في نواحي عابرة ، والشعور
بدافع الكسب هو سلم الوصول لانطلاق الشاعرية ، وعند الأسمر من
الموهبة ما اتصل فيه إلى أكثر مما هو عليه .

— أتعين بذلك أن نقول له قل كذا ، وأنظم كذا ؟

— كم أنت أمي يازميلي ؟

— أنا أمي !

— لأنك تتجاهل في شيء لتظهر بشيء كالزيات .

— وما هو الشيء الذي تعنيه ؟

— الشيء هو إذا قلنا للشاعر قل كذا ، وأنظم كذا لا تخرج منه

إلا بزواج لا يعرف عنها إلا طريق الإكراه بالرغم من فلدات الكبد .

— هل كتبت له بهذا الصدد ؟

— طبعاً !

— وبماذا أجابك ؟

— قال « إننى لم أرك يا مليحة ، ولكنى رأيتك فى عواطفك المترقرة من كلماتك أو المتأججة فيها ، وما أشقى الإنسان حين يذوب أو يلهب »
ما أطيب العيش لو أن الفقى حجر

تنبؤ الحوادث عنه وهو ملوم ؟

— أتؤيدينه ؟

قلت — فقط فى خاطرة .

— وماهى ؟

— هى لو استبدل الأستاذ الأسمر كلمة طيب بـ (أشقى) أكنت ترانى يا أستاذ خليل على ضوء تعبيره كما رآنى الأسمر فى تلك العواطف أو ما يؤججها ؟ وهل العواطف الحقة وما يثيرها بحق بأيدينا ؟
— سؤال أذهلنى حقاً .

— لن أتأكد من ذهولك إلا إذا تأكدت من شاعر يحذر من نار ويلقى نفسه فى وسط لهيب . . فكيف إذا أحاطتك النار كما أحاطتنى من الداخل والخارج على شكل دائرة جعلت مركزها القلب وعيظها ومساحتها العقل ؟
— على أساس نظرتك كيف تؤخذ مساحة الدائرة يا فيلسوفتى ؟
— الدلال فى سؤالك صارخ يا زميلي .

- وبماذا تفسر يسه إذن ؟
- أفسره على حساب المساحة ، ومساحة الدائرة ومحيطها تؤخذان على أساس معرفة القطر والنسبة الثابتة .
- ماهى النسبة الثابتة فى القلب ؟
- عصاره بالغه .
- والقطر ؟
- شعور أبلغ .
- ويحك ، ماهذا التفسير ؟
- فى التعبير أيها الخشالى ، وفى قوة السؤال والجواب وضعفهما .
- يعنى !!
- لأن القوة التى أرهقتنى فى المركز هى نفس القوة التى ألهبت الأسمر فى القطر مع اختلاف بسيط جداً كما يبدو لى ذلك ، لأن القطر معلوم عند الأسمر ، والنسبة الثابتة معروفة لدى .
- والنتيجة يامليحة ؟
- النتيجة هى أن النار التى حشدوها على قلب الخشالى وقلب الأسمر ، وغيرهما من أرباب الفكر ، لا تختلف بالمره عن النار التى أججوها فى قلبى ، ومع هذا تريدنى كما يريدنى الأسمر أن أحرق ولا أحترق ؟
- أؤيد الأسمر فى هذا الباب .
- كيف تؤيده فى باب يغرق ولا يحرق ؟
- أؤيده مادامت له نظرة وتجربة .

— التجربة التي لا تحرقك لا تخلقك يا خشالي .

— عظيم رائع ، ماهذه الحكمة ؟

— حكمة فراشة تحوم حول النار بدافع النار ، نار يسوقني إليها
الرشد ، ونار يدفعني إليها الحلم ، وبين نارين أحترق كالشمعة ، ولكن
في سماء عالية . . عالية جداً يا أستاذ .

— أي سماء ؟

— سماء الثقة بالله . . تلك الثقة التي جعلتني أسعد مخلوقة عرفتها
الأحداث في أعظم خطورة اقتحمت أهوالها على جبل الشعور . . الشعور
بالله لا أكثر ولا أقل يا زميلي .

— وماذا قال الأسمر لك في تلك السطور ؟

— أيدني فيها كثيراً ، ولكن بدموعه وزفراته أنشدني يقول :

يا خليلي فاضت اليوم كأسى فأهدياني إلى سبيل التأسى
كلما قلت قد تسليت عنها زاد ما بي لها فاطرقت رأسى
أدب ضائع وقوم سكارى لست أدري باى خمر وكأس ؟
ليت شعري فيم المقام بأرض لا يباع الأديب فيها بفلس

— أجاد الأسمر حقاً حين قال لك :

وارحمتاه في عواطفها فراشة لبست ثوباً من الشعل
— وحقاً تشابكت خطوط الليل بخطوط النهار ، ولكن في وجه
القمر ، والقمر ساج في سمائه . . بهاتف كفف عن كل نداء . . إلا نداء
القلب . . في سؤال عميق لازلت أردده رغم الأيام ووشوشة الزمن :
علام تسلي يا قمر ؟



بيت سيدنا ايليا المذوبين

أنا ملك الأباء والصدف والظروف
والناس .. وأنت واحد منهم .
ألا ليت من عاداني في قاع البحر يرمي
على شاطئه دومي أمثالك بالملايين .

أقتطف هذا الجواب من اليوم « رسائي » نزولا عند طلب
الأديب العراقي الأستاذ عبد الله عبد الهادي العاني حين ألح عليّ
أن أضيف « رائعة إلى رائعة » .

والأستاذ « العاني » من الأدباء العراقيين الذين لا يحبون
الظهور إلا أمام الشمس حيث الزاخرة تتجلى بقلبه كما تتجلى بقلم
الأستاذ عبد الفنى شريف الملقب بـ (أبي لمى) إما مدافعاً عن
إيمان أو مهاجماً عن أدلة وبراهين . . وهو أحد النقاد الذين
انبروا للدفاع عن كتاب (ليال ملاح) حين استغرق نقد الكتاب
مدة تزيد على السنتين انتهت خلاهما المشكلة بمركة أدبية حامية
في الصحف الموصلية انقسم فيها هؤلاء النقاد إلى قسمين فأوقفت
الكتابة (المؤلفة) تلك الضجة بكلمة وجهتها لكل من الأستاذين
(أبي لمى) و (العاني) حين انضما إلى بعضهما في تلك المعركة
الأدبية وكلاهما من المهجيين بأسلوب الأستاذ الخشالي . . ذلك
الأسلوب البديع الذى تتجلى فيه الثورة والهدوء .

صالح

بغداد ١ / ٦ / ١٩٥٢

عزيزى الأستاذ خليل الخشالي .

لقد وجهت لى عتابك من حيث تدرى ولا تدرى أن الحياة بحد
ذاتها عتاب . . عتاب من أين جئنا؟ وإلى أين ترى نحن ذاهبون؟ وما غاية
هذا المجيء والذهاب بلا إياب؟ لا أدرى أيضاً . . ولكنى أدرى أن

ما يقصده الأستاذ الخشالي في (امتداد لقصة) على اعتبار الأخوة والزمالة ما هو إلا سر ثارته أنفاس من حيث يدرى ولا يدرى أنها خطرات قد عنت للمرهفات والمرهفين أمثالك وأمثالي على أساس قواعد متينة مجهولة — على حد تعبيرك — من البهامة والعجب في كنه لا يلبث أن يمتد إلى أقصى حدود النفس الشاعرة لتنتهي كما قلت لي (كل قصة لم تحدد لها فكرة لنهاية) .
يا عزيزي .

لقد تعمدت في إثارتى طارقاً باب (المستبعدات) كما قلت لتجعل بتعمدك أدلة لك فيها مآرب موسى (ع) . . مآرب كل ما فيها أسباب لقبوها براحة الضمير ، ضميري وضميرك .

لشد ما أضحككيتي وأنت عاتب يا صاحبي ولك معي (قصة عتاب) وضاعفت ضحكى ساخرة على كل حال . . وعلى كل حال أسأل بالمناسبة : كيف عرفت أنني أمزح دون أن تعرف أنني أجد ؟ ولماذا فهمت سطورى على أنها مزح واستعصى عليك أن تفهمها أنها جد ؟ إنك بسؤالك هذا كمن يقول :

أنا لا أعرف كيف أضحك ؟ ولم أضحك ؟ ولكنني أعرف كيف أبكى ولم أبكى . . ولا أعلم كيف خلقت ؟ ولكنني أردت أن أخلق خلقت وكان لي ما أردت . . لا زلت أضحك فصدقني وسأبقى أضحك من قولك طالما كان هناك عتاب يقول :

(كنت أرجو أن تأخذى الأمور كما خلقت . . لا كما تريدونها أن
تخلق) كإن الأمور — صاحبك الله — بأيدينا تخلق . وسؤال من هذا
القبيل : هل أنت خالق أم مخلوق ؟ لا . يا صاحبي أنت فيلسوف من باب
واحد وعليك أن تطرق بقية الأبواب لتفهم ما يريد الخالق من المخلوق .
ولتفرق بين الخالق والمخلوق على اعتبارك أن الأمور بأيدينا والحوادث
طوع بئانا .

صدقني أن عتابك حلو ، وأن إثارتك بهذا العتاب أحلى وأفضل .
ولقد توفقت في عتابك وإن أثارني وأثار في نفسي ألواناً من الضحك
فيها البلاء وفيها القضاء .

صدقني ما دمت عاتباً ستبقى حلوة العتاب غامرة قلبي بفنون الأجوبة
ما دمت تريدني في كتاباتي وأدبي وقصصى فكرة قبل أن أكون امرأة .
أقول فكرة لو فهمت — وإن عنيت — أنها فكرة قبل أن تريدها
فكرة وكما تريد — على حد تعبيرك — لكنت فكرة بطبيعتها كما كنت
امرأة بطبيعتي . وكما كنت رجلاً بطبيعتك . والمرأة والرجل وكل
ما يستوجب التفكير فكرة . . وأنت — يارعاك الله — لو فهمتني
فكرة قبل أن تريدني فكرة عن طريق المرأة لكنت كما أردتني فكرة .
أما إذا فهمتني امرأة فأؤكد لك أنك فهمتني فكرة مغالطاً فيما نفسك
عامداً متعمداً بعتابك إلى الحق ولكن على شكل مغامر ، همسه الخالص
الاستزادة والتأكد في الفهم وهذا لا يفوتني كما أرجو ألا يفوتك .

أنت عاتب يا صاح .. وأنا غافرة لك حتى عتابك وقولك .. آه
من قولك (بأننى سريعة التصديق قليلة التحقيق) . يا زميلي معك حق لأن
لكل منا نظرة ووجهة اختبار قد تكون صائبة وقد تكون خاطئة ..
وقد تجمع ما بين الخطأ والصواب فهل يخفى عليك ذلك ولكون طلاس
والغاز لا نستطيع حلها مهما حاولنا كشف الستار .. والستار .. آه
ما وراء الستار ؟ .

ما التصديق ؟ وما التحقيق ؟ .

لا تسبل يا صاح .. فهو أيضاً سر من أسرار الكون والغازه في
وفيك .. يا زميلي .. حتى إيماني بنفسى والناس وأنت واحد منهم سره
سيتبقى هذا السر مجهولاً كسر مجيئنا وذهابنا .

كسر السعادة في الشقاء ، وسر الشقاء في السعادة .

أنت شاعر يا زميلي .. أراك مع هذا وغير هذا عاتباً وأنا مع هذا
وغير هذا راضية عنك . معترفة بحقك ، صاغية إليك ، آملة منك أن
تسخر منى كما أسخر منك ، ومن الناس ، فأتحداشم وأتحداك كما علمتنى
التجارب أن أتحدى وأسخر بلا رحمة وهوادة حتى من نفسى .. فما رأيك ؟ .
يا زميلي .. أراك أمياً ظافراً كالزيات أحياناً إذا أراد شيئاً أو أراد
الوقوف على شيء تعمد في إثارة شيء وخاف شيئاً ليظفر بشيء أو ينتهى
إليه .. ماذا ترى يا عزيزى فى عطشان بلغ فيه الظمأ مبلغه والماء حياله
صعب المنال ؟ أخشى أن تقول أنه يستطيع الورود ولكنه تعمد
ألا يشرب فليقتله الظمأ .

رفقاً يا صاحبي .

رفقاً بعتابك وإن كنت مقتولا بالعطش أكثر مني . . مهلاً لا تقل
أنا حاكم على نفسي مثلك حتى بهذا الظماً . وحتى لو تعمدت أن تحكم
نفسك بنفسك . ثق سوف لا تهرب من نفسك ومن واقعك ما دامت
الأمور ليست بيدك ولا بيدي ولا بيد الناس ولكن مفاتيحها بيد
الظروف والأيام هي التي تحكمني وتحكمك بأمر الظروف . وما لهذه
الظروف من حكمة وعبرة حتى في هوة القدر . . وهوة الهوة .

أجل يا زميلي بالحسرة ، لا تهرب من الأيام فالأيام تتبعك .
ولا تتخلص من الصدف فالصدف ترقبك ، ولا تخف الظروف
فالظروف تخلقك . . فتطربك ، فتسكرك . فتوقعك ، لتسفرك .

يا زميلي . . هي الأيام ومن لا تهذب الأيام لا تفيقه الحوادث .
ومن لا تصقله الظروف لا تخلقه الحياة ليسكون حاصل الضرب في
القاسم المشترك الأعظم بين الليل والنهار ! وهكذا . . جئت ، كما أنا وكما
أرادتني الأيام والصدف والظروف ، فوجدت صديقاً عاداني بعد غدر
وعدواً أخلص لي بعد هجر ، ففهمته أدري ولا أدري من تعنيه في قولك
ولا أدري :

إنهم أدباء ولا أشباه أدباء . نفوسهم حقيرة . ونتائجهم أتفه من
وجدانهم وأحق من يبيتهم وتربيتهم . إنهم يتمسحون بأذيال العواهر
والراقصات ليعيشوا متطفلين على فتات موائدهن وفضلات كؤوسهن
وهم في عرف الفضيلة أحقر من الفتات وأتفه من الفضلات .

أنت تحدثني بشأن واحد فقط وأنا أحدثك بشؤون على ما أسميته
بالعتاب وهو جوهر الأمر الواقع الذي أتمنى لك من كل قلبي أن تفهمه
كما فهمتني ووجهت عن طريق هذا الفهم عتابك الذي لا يخالو — ولا
أمكن خالوه — من غمرة الروح . . تلك الغمرة التي تعمدت فيها إثارتني
محاو لا جاهداً أن تقرب إلى ذهني فهم أمثال تلك الزعانف وكلانا أرفع
من أن يتحدث عن — نأحين لا تكشفهم أمام القارئ الحر إلا دناءة
نفوسهم وحقارة ميولهم . ولا أعظم من شأني وشأنك . . إذا الأيام
طهرت أرواحهم أو شاءت أن تتركهم كما تركتهم أنت . . وكما تركتهم أنا .
في مستنقعاتهم يهيمون ، وفي سفاسفهم يتبجحون ، وفي موبقاتهم
يتسر بلون . . يكتبون ما يشاؤون ما داموا في رؤوسهم فارغون .
وفي عيونهم زائغون . . ومن روعي وروحك مفاسون . . يهضمون
ما فيه يتمرغون .

أما سؤالك من أنا ؟ فهذا بحث يستغرق من الوقت ما يحفزني إلى
الإجابة عليه في غير هذا المجال . . ومع هذا فأوجز من أنا :
أنا صديقة الدهر الذي غدر ، وصاحبة النهار الذي هجر ، ودليلة
الليل الذي سكر .

أنا أم العجائب . . ولكنني لم أعشق الليل إلا بعد أن عشقت
النهار . . وهذا ما دعاني لأبرهن لمن يدرى ولمن لا يدرى ، أنا لا أحترق
وحدى وإن كنت أعذر من حرقني ، وأجل من آلمني .

وأعظم من عذبي . . ما دام الحق لا ينحرف عن صرخة في وجهه
مجتمع يحاول النهوض على ضحاياه باسم القربان الإلهي .
وهو نهوض على كل حال .

وهم ضحايا على كل حال .

وأنا قربان على كل حال في مجتمع لا زالت فيه قدوة للناهضات . .
ونبراساً للحكيمات . . وهدياً للساميات اليقظات . . وبذلك أذكر
ما حذرني منه الشاعر الكبير أحمد الصافي النجفي حيث يقول في رسالة
خصني بها ما نصه :

« ويل لفتاة جمعت منتهى الجمال . . جمال الخلق والخلق في مجتمع
كهذا . . لا بل (بهذا المستنقع) الذي أنا أعلم به منك يا مليحة » .

أما إنني أحكم على فلان مجرد قول فلان وتجربة فلان لفلان فهذا
أمر يحتاج إلى مواصلة الدرس والتمحيص إن لم يكن في درسه وتمحيصه
كل الشك . . ولم يك الشك يا زميلي يوماً ما وسيلة للبإوغ إلى تلك
الصرخة في مجتمع يحاول النهوض على ضحاياه كما سبق وقلت اللهم إلا إذا
جربت فلاناً بنفسى ولمست حقيقة كونه أنه لا يتعدى أكثر من ثاني
أكسيد الكربون . . آنذاك كل ما أستطيع أن أقوله لك .

يا لسطر في سجل الفناء .

ويا لضريبة الحياة من هؤلاء المساكين على حسابي وحسابك وحساب

النادر من الناس في التفكير الصالح والمنطق الأصالح . . والبقاء كما تعلم
لأصالح على طول الزمن ، وعلى طول الزمن ينبغي أن تذكر أولئك
المتأدين كما يقول حضرة الدكتور طه حسين :

« ينبغي أن نذكر الموتى بخير » .

فيا من رعاك الله .

يا من تريدني ألا أبوح بشقتك . . وألا أتحدث بنبالك . . وكيف
لا أبوح أولاً أتحدث والأيام منجل وحصاد في المرصاد . وفي المرصاد
تريدني الأيام — كما تريدني أنت وغيرك من أرباب الفكر — أن أبلغ
الصف اللانهاي على حساب التجربة لا العلم في حاصل جمع تلك التجارب
التي تشهد لي بها مدرسة الحياة . أنا يا زميلي ملك مشاع ولكنني حديث
غير مضاع .

أنا دمة السر الساهر ، وآهة الجيل الحائر أو « الجيل الرخوة » كما
يقول الدكتور طه حسين .

أنا ملك الأيام والصدف والظروف والناس . . وأنت واحد منهم .
أما أن الأيام تعاكسني فلي من ساعديها قوة أين منها قوة شمشون
الجبار ؟ ويكفيني من الأيام نفراً أني عرفتكم عن طريقها الوعر . .
فهرفت كاتباً عراقياً لمست فيه روحاً أصيلة . وأدبا أصل حاول المغرضون
أن ينصبوا له شركاً ليوقعوه به فعبثت نفس الشرك بنفوسهم وتركهم
صرعى مقتولين بغير دم .

ألا ليت من عاداني في قاع البحر يرمى على شاطئ روحى
أمثالك بالملايين .

لا تعاتبني يا صاح .. إذا ما لمست عمى البشرية نوراً .. ولا تؤاخذني
إذا أخلصت للجميع بقدره مجهولة فيها الخوف من البحر ، والروعة في
البحر ، والمجازفة في عمق البحر !

وبعد .. ما لنا وللمتطفلين المتسأدين .. الحائرين الكاذبين
المدعين ؟ ما لنا ولقبور أخطأ مكانها الجهل فكانت على قارعة الطريق
قبوراً ولا أشباه قبور ، وأدباء ولا أشباه أدباء ؟ .
يا صاحبي .. أرجو ألا تفوتك خبرة الليل في عبوة النهار .. يا من
تعاتب كاتبة تقول لك :

كل مالى في الحياة .. قلب .. تنبعث من خلجاته ومضة كلها حق ..
وكلمها نور .. تنير الطريق للظالمين .. وإن كانت الظالمون من
قطاع الطريق .

ختاماً .. يجب أن تعلم . أن قلبي شاعر كقلبك . نزيه كروحك ،
مخلص كنبلك ، لا يعبأ بشيء . ولا يتعاصى عليه شيء .

إنه لآت بالمعجزات .. فناشده الحق كما ناشدتك الثقة والأخوة ..
ناشدتك الله يا (بلبل بغداد) أن تفهمنى فسكرتة قبل كل شيء وإن كان
العتاب في غير محله من الإعراب . والعتاب عتابك .. والرأى رأيك .
ولك الرأى ، والعتاب لك .



حَبِيبِي

حبيبي !
اعزف علي قيثارة الحياة ،
ودعني أخضعك بألحاني يا طالما
خصصتني بحياتك :

لقد نسيت كل شيء في العالم . وغفرت لكل الناس ذنوبهم ، فلماذا
تجعلنى أفكر فى حظى من جديد ؟ إذا كانت الحياة تفرض علينا ضربيتها
حتى لا يشعر عظيم الناس بضآلته فلماذا يقسو الناس على الناس ؟ ولـكل
ما وهبتهم ضريبة الحياة !

حبيبي ! يقولون « إن عظماء هذه الدنيا لا يعرفون إلى الآن ما هو
الآلم » ، فلماذا عرفته حين زرع الله حبك فى قلبى ؟ ولماذا عبدتك عن
أقصر طريق ، وهو قلبى ؟
حبيبي !

إن العصفور السجين يشعر بالسعادة المتناهية حتى لو سمع صافرة
إنذار ، ويظل سعيداً إلى أن يصل إلى سمعه صوت عصفور حقيقى ،
فهل لهذا القلب نصيب من هذا الشعور ؟
حبيبي !

إننى أكره نعمة تسقيها دموع القلب ، وأستاء من حياة تغطها
التضحية الكبرى .
فلماذا تتجدانى بحبك ؟

ولماذا اعتاد الناس الإشارة لى بكلمة : تحب ؟
ولماذا الأبدية تخاطب روحى بواسطتك ؟
ولماذا تحققت من قدرة الله على بعث روحى وجسمى حين أفنى فيك ؟
ولماذا أنت فوق الغرائز ؟

ولماذا تجاوزت حدود هذا العالم وأشرفت على تيه الحقائق ؟
حبيبي !

هل الحب ضعف ؟ ولماذا ؟

هل هو قوة ؟ وأين ؟

هل هو عبادة ؟ ولمن ؟

هل هو كفر ؟ وكيف ؟

ولو فرضنا أنه كذلك ولذلك عاش ضحاياها ، فلماذا الجروف رقدت
على قرطاس قلبي وهي تتحرك ؟

ولماذا لا أرى الله أمام محرابك ؟

ولماذا لسانى الطليق يخرس إذا كلمتك ؟

ولماذا أرى خلود نفسى فى حبك ؟

ولماذا ألمس أبدية وجودى فى قبلك ؟

ولماذا أهتف بقلبك وروحك ، وألهج باسمك وسلطانك ، وألوذ
بسعادتك وعذابي ؟

ولماذا أعبد ما تعبد وأكفر بما تكفر ؟

ولماذا نعيمي وشقائي نبعان منك ؟

ولماذا أنا كلك ؟

ولماذا ابتكرت السماء الحب ؟

ولماذا أنزل الله علينا الحب من السماء وأخذنا من فلتة أمنا الأرض ؟

أصحيح أن الأرض أرضك ؟
أصحيح أن السماء سماؤك ؟
أصحيح أن أحدهما فلتة الآخر ؟ ولماذا ؟
أصحيح أننا منك وإليك ؟
ولو لم يكن كذلك فلماذا نحيا ؟ ولماذا نموت ؟ ولماذا نعزف آهاتنا ،
وننشد دوماً ما مزّق قلوبنا ؟
إلا أننا نترك في هذه الحياة أثراً من الطلسم المفقودة تناجي
أرواحنا دوماً وتقلقها ؟
حبيبي !

لا أريد أن أرى الناس بعدك ، ولا أريد أن يراني أحد إلاك .
فأين أنت ؟ وأين أنا ؟ وأين أنت أيتها الحقيقة منا ؟
حبيبي :

اعزف على قيثارة الحياة ... ودعني أخصك بالحنى يا طالما
خصصتني بحياتك .
غرد بدار الغرب .
غرد عبر الصحارى والرمال .
غرد من قلبك إلى قلبي .
غرد إننى أسمعك وأسمع من يسمعك .
غرد فالكأس بين شفقتك وكل الحياة طوىع يدي ويديك ..

غرد فلهمفة الشمس تحرق ولسكنها حاوة ، ورعونة الريح تدهش
ولسكنها أحلى .

غرد حتى نموت طرباً ، وأبدع كما يبدع الحس في الضلوع والخوافق .
غرد فالحياة جميلة ولكن الموت أجمل ، وما بين هذين تمشى بنا
الأيام والأحلام والأوهام بكل سرعة ، فاغتنم الحياة كما اغتنمتنا وناجها
بكل لحن كما ناجتتنا من قبل وستناجيننا من بعد .

دعني أحسك بكل ما فيّ وفيك .
دعني أريدك كالحياة والموت .
دعني أطرب وأموت ، ولسكن بين يديك .
دعني فكلّي ظمأ إليك . وكلّي حياة لك . . . وكلّي موت فيك . . .
وكلّي أمامك .

حبيبي !

إنني آخذة وما أخوذة بنفس الوقت ، وب نفس الوقت إنني أسمعك
رغم الناس ، فطمني كما حطمتك ، وأحبني كما أحببتك .

حطمني كالوهم .

وأحبني كالآلم .

وخذ مني أضعاف ما أريده منك ، وتحكم بي كما تحكمت بك ، وأسفر
عما أطبق شفقتك ، وأنطق عينيك ، ولوح به مكنونك ، وأرعى عالميك .

حبيبي !

سألتني من أنا ، وما علمت .. أنا صديقة الدهر الذي غدر ، وصاحبة
النهار الذي هجر ، ودليلة الليل الذي سكر .
أنا أم العجائب ، ولكنك أبو المصائب .

حبيبي !

سألتني : ما دينك ؟ وما شهادتك ؟
وسؤال مثل هذا حقاً يدعو إلى الذهول والاستغراب والتأمل
والتفكير ، وهل تتقيد الشاعرية بدين من الأديان ؟
والحقيقة كما هي وكما أنا ، وأنا لم أتقيد بدين خاص ، ولا أملك ديناً
معيناً ، ولكن ديني لا يعرفه إلا من أحب ، ولذلك ما عبدت الله إلا عن
كل دين وكل قلب وكل حق ، وبذلك تقرّبت إلى الله أكثر فأكثر وأكثر .
أما شهادتي فهي غريبة مثلي ومثل حبيك ، وتلك شهادة وهبتها لي الحياة
ووقعتها الأيام ، ولكن بسهم القدر .

حبيبي !

إن فضيلتك تغني عن الحساب ، وإن جمالك يغني عن الذهب ، وإن
روحك تغني عن السلطان ، وإن طريقتي في الحياة والموت لا ينحني إلا
أمام كلمة تجمع بين دفتيها عالم الحب ، فسكن لي ، حبيك ، وسلطتك وقلبي .

حبيبي !

سألتني ، وبدوري أسألك :
لماذا العنف يزيد القلوب المتوثبة هياجاً ؟ ولما لا يرجعها عن عزمها ؟

ولماذا المحب لا يصعب عليه أن يرتكب أى عمل فى سبيل من يحب
ويخلص ويضحى؟

ولماذا المقاومة لا تزيد المحب إلا سلطاناً على سلطان ، وضعفاً
فوق ضعف؟

ولما أنت وأنا والمحب هو العالم وما فيه؟
ولماذا نظرة منك تكفينى مؤونة أجيال؟
ولماذا أبدعتنا الصدف وبهذا الشكل المتواصل على حبل الفناء؟
ولماذا جئنا من الشك ونذهب إلى الحقيقة؟
ولماذا جزء صغير من هذا الشك يكفى لإحراز النصر؟

حبيبي !

هل أنت حلم كله حياة؟
هل أنت خيال بعثرته الحقيقة؟
هل أنت تيه حده سلطان؟
هل أنت بحر ما هاج وماج إلا ليجعلى غصة وعبرة فى آن ، وفى
آن دمة وابتسامة؟

ما أنت؟ وما حقيقةك؟ وما سلطانك؟
ولماذا سلطانك فوق سلطانى وأنا امرأة؟ ولماذا أنا ضعيفة؟ ولماذا
أنا قوية؟ ولماذا أنت باسط سلطانك على ضعفى وقوتى؟

حبيبي !

ما معنى هذا؟ وما غاية هذه الخفقة اللجوجة التي أراها من نوع
غريب عجيب غامض مثل قلبي وحبك؟
أواه . . .

إن الفضيلة تستوجب التضحية الكبرى ولو كانت تحت ملابس
الفقراء . وإن أقدم واجب علىّ هو أن أهبط لك أسباب الحياة ،
وإن التضحية الكبرى أمام الحب اللاهب الحارب أكبر سلطان ، فكن
لى كما أنت ، ودعنى كما أنا .

حبيبي !

أنت صورة أجادتها ريشة الله .
أنت كلمة عارية عن كل قلب ، وبعيدة عن كل كلفة .
أنت كون جميل لم يوجد إلا ليجعل منه مزاحاً يخلق به المثل الأعلى .
أنت خرس في البداية والنهاية .
أنت رنة غضب ، وآهة رعب ، ورعدة اضطراب .
أنت كلام تغلغل في كل نواحيها حتى لمس القدرة الإلهية
والوعى الرباني .

أنت قلب من قلب إلى قلب .
أنت واه يا أنت .
أنت قاموس ترجمة الخيال من المستحيل فكان الواقع .
حبيبي !

أنت شيء ولا شيء .

أنت شيء مبدع من لا شيء ، ولا شيء مخلوق من كل شيء .
فلماذا عبدتك من أقصر طريق وهو قلبي ، ولماذا كأسي وأنت ،
وأنت فقط ؟

أيها الإله القادر .

لماذا تسامحنا ومرجع الأمر إلى إرادتك ؟
ولماذا النفس الإنسانية مقيدة بميولها الطبيعية ؟
ولماذا نحب على الأرض فتفرقنا الحياة ؟
ولماذا تتصل اتصالا محكما بسلسلة الموت الأبدي ؟
إلهي ! ما أمهرك في تعذيب الأرواح التي هي منك وإليك .
إلهي كل شيء زائل إلا هذا الحب الهائل ، الذي يخيف بكلمة تقو لها
أنت إذا خرسنا نحن .

بحقك إلهي .

لماذا خلقتنا وأشقيتنا بخلقك ؟
ولماذا أوجدتنا وأخذتنا بحقك ؟
ولماذا جمعتنا وأفنيتنا ؟
ولماذا في كل لحظة نفقدها من وجودنا نشعر بقربك ؟
ولماذا أنت لغة كل قلب وشعار كل روح ؟
ولماذا تواجهنا سماؤك بكل عزيز ؟

ولماذا لا تطربنا إلا بدموع تسقيننا منها الحقيقة الرعناء ؟
إلهي العادل !

لم أجد في حاجة إلى البكاء .

ولا في حاجة إلى الفزع .

ولا في حاجة إلى الحرص والتبصر .

صدقني لم أعد في حاجة إلى شيء ، إلا لما أنا فيه ، وما أنا في غير الحب .

إلهي !

أبدع قلبي في كل شيء ، حتى أستقبل سهام قدرتك دفعة واحدة ،
وأدفع ضريبة الحياة دفعة واحدة .

إلهي !

أركع أمامك فقط ، واخشع لك فقط ، فساعدني .

ساعدني وامنحني قوة يديك لأسعد من أحب ، وأحبه أضعاف

ما أنا عليه الآن .

إلهي !! اسمعني كما سمعتك بقلبي ، واغفر لي لأنني غفرت لجميع

الناس ذنوبهم .

إلهي !! ما عرفتك إلا لحظة ، أحبت فيها ، وتألمت فيها ، وتعذبت

فيها ، وضحيت فيها .

إلهي !! أمامك عارية ، وإليك آتية .



الوقت

الى الذي اقتشاني من الحيتان وحذرني
من الأفاعي والحيات ...
الى مرشدي وأستاذي « مارون عبود »
أهدى نسمة ليست ثابتة فقط ، ولكنها :
رائحة . . .

أرجو أن تحققى فى كتابك الثالث كلمتنا المقولة (الثالثة ثابتة) .
بهذه العبارة أنهى خطابه الناقد الكبير الأستاذ « مارون عبود » .
فرددت عليه برسالة استوحيت منها آنذاك سطوراً أقتطف منها
مايلى وإن كنت سألتقى مع أستاذى الناقد فى غير هذا المجال .
إذن ليقبل الأستاذ « مارون عبود » ما شاء له أن يقول ، وليفسر
خطراته كما شاءت له الصراحة المعهودة فيه ، الملبوسة منه ، الجريئة مثله .
سواء أكانت الثالثة « ثابتة » — على حد تعبيره — أم (نابتة) كما أعلم .
وهنا لابد وأن أتسائل مادمت بهذا الصدد :
أثابتة ؟ أم نابتة ؟

أثابتة فى القلب أم نابتة فى الروح ؟
أمغروسة فى الشعور أم مستمدة من الجذور ؟
أثابتة يا أستاذ « مارون » أم لازالت فى حاجة إلى التجربة لتكون
فى أمس الحاجة إلى الثبات ؟

حدثنى ..
ثابتة فى الأرض .. أم نابتة فى السماء ؟
مستمدة من التيه .. أم منتشلة من عمق البحر ؟
ثائرة كالريح .. أم ساكنة رغم العاصفة ؟
أثابتة ؟ ولماذا ؟

أنا بقة ؟ وكيف ؟

نا بقة لتتال رضاك . أم نا بقة لتتخطى بفضلك ؟

أنا بقة إلى حيث تنتهى إلى نا بقة ، أم نا بقة مسمرة بقوتها على حساب

التأويل والتعليل ؟

إذا كانت فى حسابك نا بقة . . فأرجو أن تدفع بك إلى عالم

لا يعرف الحد .

وإذا كانت نا بقة فأرجو أن ألس ثباتها عروة كلها إحساس .

أسمعه فى تغريدك .

وأهجه فى تفنيدك .

وألمسه فى نقدك .

وأحسه فى صراحتك . كما لمسته والأستاذ الخشالى ونحن بصدد

الحديث عنك والإعجاب فىك .

يا لحديث طال واستطال .

يا سحر أخذ من الوقت أكثر ، وهضم من الفكر أنضجه . .

وكلانا صاغ إلى سطورك . . واجد فيها من الحقيقة ما يعتز بها ، ومن

الصراحة ما يقربها ، ومن التأيد ما يشجع به .

لقد بلغنا منك يا أستاذ الحد المألوف ، واتخذنا من أفكارك الحرة

الطليقة ما يدفع بى والزميل الخشالى إلى التهذيب أكثر ، والصقل أعمق ،

فدخلنا من أجلك فى حديث ، وغرقنا من أجلك فى سحر حديث ألفتنى

فيه يا أستاذ أمام ناقد كبير يطل على من جبل تكوَّنت ذراته من
أرواح معذبة نعتوها بـ (جبل لبنان) .

أنت في جبل ، وأنا في واد ، سألت على خدييه (دمعتان) فلقبوه
بـ (وادى الرافدين) .. إنه وادى الأساطير .. إنه وادى الخوارق ..
في هذا الوادى وجدت نفسى أمام ناقد لا زال يحدثنى عنك ويلتذ فى
الحديث .. ويناقشنى بسطورك ويسر فى المناقشة ، ويطول الحديث
عنك فى إعجاب وغمرة لا تلبث أن تستحوذ على لب كل منا فى سحر هو
الصراحة ، التى دفعنى الخشالى أن أكتبها سواء أكانت ثابتة أم نابثة .

لقد كانت ثابتة حين أتاح لى الحظ فرصاً كثيرة أبعدھا أقربھا للفوز ،
وأتاح لى التجارب ما جعلتنى أن أفوز فى كل شيء ، حتى لكأن الأيام
نخصتنى بطيبتها ، وأوثقتنى من جانبها وثوقاً تتحسر عليه كل فتاة ، وتتمناه
كل امرأة ، وكانت الأيام معى ، كما كانت المفاجأة لى ، مفاجأة اختصم فيها
أصحاب العقول ، وثار على فيها أصحاب القلوب ، وفى عمق كل منهم ألف
حساب وعتاب ، وفى قلبى من حسابهم وعقلى من عقابهم ما يملأ
العين فى أجواء فسيحة لا زال الأمل فيها يرتع ، والرجاء يحبو من جديد
فى نفس لازالت طفلة .

تضحك ليوقعها الرشد .

وتبكي ليزل بهما الحلم .

وتطرب ليبلغ منها الألم .

إنها نفسى يا أستاذ ، ولسكنها طفلة ، والعبرة مهما بلغت فى هذه
الطفلة فلا يعدو كونها أكثر من أنها تتخطى لتتجوز فى حسابها من العثرات .
أعرفت من هذه النفس ؟ إنها .. أنا .

أنا طفلة يا أستاذ ، طفلة فى مفترق طرق ، طريق تحفه الأشواك
رغم الورد ، وطريق تسوده الصخور رغم الأنهار ، وطريق طينى
تراكت فيه جثث الأفاعى والحيات فلم تترك فيه إلا قشوراً وهياكل
عظمية ، إذا نجا منها قدم عاد قدم فزل ، وما بين قدم يسير وقدم كبير
لا أملك سوى عكازة عليها يجب أن أقطع هذه المسافة الشاسعة .

أعرفت تلك المسافة ؟ إنها الزمن الذى سأقطع مسافته بعكازتى وأنا
فى مفترق طرق أضحكتنى كثيراً حين نظرت إلى الأفق البعيد فليحت
طريقاً مجهولاً تحترق بدايته لتنتهى ببحر كان للأفق اتصالاً ، وذهلت
حين وجدت البداية احتراقاً ، والنهاية افتراقاً ، وتضاعف ذهولى حين
وجدت بضعة أنفار يتهايمسون وكل منهم كان قد سلك طريقاً إلا أنا
فى مفترق طرق .

فأما أن أختار الطريق المجهول ، وإما أن أقف كما يأمرنى أصحاب
العقول والقلوب . إما أن أختار طريقاً ، فهذا ما أنا إليه ساعية رغم الليل
والنهار ، وإما أن أقف فهذا مستحيل . وإن كنت لا أقر بمستحيل
إلا الواقع فى مغامرة ألقاها المخاطرة فى النفس .

إن الحياة مخاطرة يا أستاذ ، وإن شئت فقل مغامرة ، من لم يخاطر

بها تغامر فيه والعكس بالعكس ، ففي الأولى موت في حياة ، وفي الثانية حياة في موت .

إذا فأضحك كما تضحك أنت من الأمور .

أضحك من الليل وكيف يعقبه النهار .

من الهدوء وكيف تشيره العاصفة .

من العذاب وكيف يشيره الطرب .

لقد ضحككت في الحياة مرة واحدة يا أستاذ ، وضحكت من نفسي مراراً فوجدت في الذكريات ما اختلف على تلك النفس من لذة وألم ، وحين وصلت إلى هذه المرحلة من الاستهزاء بنواميس الواقع ، طال الحديث واستطال بيني وبين الأستاذ الخشالي ، وراح يرجوني أن أروى له طرفاً عن مناجاتي لشيخ المعرفة ، للذي قال :

« أقول والوحش ترميني بأعينها » .

للذي تصوره يسأل :

— كيف أنت ليلة أمس ؟ .

— ساهرة حتى الصباح .

— ألم تنام ولا لحظة ؟ .

— ما معنى ساهرة ؟ .

— معناها قاهرة .

— من التي تعنين ؟ .

- أنا .
- عجيب أنت ؟ .
- لا أدري ، قسما بك .
- كيف تقسمين بي وأنت لا تدرين ؟ .
- بعد أن عرفت أنت كما تقول .
- والنتيجة ؟ .
- النتيجة ، بيد الأيام ، تقرها الظروف ليرويها التاريخ بعد أن نوقعتها بدم القلب .
- غريب ! ولا أغرب منك !
- عجيب ، ولا أعجب من صراحتك !
- كيف تعلق صراحتي ؟ .
- كما تعلقين حبي .
- الحب لا يعرف التأويل ولا التعليل ، إنه مجرد حكمة إله في قدرة إله .
- إنه مجرد (أنت) .
- أنا صانعة الحب ؟ ! .
- أنت الحقيقة الآدمية في يدي .
- والبرهان ؟ .
- سلى نفسك .
- كيف أسألها وأريد منك الجواب ؟

قال — لا جواب بين الأحباب .

— وماذا يفسر الصمت ؟

— كما يفسرك قلبي في شعلته ، ويترحمك خاطري في لهفته ، وينشدك وعي في خلجته .

— إذن أنت المستحيل الواقع لا محال .

— وكيف ؟

— إنه حديث ابتداء بيننا عن سخرية فأصبح جدياً لأنك قررت نهايته بعد أن وضعت بدايته . . أنا .

— ماذا تأمرين ؟

— أمرى تفسره لك الطبيعة على كل حال ، وعلى كل حال ، لي طلب بسيط كما أعتقد . . لا يكلفك أكثر من دمعة تستسلم لها كما استسلمت .

— أرجو أن لا يكلفني عمرى .

— هل العمر يتخذ بدمعة ؟

— لا يتخذه دمعة إلا إذا كانت هناك ابتسامة .

— وبماذا تفسرين لي تلك الدمعة وتلك الابتسامة ؟

— إما بداية ، أو نهاية .

— وكيف ؟

— من هنا تبدأ القصة .

— أي قصة ؟

- قصة الإدلاج .
- إلى أين ؟
- لا أوسع من أرض الله ، ولا حق غير السماء .
- ألوحذك تجوبين ؟
- أنا وشخص يرافقتني طيفه .
- وملاحك ؟
- الأيام في إخلاصك .
- وذخيرتك ؟
- النبيل وما لمستته فيك .
- والزمن ؟
- هو التجربة ، والحب لا يحده زمن وإن كان الزمن يحدد أعمارنا .
- كيف تعتمدين على الظروف والأيام وأنت غريبة ؟
- البداهة في ذلك مادميت غريبة حتى عن نفسي .
- أجلى السفر .
- لم يتأجل جواز حبك في قلبي .
- أتريدين أن تطبق على نفسك قول نابليون : « الهروب من الحب أكبر نصر » .
- إذا هربت منك فقلبي معك وأنت فيه رغم ما يعاينيه .
- قليل من الصبر يا فيلسوفتي .

— لا صبر إلا الظفر ، لقد وضعت خارطة حياتي وبوصلة لرجائي .
— وكيف ؟ .

— بداية العمر في نهاية الأمل .

— ماذا تريد أن أفعل ؟ وماذا لمست في ؟

— لقد لمست فيك ما لمست من الأيام في كل دهشة ، وكل استغراب

ففزعت لكل شيء وفزت بكل شيء .

— أنت أسعد الناس حظاً .

— كما يقولون يا شاعري !!

— هل الحياة سعادة حقاً أم ترى السعادة هي الحياة ؟

— أمران أشكوهما إلى خاطري . . كما أشكو قوة الحب إلى ضعفه

وضعفه إلى قوته ، وإلى ما يحل كل منهما بدل الآخر ، والحيرة واحدة .

— والحياة أيضاً واحدة يا فيلسوفتي .

— ولكم تجني علينا وبلاذنب ، ولكم نجني عليها وبما فينا من

أطوار لقبوها قوة فكانت قوة ، ودعوهن ضعفاً فكانت ضعفاً . كما كانت

هناك حياة ، وكما كان هناك موت ، وكما كان تفاوت بين هذا وذاك .

— هذه اصطلاحات القوة في الضعف . أو إن شئت فقولي الضعف

في القوة .

— أنا معك فيما ذهبت ، ولكن لم تذهب إلى أكثر من قلبي .

— ماذا يعجبك من الأيام ؟

— امتحانها رغم الليل والنهار في البداية وبعد النهاية .

— لماذا ؟ ؟

— أيضاً لماذا . . . ؟

— تكلمى . . . رجاء .

— لماذا تتدفق حوادث الحياة دفقة واحدة ؟ ولماذا لا تهون بقدر

ما تتدفق ؟ ولماذا أنا القائم وأنا المشترك الأعظم ؟

— أتريد الحقيقة ؟

— طبعاً .

— لأنك الحياة .

— ولأنك الموت والحياة في قلبي !

— أنت أكبر مجازفة .

— لا مجازفة أمام الواقع .

— أى واقع تعين ؟

— الرحيل واقع لا محال .

— كيف تحبين وتهجرين ؟

— كمن يعيش ويحرم ! .

— لقد وصلت الشاطئ . . فها بنا .

— لازلت أقاوم عاصفة في عرض البحر .

— لازلت امرأة مثالية مخاطرة ، طموحة ، مغامرة .

- لا زلت أعبدك ! .
- لا زلت أقدمك ! .
- لا زلت أنشدك كما تنشدنى الدموع ، وأطربك كما يطربنى الألم
فى الضلوع .
- أنت رائعة .
- ولكننى أمة أكثر منك يا فيلسوفى ! .
- لقد أعجبنى منك هذا التواضع ، وضاعف إعجابى فىك هذا الحياء
الذى يتردد فى أسلوب يملأ النفس غمرة وحسرة . . . ولكن ما هذه
المحاورة الافلاطونية ؟
- إنها محاورة حياة .
- وهل الحياة إلا أنت ؟ .
- وإلا أن تكون أنت لها الهواء والماء والشمس والقمر .



فهرس

صفحة

الإهداء	٣
المقدمة	٥
آه يا جبران	١٣
المرأة فن	٢١
أيتها الظروف	٢٧
هى	٢٧
تمر دوروعة	٤٣
فسر	٤٩
ذا جوائى	٥٣
ذهول واستغراق	٥٥
زيدونى المأ لأطرب	٥٩
ابن العذاب للعذاب	٦١
الأيام منجل الحصاد	٦٥
قبلة	٦٩
حافظ جميل والمرأة	٧٥
أنا كما أنا	٨٩
فى مهب الريح	٩٥
بيانكا أغاسى	١٠٥
أنت	١١٥

أسماء	١١٩
مقتولون بإختر دم	١٢٥
أسطورة	١٣٧
القاهرة . بغداد	١٤٣
حواء	١٤٩
ليسال ملاح	١٥٩
خاتون جوري	١٦٥
الحديث الأخير	١٧٣
أنا وأنت	١٨٧
ماذا بيننا ؟	١٩١
لحظة معك يا سيدي قطب	١٩٧
من الفردوس	٢٠٣
ولكنه . . حديث	٢١١
خاتم — قصة	٢٢٣
موت و حياة	٢٣١
رسائل قلب	٢٤١
عاطفة — قصة	٢٥٥
عزيزي — قصة	٢٦٧
علام تسلي يا قمر ؟	٢٧١
ليت من أمثالك بالملايين	٢٨٥
حبيلي	٢٩٥
رائعة	٣٠٥